جامعة الجزائر -2-

كُلِّية العُلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة

قِسمُ التاريخ

الأَدْوارُ العَسكَرِيَّةُ والسِّياسِيَّةُ للبَرْبَرِ بالأنْدَلُس مِنَ الفَتْحِ حتَّى سُقوطِ الخِلافَةِ الأمَوِيَّة

(92 هـ/711 م - 422 هـ/1031 م)

مذكِّرة مُقدَّمة لنيلِ شهادةِ الماجِستير في تخصُّص تاريخِ المَغربِ الوسيطِ وحضارَتِه

إعْدادُ الطَّالِب

مُحمَّد حكيم بارود

إشْرافِ الأُسْتاذة

د. سامِية أبو عمْران

السَّنَةُ الجَّامِعيَّة 1432-1433 هـ/ 2011-2012 م

جامعة الجزائر -2-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الأدوار العسكرية والسياسية للبربر بالأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية

(92 هـ/711 م - 422 هـ/1031 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص تاريخ المغرب الوسيط وحضارته

أعضاء لجنة المناقشة

1)- أ.د. أحمد شريفي	رئيساً
2)- أ.د. سامية أبو عمران	مشرفاً و مقرراً
3)- أ.د. حاج عيفة	عضواً مناقشاً

إعداد الطالب: محمد حكيم بارود

إشراف الأستاذة: د.سامية أبو عمران

السنة الجامعية 1432-1433 هـ/ 2011-2012 م


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال أحدُهم:

وَمَنْ لَمْ يَعِ التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ * لَمْ يَدْرِ حُلْوَ العَيْشِ مِنْ مُرِّهِ

وَمَنْ وَعَى أَخْبَارَ مَنْ قَدْ مَضَى * أَضَافَ أَعْمَاراً إِلَى عُمْرِهِ



شُكرٌ وتَقْدير

أتوجَّهُ بالشُّكر الجَّزيل، إلى أُستاذتي المُّحترمة، الدُّكتورة سامية أبو عُمران، لإشرافها على هذه الرِّسالة، من بدايتها إلى نهايتها، وعلى صبرِها ونُصحِها وفضلِها الكَّبير، في إخراجِها على هذه الصُّورة النِّهائية.

كما أتقدَّم بالشُّكر الوَفير، إلى كلِّ أساتذة التاريخ الوسيط، الذين يَبذُلُون الجُّهدَ الكَبيرَ في تنوير الطُّلَّاب بتاريخِنا العَظيم؛ الذي حاول وما يَزال، بعضٌ من المُستَشرقين طمسَ معالمِهِ النَّيِّرة.



الإِهْداء...

أُهدي هذا الجُّهدَ المُّتواضعَ إلى كُـلِّ مَن يَخدُمُ الحَقيقة، والحَقيقَةَ وَحدَها، ويَسْعى في البَّحثِ عَنها وإِخراجِها إلى النُّور.

... إلى عائلتي وأصحابي جَميعِهم.

... إلى كلِّ مَن عَرفتُهُ ذاتَ يومٍ جميل.

... إلى كلِّ أشرافِ أُمَّتِنا قديماً وحديثا.

... إلى أندلُسِنا الضَّائع، ...



مُقَدِّمَـــــة

موضوع البحث وأسباب اختياره :

إنَّ قراءةَ ومُطالعةَ التَّاريخ الأندلُسي، هو تقليبٌ جميلٌ لصفحاتِه البطوليَّة، في كثيرٍ من أحداثه، ووقائعِه الخطيرة، فما بالك بالكتابة عنه؛ التي هيَّ إضافةٌ جديدةٌ، في التَعرُّفِ على أمجادِه، ولمسٌ وعَزفٌ فاتنٌ على وترٍ حسَّاسٍ؛ يُوقظُ فينا أحاسيس الاغتراب والاشتياق، والوصلِ لذلك الزمنِ الغابر. وبلادُ الأندلس، هي تلك الأرضُ التي عَرفَت مُختلفَ العناصر البشريَّة؛ التي كانت تعيشُ في حوض البحر الأبيض المتوسِّط؛ وشهِدَت معهم أوقات السِّلم والحروب؛ فتعايشت مع بعضها في فترات، وتنازعت مع بعض في فترات أخرى؛ فكان لِكلِّ واحدٍ مِنها إسهامُهُ في هذا التَّاريخ المشترك.

ومن هذه العناصر التي يَتِّم تداولُ اسمِها كثيراً؛ في إطار تاريخ الأندلس السِّياسي أو الحضاري، -بصفةٍ عامة-؛ من طرف المؤرخين العرب، أو الإسبان، أو غيرهم، عنصرُ البربر؛ وذلك إمَّا أثناء الفتح، أو بعدَه (في أيَّام الإمارة والخِلافة وما يليها)، ويكون ذلك إمَّا ضمن الأعمال التي تقوم بها لوحدِها، أو مَقروناً بما تقوم به بقيَّةُ العناصر الأخرى (عَربٌ ومُولَّدون وصَقالبة...).

والدِّراسات التي تناولت موضوعَ إسهامِ البربر، في الحياة السِّياسيَّة للأندلس، هي من القِلَّة أو النُدرة الغريبة، التي لا تجعلنا نعرف طبيعةَ الأدوار التي قاموا بها حقيقةً، في هذه البلاد، أو حجمَ تأثيرِها فيها. وهذا الأمرُ أدَّى إلى ظُلمِ هذه العناصر، وتأويلِ بعض ما قاموا به تأويلاً خاطئاً، بُنِي في كثير من الأحيان على التَّمييز والعُنصُريَّة.

ومَرَدُّ ذلك الأمرِ وراجعٌ، إلى كون هذا الموضوع، لا توجد حَولَه إلاَّ مَعارفٌ مَحدودة؛ زادَها طبيعةُ المنهجيَّةِ التي استُعمِلت مِن قِبلِ كثيرٍ مِن الباحثين، أدَّت إلى توليدِ أغلاطٍ فادحةٍ في حقِّ هذه المجموعةِ مِن السُّكان؛ كما أنَّ التَّعميمَ في إطلاقِ كثيرٍ مِن الأحكام، على بعضِ النَّتائج، أثار بعضَ الشكِّ في ذلك، فانبثقت عنه نظرياتٌ عديدة، أُريدَ مِنها أن تكون قراراتُها نهائيةً وغير قابلةٍ لاستئناف البحث فيها؛ وهي تحتاجُ إلى تحليلٍ وتدقيقٍ وافرين.

فمِن هنا، كان سببُ اختيارِ هذا الموضوع، والذي يُرادُ مِنه أن يُلقيَ الضَوءَ على هذه الفئةِ مِن النَّاس، التي استوطنت بلاد الجزيرة، مِثلُها مِثلُ غيرها؛ والمنتميةِ إلى منطقةِ المتوسِّط، منذ أقدم

العصور، -وذلك دون رَيب-؛ فهي لم تَعرِف الدِّراسةَ حولَها، كاملَ الموضوعيَّةِ والحِياديَّةِ في الطَّرح، أو الإنصافَ والعدالةَ في المعالجة؛ فكلُ دِراسةٍ تناولت جِنسَ البربر، -مُنذُ القديم إلى يومِنا هذا-، إمَّا أنَّها كانت مُتحاملةً عليهم أيَّما تَحاملٍ، أو أنَّها كانت مُقصِّرَةً في حقِّهِم أيَّما تقصير. فماهي طبيعة الأدوار الحقيقيَّة، التي قامت بها هذه العناصر، -في الجانب المحدَّد بالدراسة-؟، وما مدى تأثيرِها في التطوُّر السِّياسي للدولة الناشئة بهذه البلاد؟؛ وهل حقّاً كان لهذه المجموعة، دورٌ في إنهاء حُكم بني أميَّة بهذه الأرض؟.

عنوان البحث :

لقد قام البربر بعملٍ عظيمٍ، في فتح الأندلس، عملٍ يوصفُ بكونِهم كانوا هُم أصحابُه، فِكرةً وتخطيطاً وتَنفيذاً، ذاتَ طبيعةٍ عسكريَّةٍ خالصة؛ مَكَّن المسلمين مِن السَّيطرة على العُدوة، لمدَّةٍ قاربت الثَّمانية قرون؛ ثمَّ إنَّهم كانوا جُنوداً مُحاربين في مُواصَلة الفَتح، والمرابطةِ على الثغور، طيلة فترة الولاة والدولةِ الأمويَّة؛ كما عُرِفَ دورهُم أيامَ الصِّراع الأمَوي-الفاطمي في العُدوتين، وساهَموا بقِسطٍ وافرٍ، أيام الفِتنة الكُبرى؛ باعتبارِهم كانوا الأغلبيةَ الغالبة، في الجَيش الذي كوَّنهُ ابن أبي عامر، وهذا لمقارعةِ العناصر الأخرى، والقيسيَّة بصورة أخصّ. ومِن هذا المنطلق، جاء اختيار عُنوان البَحث، والمتمَثِّلِ في الأدوارِ العسكريَّةِ والسِّياسيَّةِ للبربر، مِن تاريخ الفَتح، حتَّى سُقوط الخلافة الأمويَّة، على مِساحةٍ زمنيَّة، تَمتدُّ على ثلاثة قرون، وعَقدَين مِن الزمن؛ وكان تسبيقُ الجانبِ العَسكَري، على الجانبِ السِّياسي، لغلبةِ الأوَّلِ على الثَّاني؛ وذلك اعتماداً على ما تَوفَّرَ مِن مَعلومات، ضِمن المصادر التَّاريخيَّة والجُغرافيَّة المتاحة؛ فكانت الأدوارُ العَسكريَّةُ هي البارزة، ولكن، كان يترتَّبُ عنها دوماً نتائجُ سياسيَّة خطيرة.

خُطَّة البحث :

لقد كان تقسيمُ موضوعِ الدِّراسة، إلى فصلٍ تمهيدي، وثلاثة فصولٍ أخرى، فخاتمة، ويأتي كلُّ ذلك بعد المقدِّمة، التي تتناولُ أسبابَ اختيارِ البَحثِ وعُنوانِه، ونقدٍ لبعض المصادر والمراجع التي اعتُمِدَت، وعَرضٍ لخُطَّته.

أمَا الفَصل التَمهيدي، فقد أُريدَ مِنه، التعريفُ بهذه العناصر السُّكانيَّة؛ فالتَقَصِّي عن أصـولِهم هو مِن أصعبِ الأمـور، فكان هناك،-تقريباً-، مَسحٌ شامـلٌ لمِختلفِ الآراء، التي قيلت حولَهم، -قديماً وحديثاً-، فوُجِدَت أكثرُ مِن عشرةِ أصول، تُنسِبُهم إليهم، فزادتْهُم كثيراً مِن الغُمـوض، ولم تفصِل في ذلك. وقد وردت هذه الآراء مِن لدُن مؤرخي اليونان والرومان، ثُمَّ المؤرخين والجغرافيين المسلمين، وأخيراً مِن طرف المؤرخين المحدثين؛ الذين يُمثِّلون أبرز المستشرقين المعاصرين، مِن مِثل مُـؤرخي المدرسة الفِرنسيَّة أو المدرسة الألمانيَّة، التي كانت آراءُها دعماً لما قيل في القديم، فامتـازت بالعُنصريَّة في كثيرٍ مِن أقوالها. ثمَّ جاء المبحثُ الثَّاني، الذي أراد التعريـفَ بتقسيمات البربر؛ والتي ظهرت بصورة خاصة، في الكتابات الإسلاميَّة، ولم تُعرَف قبل ذلك. وقد ظلَّ الإشكال مَطـروحاً، حول مَن صاحـبُ فكرة هذا التقسيم، إلى قِسمين أو جِذمين، ثمَّ إلى قبائل وبُطون وأفخاذ، مِثلما هو عليه عند العرب. وفي المبحثِ الثَّالث، كان الدورُ على مُحاولةِ معرِفة أصلِ التَّسمية، والتي عُـرِفوا بها مُنذ القِدم، إضافةً إلى أسماءٍ أخرى، اشتهروا بها، كالليبيين أو الأمازيغ.

وفي الفَصل الأوَّل، كان التَّركيزُ على دور البربر، في فتح بلاد الأندلـس، وقد كان تقسيمُه على ثلاثةِ مباحث، لتتبُّعِ هذا الدور الخطير، الذي تَمَثَّل في التَّخطيطِ والإعـداد، فالتنفيذ، وجاء المبحث الأوَّل مركِّزاً على شخصيةِ مُوسى بن نُصير وموقفِهِ مِن البربر، فهل كان حقيقةً ذو شخصيةٍ قاسيةٍ معهم؟، وهل كان له تأثيرٌ في تكوينِهم وإعدادِهم؟، وألا يُمكنُ اعتبار شَخصيةَ طارق، خيرُ مثـالٍ لتقصي هذا الأمر؟؛ لأنَّه قد يُميط اللِثام، عمَّا وَرَدَ مِن أقاويل بعد عبورِه إلى العُدوة، فيما بعد. وفي المبحث الثَّاني، كان الحديثُ عن الظروف والعوامل التي تهيَّأت لهم، في العُدوتين، والتي ساعـدتهُم في تحقيقِ الهدفِ المنشـود. أمَّا المبحثُ الثَّالـث، فتمَّ التَطرُّق فيه، إلى خـطِ سير الجيش البربري بعد عبوره إلى البلاد، ثمَّ تصادمِهم مع القوط، فتقدُّمِهم نحو الشمال، ومدى استبسالِ هذه العناصر في تلك المنطقةِ المجهولة.

وفي الفَصـل الثَّاني، تمَّ التَطرُّق إلى استقـرار البربر بالأندلـس، ومَـدى مُشاركـتِهم في التطـوُّرِ

السِّياسي للدولةِ الناشئةِ فيها؛ ففي المبحث الأوَّل مِنه، دُرِس فيه مراحل هِجرة هؤلاء السُكان نحو الأندلس، والتي كانت تَتأثَّر بالظُروف والأحـداثِ التي كانت تقعُ بهذه البلاد؛ فكان الاجتهاد في تقسيمِها إلى ثلاثِ مراحل : تَمتَّد الأولى مِن بِداية الفتح، إلى حُدوث الهزيمةِ في انتفاضتهم الكُبرى، سنة**123**هـ/**740–741**م؛ فكانت حركةُ هِجرتهم كبيرة؛ أمَّا في المرحلة الثّانية،والممتدة مِن فشلِهم في ثورتهم الكبرى بالعُـدوتين، إلى قيام الإمارة الأموية بالأندلـس، وتغلُّبِ عبد الرحمان الدَّاخـل على البلاد، ثمَّ خلال حُكم الأمراء الأمويين، حتى بداية القرن الرابع الهجري؛ فقد عادت هذه الهِـجرة، ولو بصورةٍ مُحتشمةٍ في بِدايتها، ثمَّ أخذ مُنحناها يتصاعدُ بالتدريج، لاعتمادِ الحُكام عليهم. وعَظُمَ انتقالُهُم بصورة أوضح، أثناء عَهد الخلافة، وخاصةً في عهد الحِجـابة، وهو ما يُمثِّل المرحلة الثالثة، مِن هذه الدراسة.

وفي المبحث الثَّاني من هذا الفصل، تمَّ التطرُّقُ إلى المناطقَ التي استوطنتها هذه العناصر بالجزيرة، فجِيء بالنظريَّةِ القديمة، التي أدانت العربَ في استحواذِهم على أخصَبِ الأراضي، وكان صاحِـبُها رينهارت دوزي، ثمَّ كان الإتيانُ بنقيضِ هذه الأطروحةِ العُنصريَّة؛ وصاحبُها بيار غيشار، الذي يَرى أنَّ كُلاً مِن العَرب والبربر، قد انتقلوا إلى الأندلس، على شكلِ قبائلَ وبُطون، حيث أنَّ كُلَّ واحدةٍ مِنها قد اختارت ما يُناسبُ مُيولاتها لانتقاء استقرارها، والعامـلُ القَبَليُّ كان له أكبرُ الأثـرِ في دور كلِّ مجموعة مِن المجموعات السُكانيَّة، ضمن الإطار الجماعي العام.

أمَّا المبـحث الثَّالث، فكان الحـديثُ فيه عن الأدوار العَسكريَّة والسِّياسيَّة، التي قدَّمـتها هذه المجموعة، تَماشياً مع التَطوُّر السِّياسي للبلاد؛ منذ عهد الولاية، ثمَّ عهد الإمـارة الأمويَّة، فالخلافـة حتَّى سُقوطِها؛ وتَمَّ التركيزُ فيه على ما كان لهُم مِن دورٍ خـاص، ضِمن ما كان يُطلَبُ مِنهم، أو في الإطار الجَماعي المشترك.

أمَّا الفَصل الثَّالثُ، فكان الخـوضُ فيه، فيما يعتقدُهُ كثيرٌ مِن الدارسين، مِن أدوارٍ سلبيَّة، قامت بها هذه العناصر، كالثورةِ على الحُكمِ المركزي، أو الانتفاضِ على الدولة، فَحَمَّلوا بذلك البربر صفةَ الخارجيَّةِ عن الدينِ وعن الدولة؛ وفي المبحثِ الثَّاني مِنه، كانت مُحاولةُ فهمِ موقفِهم أثناء ما يُعـرَفُ بالفِتنةِ الكُبرى، وعلاقتِهم بسقوطِ الخلافةِ الأمويَّة.

منهج الدراسة :

لقد اتَّبعَت هذه الدِّراسةُ المنهجَ التَّاريخيَ التَّحليليَ النَّقدي، القائمَ على التوثيقِ والاستنتاج، وِفقَ مَنهجيَّةِ أغلبِ الدِّراساتِ التَّاريخيَّة، المرتكزةِ على جمعِ المادةِ التَّاريخيَّة، وتحليلِها، ثمَّ مُقارنةِ بعضِها ببعض، للخروجِ بأحكامٍ قريبةٍ إلى المنطقِ والدِّقة.

نقد بعض المصادر والمراجع :

لقد اعتمدتُ خلال هذا العمل، على مجموعةٍ مِن المصادرِ والمراجع المختلِفة، التي أفادت صُلبَ هذا الموضوع، رُغمَ شُحِ المعلوماتِ التي تحمِلُها عن هذه العَناصِر، والأدوارِ التي قدَّمَتها؛ فكان كتابا كلٍّ مِن ابن حزم الأندلُسي، وبعَده عبد الرحمان ابن خلدون، أكثر إفادة، في تتبُّع أسماءِ القبائل وتقسيماتهم؛ فسِفرا **الجَمهرة** و(**العِبَر**)، هما أوَّل المصادر التي تحدَّثت عن البربر بإسهابٍ كبيرٍ لا نجِده عند كثيرٍ مِن المتقدِّمين قبلَهما؛ كما أنَّهُما قد أفادا أيضاً في معرفةِ المناطق التي سَكنتها بعضُ هذه القبائل، في أرض الأندلس.

وكان لكتاب المقري (**نفح الطيب**)، فائدةٌ في نقلِ بعض الروايات التي ضاعت كُتُبُ أصحابِها كالحجّاري، أو ابن حيَّان، أو الرَّازي. أمَّا كتابُ **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب** لابن عذاري المراكُشي، فكان له وقعُ التسهيل في معرفةِ تواريخ بعض الأحداث، فهو ينقلُها وفقاً لسنواتِ حُدوثِها، فأفاد بصورةٍ خاصة، في تتبُّع فتراتِ وقوع الأحداث الكبيرة منها، كالثوراتِ والانتفاضات، أو الكوارثَ الطبيعية، التي كانت تحدثُ بهذه البلاد، وكان لها تأثيرٌ في هِجرة البربر، نَحو الأندلس، أو مِنها إلى بلاد المغرب.

وقد انفردت بعضُ هذه المصادر، ببعض المعلومات التي لا نجدها في غيرِها، مِن مِثل ما جاء عند ابن القوطية، في كتابِه **تاريخ افتتاح الأندلس**، فهو ينقلُ روايةً مفادُها أنَّ البربر، كان لهُم دورٌ في تعيين الوالي أيوب بن حبيب اللَّخمي، بعد مقتلِ عبد العزيز بن موسى، التي بَنى عليها بعضُهم أنَّهم كانوا السَّببَ في اغتيال الوالي عبد العزيز بن موسى.

كما كان في كتاب **التَّلخيص** لابن حزم، معلومةٌ مَفادُها أنَّ الأندلس لم تُخَمَّس، وأنَّ جميع مَن

دخلَ البلاد، قد تملَّك أراضيها بعد نزولِه فيها، وكانت هذه المعلومةُ سَنداً قوياً في دحـضِ ما شـاع حولَ أنَّ العربَ قد ظَلَموا البربر، في اقتسامِ ترابها.

وكان لكلٍّ مِن **مُعـجم البُلدان** لياقوت الحَمَوي، **وصِفة جزيرة الأندلـس** للحِميَري، بالغُ الفائدة، في تعريف بعض مواقعِ المناطق والمدن الواردةِ في هذا البَحث.

بالإضافة إلى الاعتماد على مَصادر أخرى، أفادت الدِّراسةَ مِن جِهةٍ أو أخرى،ككُتب المؤلفين المجهولين، **كأخبار مَجموعة**، **وتاريخ الأندلس**، **ومَفاخر البربر**، هذا الأخير الذي جاء ليُبرزَ ما قام به هؤلاء السُّكان، إلاَّ أنَّه لا يَحمِلُ كثيراً مِن المعلومات التي قد تُفيدُ هذا الموضوع.

كما استفادت هذه الدِّراسة، مِن بعضِ المراجع الهَامة؛ **ففجرُ الأندلـس** كتابٌ ضخمٌ ومَرجعٌ هـام، لا يُستغنى عنه في أي مَوضـوع، له علاقةٌ بالأندلـس، فحُسين مؤنس يأتي ببعض المِصـادر اللاتينيَّة، التي لا يُمكن تعقُّبُها بسببِ اللُّغة أو مَكانِ تَواجُدِها، بالإضافةِ إلى كُتُبِه الأخرى، التي هي مِن بين أهمِّ مراجع المِكتبة الأندلسيَّة، **كالمَوسوعة**، أو كتاب **المَعالم**. وكذلك كُتُبُ كُلٍّ مِن ذنون طه، أو أحمد العبَّادي، أو محمد عنَّان، فهي مِثل كُتُـبِ حسين مُؤنس، مِن حيث الأهميَّة، كـونُها مِن بين المراجعِ الأندلسيَّة الكبيرة أيضاً.

واعتمدت الدِّراسة أيضاً، على بعض المَراجع الأجنبيَّة، سواءً بلُغاتِها الأساسيَّة، أو كانت مُترجمةً إلى العـربيَّة؛ وأوَّلُـــها كـتابُ **Structures sociales orientales et occidentales dans)** **l'Espagne musulmane. Civilisations et sociétés)** لبيار غيشار، فهو قد أتـى بنظـريَّةٍ جديدة، مَفادُها أنَّ العرب والبربر، قد تَنقَّلوا إلى الأندلس بصـفةٍ جماعيَّة، وليس بصـفةٍ فرديَّة، وقد استقرُّوا بالبلاد الجديدة جماعياً كذلك؛ هذا الأمرُ كان له بالغُ الأثر في مُساهمتِهم السِّياسيَّة في هذه البلاد، وليس كما كان يُظنُّ مِن قبل، -كونَهم قد جاءوا كأفراد، واندمَجوا في المجتمعِ الجديد، ولم يَكُن لهم أيُّ تأثيرٍ ملموس-؛ كما كان للمقالات المنقولةِ عن بعض المجلاَّت أو الدَوريات، أو حتَّى عن النَدوات، العربيَّة أو الأجنبيَّة، عظيمُ الفـائدة في استقصاء بعض المعلومات المفيدة للمَوضـوع. من مثل مقالات بيار غيشار، المتعلِّقة باستقرار المسلمين بهذه البلاد.

الصعوبات التي واجهتني خلال هذه الدراسة:

لقد واجهتني بعض الصُعوبات، التي هي نفس ما يُواجه كلُّ باحث مُبتدئ مِثلي، مِن صعوبة تقسيم الوقت، أو البحث عن المصادر والمراجع، والوصولُ إلى ما يُفيد هذه الدراسة، فالمعلومات المتعلِّقة بها، قليلةٌ ونادرة.

وأودُّ أن أشير أخيراً، أنَّ هذا البحث أراد أن يُنصِفَ ولو بحجمٍ صغير، هؤلاء الذين يَنتَمون إلى أمَّتِنا العَظيمة، وأن يَعرفوا ويَعرِفَ غَيرُهم، الأدوارَ التي كانت لهُم في الماضي، حتَّى لا يُهضَمَ حقُّهُم، ضِمن مَسيرة التَّاريخ الذي شاركوا في تسطيرِه؛ فقد حاولتُ دائماً، وكان هَدفي الوصولُ إلى الحقيقةِ وحدها.

وفي الأخير، لا يفوتني أن أشكر كلَّ مَن ساعدني في إنجاز هذه الرسالة، وآزرني ولو بالدُعاء؛ والشُكرُ الكبيرُ والجميلُ مَوصولٌ إلى أستاذتي المشرِفة، الدُكتورة سامية أبو عُمران، التي تشرَّفتُ بأستاذِيتِها وإشرافِها، فكنتُ مَحظوظاً في ذلك، وقد أسدَتني النُصحَ والتوجيه، فأتمنى لها طولَ العُمرِ والنَّجاحِ في حياتِها العِلميَّة والخاصة. كما أشكرُ أعضاءَ لجنةِ المناقشة الذين سيثرون هذه الدراسة بآراءهم وتوجيهاتهم القيِّمة والنيِّرة، فأتمنى أن يكونوا دوماً ذُخراً وعَوناً لكلِّ باحثٍ عن العلم النَّافع، المنزَّهِ عن كلِّ الأغراض غير السليمة والسَويَّة.

فَإِنْ أَكُ قَدْ وُفِقْتُ فِيهِ فَإِنَّهُ * مِنَ اللهِ تَوْفِيقِي وَفِيهِ النَّوَائِلُ

وَإِنْ أَكُ قَدْ أَخْطَأْتُ فِيهِ فَإِنَّنِي * أَنَا المُخْطِئُ الجَانِي أَنَا المُتَطَاوِلُ*

* البيتان لد. محمد الروقي : **القواعد الفقهية من خلال كتاب الإشراف للقاضي عبد الوهاب البغدادي**، دار البحوث للدراسات الإسلاميَّة ولإحياء التراث، دبي، 2003، ط.1، ص.15.

فَصْـــــلٌ تَمْـــــهيدِي

التَّعــــريفُ بالبـَرْبَـر

المَّبحثُ الأوّل : أصولُ البربر والاختلافُ حولها

المَّبحثُ الثَّاني : تقسيماتُ البربر

المَّبحثُ الثَّالث : الاختلافُ حول التَّسميَّة

إنَّ التعريفَ بالبربر، أصبح على طُول الزمن، أمراً خطيرَ التناوُل، وحقلاً شائكاً وحافلاً بكثير مِن الافتراءات؛ ولذلك صَعُبَ الخوضُ فيه. وبالرّغم مِن كلِّ الدِّراسات التي ظهرت، -في القديم والحديث-، فإنّ هذا الموضوع، لم يَحْظَ بإماطة كلّ اللثام عن وجهه، أو إبرازِ الشخصيَّة التَّاريخيَّة الحقيقيَّة لهم؛ فلوَفرةِ ما قِيل وكُتِبَ مِن آراءٍ وأفكار، ولكَثْرَة ما اعتُمِد على مرجعياتٍ وسياساتٍ مختلفة؛ فقد زادته غُموضاً وإبهاماً. فإلى ماذا يرجع كلُّ هذا الاختلاف في التعريف بهؤلاء العناصر البشرية، مِن حيث الأصول والتقسيمات والتَّسمية؟.

المَّبحث الأوَّل: أصول البربر والاختلاف حولها

إنَّ مُحاولة البحث عن أصول البربر، لهُو أمرٌ شديدُ الحساسيَّة؛ خاصةً في وقتنا الحالي الذي دخلت فيه شعوب العالم عصرَ العَولمة المعلوماتيَّة والتقنيَّة والسُرعة؛ -وإنَّ مِن مُتطلّبات السُرعة: الصَراحةُ والوضوح-، وفي هذا الزمن الذي انكفأَت فيه كثيرٌ مِن الأُمم على تطويرِ نفسِها، والنظرِ بعين التكنولوجيا والعلوم، نحو المستقبل؛ فكيف ببالِك وأنت تُحاولُ أن تأخذَ بفكر هذه المجموعة البشريَّة، للاستقصاء عن أصولِها وماضيها السَّحيق.

أصول البربر عند المُّؤرخين القُّدماء

إنَّ جُلَّ الدِّراسات القديمة حول الأصول البربريِّة، دخلت بنا ميدان الأُسطوريَّة والتَّقاذف بها، -إمَّا شرقا أو غرباً-؛ فهل يُمكن أن يكون لهذا العُنصر البَشري أكثر مِن عشرة أصول؟، فالإجابةُ ستكون بالنفي طبعاً. والإشكالُ المطروحُ هو أيُّ مِن هذه الأصولِ هو الصَّحيح؟، فالردُّ سيكون صَعباً جداً، ولكن حتماً هناك إجابةٌ واحدةٌ هي الصَّحيحة. ولكن أيٌّ مِنها؟؛ وبعبارةٍ أخرى، -لنفس الاستفسار-، مِن أين قدِم هؤلاء البربر؟.

وهذا الأمرَ المحيِّرَ جعل البعضَ يُعلِّقُ على ذلك بالقول : لم يَترُك مُرَوِّجو هذا السُؤال جهةً في العالم، إلاَّ وافترضوا أنَّ قُدماءَ البربر، يكونون قد قدِموا مِنها![1].

(1)- عقون (محمد العربي): **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، د.م.ج، الجزائر، 2008، ص.157.

وإنَّ إلقاءَ نظرةٍ شاملةٍ على آراء بعض المؤرخين القُدماء، يُعطينا فكرةً واضــحةً لِنسبة البربر إلى شعوبٍ أجنبيَّةٍ مُختلفةٍ؛ وهذه الشعــوب قد دخلت المِنطقةَ لأسبابٍ شتى: سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ على الأخصِّ.

ومع مجيء هذه العناصر الأجنبيَّة المختلفة، حدثَ لها اندماجٌ مع عناصرَ أخرى، كانت موجـودة أصلاً بالمنطقة؛ فمرَّةً تقوم بتسميتِها، وتتجاهلُها في كثيرٍ مِن المرَّات.

لقد قام هيرودوت (ت.**425** ق.م) بنســبةِ البربر إلى الطَرواديين (**Troyens**) الفــارِّين مِن مدينة طَـــروادة (**Troie**) التَّــاريخيَّة، بعد القضـــاءِ عليها مِن طـــرف التَّحـــالف اليوناني، بين القرنين **11** و**12**ق.م[1]، ويُســـمِّيهم باللِّيبيين أو الماكسي (**Maxyes**). وحيثُ يُعرِّفُـهم بأنَّهم البربرُ المســـتقِرُّون الذين يَحترفون زراعةَ الأرض، ويُقابلُهم اللِّيبيون الرُّحَّل الذين ينتشرون على طولِ الساحل[2].

لقد أعطى هذا المؤرخ وصفاً خاصاً لنشاط كلِّ مجموعةٍ، رابطاً ذلك بنوعِ التربة بصـفةٍ خاصـــةٍ، والبَيئةِ بصفةٍ عامة، حتى تكاد تجده ينطبق على الفترةِ المعاصرة[3].

إنَنا سنجد رأياً آخر حول أصلِ البربر، والذي ينقلُه لنا المؤرخ اليوناني سترابون (ت.حوالي**25**م)، فهو يقول أنَّ جذورَهم تعود إلى الهِند؛ فهم هُنـــودٌ حسب اعتقادِه. هذه النظرةُ وَجَدَت لها تأييداً، مِن بعض المحدَثين الذين حاولوا إثباتَها بعلم الوراثة[4].

وبالانتقال إلى أشهر المؤرخين الرومان سالوست (ت. **35** ق.م)، سنجده يُحدِّثُنا عن اختـــلاط شعوبٍ مَشرقيَّة مع مجموعةٍ سُكانيَّة كانت موجودةً أصلاً في المنطقة.

فالسكان الأصليون، هم الذين سكنوا إفريقيا منذ أقدم العصور، ويَتَمَثَلون في الجيتول(**Gétules**) والليبو (**Libyens**)، فيوصــفون بصفـــاتٍ مُتوحِّشة؛ وقد اندَمجُـــوا مع الميديين (**Mèdes**) والأَرمَـــن

---

(1)- انظر: Camps (G): **Les Berbères:Mémoire et Identité**, éd.Barzakh/Actes Sud, Alger, 2011, p.42.

(2)- انظر: Gsell (S) : **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**, éd.Librairie Hachette, Paris, 1927, T.5, pp.84-85 ; Camps (G) : op.cit, p.37.

(3)- عقون (محمد العربي): المرجع السابق، ص.157.

(4)- نفسه، ص.189 ؛ يُنظر أدناه ص.8.

(**Arméniens**) والفُرس (**Perses**) بصفةٍ خاصة.

وهذه العناصر قد جاءت كُلُّها مِن إسبانيا، عابرةً البحــر في سُفُنٍ، وتقودُها شخصيَّةٌ تُعــرَفُ بهيرقل؛ ثمَّ إنَّ اختلاط هؤلاء القادمين مع السُّكان الذين وجدوهم أمامَهم، يبدو فيه كثيرٌ مِن نسجِ الأساطير(1) غير المؤسَّسةِ والمقدَّمةِ مِن طرف هذا المؤرخ(2).

ونصل إلى العَهد البيزنطي، فنجدُ مؤرخاً آخر يُقال له بروكوب (ق.**6** م)، فهو يُعطينا رأياً مُغايراً حول أصــول البربر، فيذهب إلى أنَّهم كنعانيون (**Cananéens**) مِن فِلسطين؛ وكانت هذه المجموعة قد نزحت إلى مِصر،بعد فتح البلاد مِن طرف يوشَع النَّبي،ثمَّ إلى غرب بلاد مِصر حيث استقرُّوا(3).

إنَّ مُلاحظةً بسيطةً إلى هذه الآراء، تُعطينا فكرةً واضحةً، بأنَّ أصحابَها قد جعلوا أصــل البربر شَرقياً، وارتـكـز مُعظم هؤلاء المؤرخين، على أساطيرَ واهية؛ حيث لا يُمكنُ الاعتمادُ عليها في وقتِنا الحالي، وإن كانت مَقبولةً في حينِها ومُسلَّمٌ بها؛ وحيث تتَّخِذُ هذه الآراء في أكثر الحـالات شـكلَ الأخبار التي تُفسِّرُ أصلَ بعضِ الأشياءِ وعِلةَ ظهورِها للوجود(4).

والمقــامُ هنا يُرغِّمُنا على طَـرح هذا السُـؤال: هل هذه الأساطــير والآراء التي حَمَلـها كُلٌّ مِن هيرودوت وسترابون وسالوست وبروكوب وغيرُهم، كانت مِن وضعِهم أم نقلوها عن الشعـوب التي يَنتمون إليها؟.

أصول البربر عند المُؤرخين والجُغرافيين المُسلمين

إذا قمنا بقراءةٍ مُتفحِّصةٍ لمصادر المسلمين في العصر الوسيط، ستُعطينا فكرةً عامةً على نِســبةِ هؤلاء البربر إلى الشرقِ أيضاً، وخاصةً إلى بلاد اليَمن أو الشَّام.

(1)- انظر: Camps (G) : **Berbères : aux marges de l'histoire**, éd.des Hespérides, 1980, pp.19-20.

(2)- انظر: Julien (Ch.A) : **Histoire de l'Afrique du Nord**, éd.Payot et Rivages, Paris, 1994, p.62.

(3)- عقون (محمد العربي): المرجع السابق، ص.190.

(4)- ينقل لنا صالح بن حمادي في كتابه الخاص بدراسة الأساطير والمُعتقدات الغيبيَّة تعريفا للأساطير فيقول: " إنَّ الأساطير والأخبـار المُقدَّسة الشبيـهة بها، هي بصـورةٍ عامـةٍ، قصصٌ كانت مختلف الشعوب الإنسانيَّة تحكيها قديما، في بعض المناسبات وتعتقد أنَّها قصصٌ حقيقيَّة تروي وقائع ==

فابن عبد الحَكم (ت.**257**هـ/ **871**م) ينسبُ هؤلاء السكان إلى فلسطين، حيث كان مَلِكُهم (جالوت)؛ فلما قتله داودُ النبي، خرج البربرُ مُتوجّهين إلى المغرب، حتى انتهوا إلى لوبية[1] ومْراقية[2]، وهما كورتان من كور مِصر الغربيَّة فتَفرَّقوا هناك[3]، ثمَّ يورِد لنا كيف توزَّعت هذه القبائلُ في المناطقَ المختلفة من هذه البلاد.

ونجد أنَّ البَلاذُري (ت.**279**هـ/ **892**م)، يؤيِّد ابن عبد الحَكم، ويَنكرُ عليهم زعمَهم أنَّهم من ولد بُر بن قَيس؛ ويقول أنَّ الله لم يجعل لقَيس من ولد، وإنَّما هُم مِن الجَبَّارين الذين قاتلَهم داود، –عليه السَّلام–، كانت مَنازِلُهم على أعادي الدَّهر فِلسطين، وهم أهلُ عمودٍ فأتوا المغرب فتناسلوا (به)[4]. كذلك يفعل الجُغرافي أبو القاسم ابن حوقل (ت.**367**هـ/ **977**م)، إذ يقول: "وجميعُهُم (البربر السُّكان) مِن ولد جالوت إلاَّ اليَسير مِنهم"[5].

ونقل لنا المؤرخ الأندلسي ابن حزم (ت.**456**هـ/**1064**م)، في جَمهرَتِه، أنَّ البربر من أصل الكنعانيين :"فهُم أبناء كنعان بن حام بن نوح النَّبي"؛ وهو بذلك يُؤيِّدُ رأياً لبعضِ نسَّابي البربر، ويُلغي رأياً آخر، يقول أنَّهم مِن اليَمن، ومِن أبناءِ بُر بن قيس عيلان[6]، واعتبرها مِن تكاذيبِ مُؤرخي اليَمن[7]. وقد أيَّدَه في ذلك ليفي بروفنسال، قائلاً أنَّ ابن حزم رجع إلى الصوابِ فيما يَتَعلَّقُ بأصلِهم الحِميَري المزعوم[8].

== وأحداث حصلت بالفعل في يومٍ من الأيام"، بن حمادي(صالح): **دراسات في الأساطير والمُعتقدات الغيبيَّة**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1983، ط.1، ص.30.

(1)- لوبية: بالضم ثُمَّ السكون، وياء مُوحَّدة من تحت، مدينة بين الإسكندرية وبرقة، يُنسَبُ إليها لوبي ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، 1995، ط.2، ج.5، ص.25.

(2)- مراقية: بالفتح والقاف المكسورة والياء مُخفّفة، إذا قَصَدَ القاصدُ من الإسكندريَّة إلى إفريقيَّة فأوّل بلدٍ يلقاه مراقية ثمَّ لوبية، نفس المصدر السابق، ص.94.

(3)- **فتوح إفريقيَّة والأندلس**، تح.عبد الله أنيس الطبّاع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987، ص ص. 27-28.

(4)- **فُتوح البلدان**، تح.عبد الله أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص.315.

(5)- **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص.97.

(6)- **جمهرة أنساب العرب**، تح. ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1948، ص.461؛ نفس المصدر، تح.عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص.495.

(7)- لم يُوضّح لنا ابن حزم من هؤلاء المؤرخين الذين قالوا ذلك؟، وكيف عرف أنّها مِن التكاذيب؟!.

(8)- نفس المصدر السابق، تح.ليفي بروفنسال، ص.9.

إنَّ نفس الرأي السابق حول الأصل الكنعاني للبربر، ينقـــلُه لنا الأديب ابن دِحية الكلبي (ت. **633**هـ/ **1294**م)، حيث أشار إلى مَوطنهم بفلسطين ومِصر، وقد نقلــهم إفريقش بن أبرهة، الذي خرج غازياً نحو المغرب، فأوصلَهم إلى مَساكِنهم اليوم[1]؛ وكذلك يقول ابن الأثير[2].

أمَّا الجُغرافي ياقــوت الحَمَوي (ت.**626**هـ/ **1228**م)؛ فيَتَناولُ في مُعجمِه آراءً عن أصـــل هؤلاء البربر، حيث يُفنِّد نِسبَتَهم إلى العربِ كما يزعُمون، ويَصِفُ ذلك بالبُهتان والكَذِب. كما يوردُ لنا رأياً حول نِسبتِهم إلى العَماليق[3]، ثمَّ يُنسِبُهم أخيراً مع كثيرٍ مِن الإثبات والترجيح، إلى أنَّهم بَقِـــيَّة قوم جالوت، الذين هربوا إلى المغرب فتَحَصَّنوا في جبالِها وقاتلوا أهل بِلادِها[4].

إنَّه ليس هناك عَجَبٌ في موافقةِ رأي هذا الجُغرافي، مع رأي ابن حوقل، فهو ينقـلُ عنه كثيراً مِن كتاباتِه، لكن الشَّيء الذي لم يُوضِّحه، هو مَن هؤلاء الذين وجدَهم بَقيَّةُ جالوت، عند وصـــولِهم بلاد المغرب؟.

ويُفسِّرُ قبل ذلك المسعودي (ت.**346**هـ/**957**م) في كتابِه (**المُروج**)، هذه القصَّةَ بالتفصيل، إذ يَذكُرُ أنَّهم كانوا مع جالوت، في حربِه مع داود النَّبي في فِلسطين[5].كما يَنقلُ البّكري (ت. **487**هـ / **1094**م)، نفسَ القِصَّة عن إجلاءِ اليَهود لهم مِن فِلسطين[6]. وهما بذلك يَشتركان مع صاحـــب **مفاخر البربر**[7] في نفس النَّقل.

ووصولاً إلى مَن استفاض في دراسةِ البربر بإسهـــابٍ كبير، وأفردَ لهُم مساحةً كبيرةً في مُصَنَّـــفِهِ الضَّخم، وإنّنا نَعني عبد الرحمان ابن خلدون (ت.**808**هـ/ **1406**م)، فهو ينقل لنا عِدَّةَ أقـــوالٍ عن أصل البربر فيقول :

---

(1)- **المُطرب من أشعار المَغرب**، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ط.1، ص.65.

(2)- **الكامل في التَّاريخ**، تح. أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت،1987، ط1، ج.1، ص.155 و ج.2، ص.428.

(3)- العماليق ينسبون إلى عمليق بن يلمح بن عامر بن أشليخ بن لاوذ بن سام بن نوح،ياقوت الحموي، نفس المصدر السابق، ج1، ص.368.

(4)- نفسه.

(5)- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، المكتبة العصريَّة، بيروت، 2008، ج.1، ص.44.

(6)- **المسـالك والممـالك**، تح. جمـال طُلبة، دار الكتب العلمـيَّة، بيروت، 2003، ط.1، ج.1، ص.79.

(7)- مُؤلِّف مجهول: **مفاخـــر البربر**، تح.عبد القادر بوباية، دار أبي رقـــراق، الرباط، 2005، ط.1، ص.195.

"فمِنهم مَن يُنسبهم إلى إبراهيم النبي، ومِنهم مَن يقــول إنَّهم يمنيون، تفرَّقوا بعد تهدُّم ســدِّ مَأرب، ومَن يقول أنَّهم مِن لَخم وجُذام، مَنازلُهم بفِلسطين، حيث أخرجَهم مُلــوك فارس؛ ومِنهم مَن يقول أنَّهم مِن ولدِ النُّعمان بن حِميَر بن سَبأ"؛ ونقل ذلك عن ابن عبد البَّر، ومُتَّهِماً البربر بادِّعاء ذلك. ويُواصل هذا المؤرخ في نقلِ مُختلفِ الآراء، فيُضيفُ "أنَّ هناك مَن يقول أنَّهم مِن كنعــان والعَماليق"، نقــلاً عن الطَبري وغيرِه، "ومِنهم مَن يقول أنَّهم مِن ولد جــالوت، وأنَّ إفريقش هو مَن نقلهم مِن سَواحل الشَّام وأسكَنَهم إفريقية"[1].

وبعد إيراد كلِّ هذه الآراء، يقوم عبد الرحمان ابن خلدون بدفعِها كُلِّها إلاَّ واحــدةً مِنها، حيثُ يقول: "أنَّه لا ينبغي التَعديلُ على غيرِه في شأنِهم، أنَّهم مِن ولد كنعان بن حام بن نوح"[2][*].

وتلخيصاً لأقــوال المؤرخين والجُغرافيين المسلمين، وتفسيراتِهم حول أصــولِ البربر، حيث نجــدها كُلَّها تتَّفِقُ على أنَّهم أقوامٌ هاجرت مِن فلســطين (بلاد الشام)، أو مِن اليَمن، وأنَّهم يرجِــعون إلى جُذورٍ كَنعانيَّةٍ أو حِميريَّة، مع لفِّ كلِّ ذلك بكثيرٍ مِن الأسطورية؛ وهذا مِثلما قامت به الدراســات القديمة.

أصول البربر عند المُؤرخين المُحدَثين

لم تخرج الدِّراسات الحديثة، لأصول البربر، عن الخطِّ الذي سبقَها في العَصرَين القديم والوَسيط؛ فقد استندَت عليها لمحــاولة تأكيدِها؛ إمَّا عن طـريقِ البُحوث اللِّســانيَّة، أو عن طـريق الأركيولوجيا (علم الآثار)، أو الأنثروبولوجيا[3].

---

(1)- عبد الرحمان ابن خلدون: **التاريخ**، ضبط واعتناء. خليل شحاتة ومراجعة سُهيل زكَّار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج.6، ص.120 وما بعدها

(2)- ابن خلدون: نفس المصدر السابق، ص.127.

(*)- لقد انفرد كل من ابن حزم وابن خلدون في إيراد مجموعة من النسّابة البربر، ولكن دون التعريف بهم، ويقول روني باسي : " لقد كان ابن خلدون، -تقريباً-، الوحيد الذي رجع إلى هذه المصادر، حيث استخدمها في قسمٍ كبيرٍ من كتابه العِبر،وأهمل في إعطائنا معلومات وافية عن أصحابها، ممَّا جعلنا نجهل في أي عصرٍ عاشوا،وبأي لغةٍ كتبوا أنسابهم".انظر: Basset (R) : ¨**Les généa-logistes berbères**¨, Les archives berbères, publications du comité d'études berbères de Rabat, 1915, V.1, Fasc.2, p.3.

(3)- الأنثروبولوجيا: هو علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً. حول مفـهوم الأنثروبولوجيا والاختلاف حولها، ونشأتها يُمكن الرجوع إلى كتاب فهيم (حسين): **قِصـة الأنثروبولوجيا**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1986، ع.98.

وإذا كان بعضُ الألمان –خاصةً –، قد أخـذوا الطريق الأوَّل، وتَميَّزوا فيه، فإنَّ الفِرنسيين سَلكوا الطريق الثَّاني، وذلك لأغراض خاصة ستُذكر لاحقاً.

فالمؤرخ الألماني موفرز (**Movers**)حاول في كتابِه: الفينقيي (**Die phönizer**)الصادر في **1856** إثبات صِحَّة ما نقله لنا سالوست وبروكوب سابقاً؛ ففي تقديرِه أنَّ الكنعانيين الفارِّين، عـــبروا إلى إفريقيا في سُفُـــن الفينيقيين واختـــلَطوا بالليبيين الأوَّلين[1]؛ ونفسُ ما جـــاء به موفرز، أشـــار إليه دي فيتا(**Divitta**)[2].

كما انتشر رأيٌ آخـر يقول أنَّ أصـل البربر هِندي؛ وهو بذلك يُحاول أن يُدعِّم ما رآه سترابون، ومِن أمثال هؤلاء: برومر (**Brumer**)، وريتر (**Ritter**) الذين يُحاولون إثبات ذلك عن طريق تشابُـــه الأسمـــاء بين عدَّة مناطـق ومُدن شَرقيَّة، كاسـم قبيلة وروارة في هَضبة الدُكُـــن بالهِند، واسم مدينة بَرابِرة[3]، على السَّاحل الصومالي.

وفي هذا الإطـــار، قام برتولون بدراســة المفردات والأسماء البربريَّة، ليجِد أنَّ بعضَها ذو أصـــولٍ إغريقيَّة، فاستخلص أنَّ البربر لهم نفسُ الأُصول هم أيضاً[4].

واعتماداً على نفس المنهج اللِّساني (اللغوي)، يخـوض بنا هروزني (**Hrozny**)،–في كتـــابه عن آسيا الداخليَّة والهند وكريت"–، في مَسلكٍ كبير، مُحاولاً التأكيد على القرابة بين اللُّغات الحـــاميَّة–الساميَّة، واللُّغات الهندوأروبيَّة.

إنَّ هذه القـــرابةَ اللُّغويَّة، يُوضِّـــحُها لنا محـــمد بن عَطيَّة، في أطروحتِه، بشيءٍ مِن الإسهـــاب؛ فبالاعتمـــاد على نفس المنهـــج، حاول أن يُبيِّنَ لنا أنَّ بعضَ العربِ القُدماء، (مِن جنـوب الجزيـرة العربيَّة)، صَعَدوا شمالاً حتَّى بلاد الرافدَين ثمَّ القوقاز، وذهبوا شرقاً حتَّى الهِند، ومِنهم مَن ذهب غرباً

(1)- عقون (محمد العربي): المرجع السابق، ص.193.
(2)- نفسه.
(3)- بربرة أو برابرة: بلاد بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان جداً، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.1، ص.369.
(4)- عقون (محمد العربي): نفسه، ص.94. (نقلاً عن بحث ل. Berthelon):

"**Les premiers colons de la souche européenne dans l'Afrique du Nord**¨, in Revue tunisienne 1897-1899, IV-VI.

حتى مِصر وغربها.

إنَّ ما يهمُّ في هذه الدراسة، أنَّ البربر هم جُزءٌ مِن هؤلاء النازحين، ومِثلهم فعل الإيبيرون **(Ibériens)** القدماء؛ ويصل بنا في الأخير إلى أنَّ كلمتي البربر وإيبيريا، هما مِن نفس الأصل[1].

كما اشتهر في هذا المجال ديزونج **(Desanges)**، الذي قام بمُقارنة لُغة الباسك مع لُغة البربر، فتوصَّل إلى نفس النتيجة[2].

إنَّ هذه الدراسات، لم تَصِل بنا إلى حلٍ نهائي حول أصل البربر، حيث اعتمدت على مُقاربات لسانيَّة، ومُحاولة إيجاد مُرادفات لُغويَّة، تصل إلى أصلٍ واحد؛ وهي بذلك ترمي فقط التأكيدَ على الأصل الأجنبي لهؤلاء السُكان، وذلك انطلاقاً مِن مُسلَّماتٍ سابقة؛ وهو نفس العمل الذي قام به أُليفيي، اعتماداً على مُقاربات غلوسولوجية، -دراسة المفاهيم والكلمات القديمة-، فتوصَّل إلى أنَّ البربر مِن الشعوب الآرية **(Aryens)**[3].

أمَّا الدِّراسات التي اعتمدت على الأركيولوجيا و الأنثروبولوجيا، فقد ربطت أيضاً، هذا العنصر المحلي بالعنصر الخارجي؛ وذلك دون إعطاء أيِّ إثباتٍ علمي فاصل، بل اعتماداً فقط على مجموعةِ مَرجعياتٍ عُنصريَّةٍ أو استعماريَّة؛ وقد سلك هذا الطريق الدارسون الفرنسيون على الأخصِّ.

فالمؤرخ ستيفان ڤزال، يُشير إلى أنَّ البربر مِن أصلٍ أوروبي، مُعتمِداً على مُقارنة الشكل الخارجي للبربري ذو الشعر الأشقر والعيون الزرقاء، أو بمُشابهة الطقوس الجنائزيَّة ومقابر الدولمن الموجودة على ضفتي المتوسِّط الشماليَّة والجنوبيَّة[4]؛ وهذا نفس ما قاله أُليفيي، الذي نَسَبَهم إلى الشعوب السِلتيَّة **(Celtiques)**[5]، ومِثلُه فعل بْرِنت شُو **(Shaw)**، في منتصف القرن**18**م، ثمَّ كُلاًّ مِن

---

(1)- للاستزادة انظر: Benatia (A):**Ibérie et Berbérie**,**de la colonisation arabique au colonialisme romain**, Alger, 2003.
وعنده سنجد أنّ كلمة بَرْ: "قد تعني أرض أو تقي أو صالح، أما بِرْ: فقد تعني إحسان أو حُب، وبذلك فإيبيريا تعني أرض الصالحين أو جزيرة التقوى مثلاً، وبلاد البربر، أيضاً، تعني ذلك".

(2)- عقون (محمد العربي): المرجع السابق، ص.196.

(3)- انظر: Olivier (M.G) :**Recherches sur l'origine des Berbères**, éd.l'Odyssé édition, Tizi-ouzou, 2009, p.109.

(4)- انظر في ذلك: Gsell (S): op.cit, p.305 sqq.

(5)- انظر: Olivier (M.G) : op.cit, p.100.

فيرو (**Féraud**) وكريستي (**Cresty**)، اللذين قاما بأبحـــاثٍ أثريَّةٍ في جنوب قسنطينة، وتوصَّـــلا إلى أنَّهم مِن أصلٍ غالي-روماني[1] (**Gallo-Romain**).

وانتهاءً، نقول أنَّ هذه الدِّراسات والكتابات؛ سواءً كانت في الفترة القديمـــة، أو القروسطيَّة أو الحديثة، حاولت كلُّها أن تجد أصلاً لهؤلاء السُكان؛ فتكلّــفَت في ذلك أيُّمَا تَكلُّــف، فذهبت في كلِّ اتجاه؛ فتارةً هُم مِن طروادة، وتارةً مِن الهِند، ومرَّةً هُم مِن الكنعانيين، أو مِن اليَمــن (حِميريين)، ثمَّ هُم مِن أصلٍ أوروبي...

إنَّ كلَّ رأيٍ مِن هذه الآراء، لم يُحاول أن يُثبِت ذلك بالدلــيل القاطــع، بل فقط اعتمــاداً على مَرجــعيات مُختــلفة؛ سواءً كانت أسطوريَّةً أو دينيَّــةً أو عُنصــريَّة؛ لكــن الشيءَ المميَّزَ في كلِّ هذه الأبحاث، أنَّ كلُّ واحدةٍ مِنها لم تُنكِر وجودَ عنصرٍ مَحلي في المِنطقة، سواءً ذكرتهُ أو تجاهلَته.

وأخيراً، ومَع التطوُّر العِلمي الذي وصَله الإنسان، فإنَّه بات بالإمكانِ دَمجَ كلِّ هذه الدِّراسات (اللسانيَّة مِنها والأركيولوجيَّة والأنثروبولوجيَّة)، والخروجَ بنظريَّةٍ علميَّةٍ حقيقيَّة؛ تُؤكِّد لنا أصلَ هؤلاء السُكان، -إن ظلَّ الأمرُ يُلِحُّ على ذلك-.

المَّبحث الثَّاني : تقسيمات البربر

إنَّ تقسيمات البربر، قد أخذت، -هيَّ أيضاً-، حيِّزاً كبيراً مِن الدِّراســة، وعرفــت رُدود فِعــلٍ مُختلفة،-مِثلُها مِثل دراسةِ أصولِ البربر-؛ فهل كانت هذه التقسيماتُ معروفــةً عند هؤلاء السُكان قَبْلاً، أم هيَّ مِن وَضعِ غيرِهم؟.

إنَّ المصـــادر القديمة حين تحدَّثت عن أصـــولِ البربر، وأسهبَت في ذلك أيُّمَا إسهــاب، -كما وضَّحنا ذلك سابقاً-، لم تُعطِنا ما يُشبِهُ التقسيمات القَبَليَّة الواردة في المصادر الإسلاميَّة.

لقد عُــرِف سُكـــانُ هذه المنطــقة دائماً، بصِنفَين مُميَّزين: الليبيون والجيتول، عند سالــوست، المستقِرُّون والرُحَّل عند هيرودوت، وكان أساس هذا التقسيم دائماً، هو النشاط الزراعي[2].

(1)- عقون (محمد العربي): المرجع السابق، ص.195.

(2)- يقول ستيفان قزال: "إنَّ النصوص الإغريقيَة، تُعطينا أسماءً لبعض القبائل أو الجماعات السُكانية، التي كانت تعيش في شمال إفريقيا،قبل الاحتلال الروماني"؛ويُضيف:"إنَّ هذه الأسماء قد لا = =

كما تمَّت دراسة هؤلاء السُكان، حسب الدُول والاتحادات القديمـة التي ظهـرت في المنطقة، فشاعــت تسميات الماصـيل والماصيصيل[1] والنوميديين، وموريطانيا القَيصَريَّة وموريطانيا الطَنجيَّة، – وكلُّها مفاهيم تاريخيَّة لا يُمكن تجاهلُها–؛ غير أنَّه لم تَتِم الإشارةُ مُطلقاً لِما يُشـبِه التقسيمَ الذي أوردَته المصادرُ الإسلاميَّة العربيَّة.

إنَّ الشيء المهِمَّ في تلك الدِّراسات القديمة ، أنَّها لم تُنكِر أنَّ البربر، قد عَرفوا السُلـطة النِّظاميَّة وقوانينَ الاجتماع؛ وذلك راجعٌ إلى ضرورات الحياة الرَعَويَّة أو الفلاحيَّة، والتي فرضـت عليهم قانون التَّجمُّع الأكثر امتداداً وقُوةً، من قانون العائلة ذات الأصلِ الواحد[2].

لقد أورد ابن خلدون، في ديوانه الضخم، التَّقسيمات الجديدة للبربر، فقال: إنَّ علمـاء النسب اتَّفقــوا على أنَّ البربر يَجمعُهم جِذمــان[3] عظيمان وهما : بُرنُس وماذْغيس[4]، ويُلقَّــبُ ماذغــيس بالأَبْتَر، فلذلك يُقال لشُعوبِه البُتْر، ويُقال لشعوب بُرنُس: البَرانِـس[5]، وهذا نفس ما أتى به وقالــه ابن حزم سابقاً، فبُرٌ كان قد أنجب ماذغيس وبُرنُس[6].

لكن هل هذا التقسيم مِن وضع البربر أنفسهم، أم مِن وضع العــرب الذين فتحــوا المنطقة، ثمَّ استقرُّوا فيها؟.

== تعني قبائل بعينها، وإنَّما قد تعني مجموعة قبائل متَّحدة، في حدودٍ قد تكون ضيِّقة". انظر:
Gsell (S): op.cit, p.82.

(1)- انظر: Ibid, pp. 96-97.

(2)- انظر: Julien (Ch.A) : op.cit, p.71.

(3)- الجِذم في اللسان العربي هو الأصـل، الفيروز آبادي: **القامـوس المُحـيط،** تقديم وتعليق أبو الوفـاء الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ط3، ص.1098.

(4)- يقول كلٌ من بيليي ودوزاييف: "إنَّ قدماء مؤرخين العرب لشمال إفريقيا، قد قسَّموا السُكان البربر إلى صنفين: البُتر والبرانس، وذلك حسب ما كان يبدو لهم؛ وإنَّنا لا نجد أيَّ أثر لهذه المصطلحات في الفترة التي تَسبِق الفتح العربي". انظر :
Bulliet (R.W) et Desaive (J.P):"**Botr et Beranés**: **hypothèses sur l’histoire des Berbères**" in : Annales, Economies, Sociétés, Civilisations, 1981,N°1, p.104.

(5)- **تاريخ ابن خلدون،** ج.6، ص.117.

(6)- **جمهرة أنساب العرب،** تح. ليفي بروفنسال، ص.461.

لقد أورد كلٌّ مِن، ابن حزم الأندلسي وعبد الرحمان ابن خلدون أسماءً لبعض النسَّابة البربر، وبهذا يُمكن الخلوص، إلى أنَّ البربر قد عرفوا نسَّابتَهم الخاصة؛ ولكن، كيف يُمكن إثبات أنَّ ذلك التَّقسيم، كان بمعرفتهم ومِن وضعِهم، أو كان عكس ذلك؟.

يقول عبد العزيز سالم، أنَّ العرب لما فتحوا بلاد المغرب، وفَطِنوا إلى التَّشابُه الكبير بينهم وبين البربر، في انقسامهم إلى قبائلَ وبُطون، وفي صِفاتِهم كالشجاعة والخُشونة وحُبِّ القتال وحِدَّة الخُلُق تأثَّروا بتقسيمهم هم، -أي العرب-، إلى شعبين كبيرين : قَحطانيين وعَدنانيين، فقسَّموا قبائل البربر إلى جِذمين عظيمين[1].

غير أنَّ سعدون نصر الله يقول أنَّ هذه الأنساب مِن وضع البربر أنفسِهم، وكان ذلك في القرن الرّابع الهِجري، حيث كانت قد دُوِّنت بالعربيَّة، واتَّخذوا شجرة الأنسابِ العربيَّة أنموذجا، فقسَّموا قبائلهم إلى بُتر وبَرانِس[2].

إنَّ مُحاولة معرفة مصدر هذا التَّقسيم، سيكون دون جَدوى؛ لأنَّه يَنقصُه الدَّليلُ القاطع. ولكن ماذا كان أساسُه؟.

لقد تحدَّث عبد الرحمان ابن خلدون، عن هاتين المجموعتين، ووَصَفَ مَعيشتَهم، واتِّخاذِهم للبيوت بأنواعِها مِن حجارةٍ وطينٍ وخوصٍ وشجر، ومِن الشعرِ والوبر، وبيَّنَ كيفية اختلاف هذا المعاش بين المستضعفين مِنهم والمعْتَزين[3]. وهو بذلك يُميِّزُ بين قِسمين مِنهم، بحَسَب الطابع الحَضاري[4]، أو بحَسَب أنماط الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة[5]، مِن الغنى والفَقر مَثلاً.

فالبربر الحَضَر، -حسب هذا التقسيم-، يسكنون السُهول الخِصبة والمدن، ويعتمدون على الزراعة والصناعة؛ أمَّا البربر الرُحَّل فهم يعيشون على الرعي ويميلون إلى الإغارة على المناطق

---

(1)- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندريَّة، 2006، ص.19.
(2)- **دولة المُرابطين في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 1985، ط.1، ص.12.
(3)- **تاريخ ابن خلدون**، ص.116.
(4)- مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، مصر، 2004، ص.28.
(5)- لقبال (موسى): "**تيَّار الفتح في شمال إفريقيا ونتائجُه**"، الجزائر في التَّاريخ، م.و.ك، الجزائر، 1984، ج.3، ص.15.

المجاورة لهم[1].

وهؤلاء البربر المعروفـون بالبَرانـس، أصلُهم مِن سُكـان البحر المتوسِّط، وسكنوا في الشريـط السَاحلي والسُفـوح الشمالية لجبال الأطلـس التلِّي، ويَنتشر بَينهم بَيـاض البَشرة، وزُرقة العُـيون، وشُقرة الشعور؛ أمَّا البربر الرُحَّل؛ وهم البُتر فهم جُدُدٌ نِسبياً، أقبلوا مِن الجنوب الغربي للقـارة؛ وهُم سُمُر البَشرة؛ ثمَّ قد اختلطوا بالسُكان الآخرين[2].

ووجدنا مَن يدفع بهذا التَّقسيم، والذي يَعتمِدُ على أساس التَّحضُّر، -لأنَّه حَسَب رأيه-، يرى قبيلة زَناتة البُتريَّة الأصل، -والتي كانت على حدِّ قول عبد الرحمان ابن خلدون؛ أكثر قبائـل البربر حضارةً وعُمراناً-، فكيف لا تُصَنَّفُ ضِمن الجِذم الأوَّل؟[3].

إنَّ هذا التَّقسيم لقبائـل البربر، قد دعَّـمه تفسير لُغوي عربي لأصل هذه الكلمات، فالبُترُ هُم (العـارون) مِن الثياب، أو هي القبائـل التي كانت تَرتدي لِبـاساً قصير أو أبْتَراً[4]؛ والبرانـس هم المتدثِّرون بالبرانس. وهذا الأمر قد رفضه (روني باسي)، فحسب رأيه، فإنَّه ليس لزاماً على البُتري أن يكون عارياً مِن الثياب، كما أنَّه ليس شرطاً أن يكون البُرنُسي مُرتدياً له[5].

وقيل أنَّ القبائل البُتريَّة هي القبائل الوَبَريَّة، أو البدويَّة، وهي مأخـوذة من كلمة **(Botornos)** اليونانيَّة، والتي تعني البدو؛ والقبائل البُرنُسيَّة، هي القبائـل المدريَّـة أو الحضريَّـة المستقرَّة؛ وهي قد أُخِذت أيضاً مِن اليونانيَّة **(Baranos)** التي تعني حياة الاستقرار[6].

---

(1)- مؤنس (حسين): **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينيَّة، د.ت، ص.6.
(2)- مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.29.
(3)- سالم (السيِّد عبد العزيز): المرجع السابق، ص.19.
(4)- الدرّاجي (بوزياني): **القبائل الأمازيغيَّة**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج.1، ص.89.
(5)- سالم (السيِّد عبد العزيز): نفسه ؛ طه (عبد الواحد ذنون): **الإسـلام في المغـرب والأندلـس كيف انتشر ولماذا؟**، دار المـدار الإسلامي، بيروت، 2009، ط.1، ص.22 ؛ يُضيف جورج مارسي ملاحظةً تبدو بالنسبة له مُهمةً جداً، فهو يقول:"إنَّ كلمتي "بُتر"و"برانس"، هما كلمتان مفهومتان باللسان العربي، وليس باللسان البربري"، انظر :
Bulliet (R.W) et Desaive (J.P) : op.cit, p.105.
(6)- الدرَّاجي (بوزياني) : نفس المرجع السابق.

وشعوب البَرانِـــس، حَسَب عبد الرحمان ابن خلدون، سبعة أجــذام وهي: أزْداجة ومَصْمــودة وأَوْرَبة وعَجيسة وكُتامة وصَنْهاجة وأوريغة، ثمّ يزيـــد عليها ثلاثةَ أجــذام أُخرى، –حَسَب نسَّـــابةٍ آخرين–، فيذكر لَمْطَة وهَسْكورة وكَزولة. وبعد ذلك ينفي نِسبَةَ كُتامة وصَنهاجة للبرانِس، ويقول: " إنَّما هما مِن شعوب اليمانيَّة"، وهذا نقلاً عن الكلبي.

ويندرِجُ تحت هذه القبائل الرئيسة، قبائل أخرى مُتفرِّعة عنها أهمها: مَسْطاطــة مِن أزداجـــة، وغُمارة مِن مصمودة، وهوَّارة مِن أوريغة.

أمَّا شعوب البُتر فهُم أربعة أجذام وهي: أداسة ونَفُّوسة وضَريسة وبنو لُوا الأكبر، ويتفـرَّع عنها أيضاً قبائل أخرى مشهورة أهمُها: زناتة ونَفزاوة ومغيلة ومطماطة[1].

إنَّ هذا التقسيم أصبــح سارياً في كلِّ الدِّراسات، ســواءً قَبِلَه الدارسون أو رفَضوه. فقد صــار مُسَلَّماً به. وسَبَبُ الاعتمـاد على ما جاء به أوَّلاً، ابن حـزم الأندلـسي، ثمّ مِن بعدِهِ، عبد الرحمان ابن خلدون، يكمُـنُ في كونِهِما دليلانا إلى دراســة القبائل البربريَّة في القــرون الوسطى[2]، وهذا إلى أن يظهر مَصدرٌ آخر يتحدَّث عن الموضوع، –بصورة أخرى–، وهو أمرٌ مُستبعدٌ إلى يومِنا هذا.

المبحث الثالث : الاختلاف حول التَّسمية

إنَّ الاختلاف حول تسمية سُكان المنطقة، قد أخذ، –أيضاً–، حجمه مِن الدِّراسة، ولاقى كثيراً مِن التفسيرات اللُّغويَّة المتعدِّدة. فإلى جـانب وجود تسميات أخرى عُرِف بها هؤلاء السكـان: مِثل اللِّيبيين، أو النوميديين، أو البربر، سُموا بالأمازيغ. فإن كانت كلمة أمازيغ، هي التَّسمية الرائجـــة حالياً، والمحبَّبة عند أهلها، فإنَّ تسمية البربر كانت وما تزال الأكثر انتشاراً وتداولاً عند المؤرخــين. وبِما أنَّ مَوضوع دراستنا يدور حول هذا المفهـــوم، فهو سَيَلقى أكـــثر الاهتمام. فما أصـــلُ هذه التَّسمية؟ وما سِرُّ هذا الاختلاف حولَها؟.

إنَّ أقدمَ اســـم لسكان المِنطقة، والتي وردت عند المؤرخين القُدمــاء، كهيرودوت وسالوست هو اســـم اللِّيبيين، وقد أطلـقها عليهم المِصـريون القُدمـــاء. وقد يُميَّزون بوصــفِ البِيض أحياناً، حتَّى

(1)- انظر: ابن حزم الأندلسي: المصـدر السابق، ص.461 وما بعدها ؛ ابن خلدون : المصـدر السابق، ج.6، ص.116 وما بعدها.
(2)- لقد نقل كلٌ من أبو القاسم ابن حوقل وأبو عبيد البكري، أسماءً لقبائل البربر،ورُغم أنَّهما أسبق من ابن حزم الأندلسي وعبد الرحملن ابن خلدون، إلاَّ أنَّهما لم يُشيرا إلى نفس هذا التقسيم الخاص.

لا ينصرف المدلول إلى الليبيين السود، وهم الزنوج المجاورون لهم في الجنوب[1].

ولقد كانت هذه التَّسمية مُعمَّمَةً على جميع المناطق الممتدَّةِ مِن البحر الأحمر شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومِن البحر المتوسِّط شمالاً، إلى حُدود الصَحراء الجنوبية جنوباً. وهي بذلك، تشمُل أرض مِصر وبلاد المِغرب كلِّها حالياً[2]. كما تَمَّ إطلاقُ هذه التَّسمية على مدينةٍ بين الإسكندريَّة وبَرقة[3].

أمَّا مفهوم البربر فإنَّه يحمِل مَدلولاً لُغوياً، وآخر اصطِلاحياً، -وهذا حَسَب ما ورد في المصادر اللُّغويَّة و التاريخيَّة-.

فكلمة البربرة هي اختلاط الأصوات غير المفهومَة، ومِنه يُقال بَرْبَر الأسد : إذا زأر بأصواتٍ غيرَ مفهومة[4].

ووُجِد رأيٌ آخرٌ يُناقِضُ الشرحَ السابق، حيث أنَّ الكلمة مُشتَقةٌ من الفِعل العربي بَرْبَرَ بمَعنى همَسَ، لأنَّ اللَّهجة الإفريقيَّة كانت عند العربِ بمَثابة أصوات الحيوانات العَجماوات، ويرى البعض أنَّ بَرْبَر مُكَرَّرُ (بَرْ) الذي هو الصَحراء باللُّغة العربيَّة[5]؛ وهذا يتّفِق مع من يُحاول أن يقول أنَّ أصل البربر من اليَمَن.

أمَّا من الناحية الاصطلاحيَّة، فهذه الكلمةُ قد عُرِف بها سُكان منطقة بلاد المِغرب قبل الفتح الإسلامي، وخلال الفَترات التي لحِقَته. ووُجِدت روايةٌ حاولت تفسيرَ سببِ إطلاقِ هذه التَّسمية، ومَضمُونها: أنَّ إفريقش بن قيس مِن ملوك التَبابِعة، لما غزا المنطقة، رأى هذا الجيلَ مِن الأعاجم، وسَمِع رَطانتهم ووعى اختلافَها وتنوُّعَها، فعجِب مِن ذلك وقال:"ما أكثر بَرْبَرَتَكم!"، فسُموا بالبربر[6]. كمَّا وُجِدت روايةٌ أخرى عن إفريقش، حيث تقول أنَّه كان مُطارَداً مِن الأشوريِّين، أو

---

(1)- لقبال (موسى): المرجع السابق، ص.11.
(2)- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.5، ص.25.
(3)- نفسه.
(4)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.117 ؛ وجاء في **القاموس المحيط**، البربرة هي صوت المَعِز وكُثْرة الكلام والجَلبة والصِياح، ص.374.
(5)- الحسن الوزّان (ليون الإفريقي): **وصف إفريقيا**، تر.محمد حجّي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ط.2، ص.34.
(6)- ابن خلدون: نفسه ؛ مجهول: المصدر السابق، ص.196.

من الأثيوبيين، فاستشار قومَه فأشاروا إليه صارخين (البَرْ البَرْ!)، أي يَعنون الصَحراء[1].

وإذا كانت هذه الروايات يَشوبُها شيءٌ من الأُسطوريَّة، فقد توفَّر رأيٌ آخرٌ، يقول أنَّ هذا الاسم أطلقَهُ الرومان على هؤلاء السُكان، لأنَّهم كانوا يَعتبرونَهم غُرباءَ عن حضارتِهم، لذلك سَمَوهُم (بَربار). وهذه الكلمةُ مأخوذةٌ مِن (**Barbari**)؛ وذلك بسببِ عَجمَةِ لسانِهم[2]. وبعدها قام العربُ بتعريبِها إلى بَربَر، وبَرابِرة[3].

ويورد لنا حسين مؤنس رأياً آخر، يقول فيه أنَّ اليونانيين هم الذين سَمَوا سُكان المنطقة بهذا الاسم، ونقلهُ عنهم اللاَّتين، ثمَّ العرب[4].

وعلى العُموم، فإنَّ هذه التَّسمية، قد عُرِف بها هؤلاء السُكان، فاستُعمِلت عند اليونان باسم (بَرباروي)، وعند اللاتين باسم (بَرباري)، قبل الفتح الإسلامي للمنطقة[5]، وأقرَّه العربُ، -فيما بعد-، مع اختلاف التبريرات المقدَّمة.

إنَّ تسمية البربر هي التَّسميةُ الأكثرُ نَقلاً وشُهرةً حول هؤلاء السُكان،حيث لم يوجد مَن يدفع بها في المِصادر التَّاريخيَّة، -حسبما يُعلمُ عندنا-. فلرُبَّما كانت لا تُثير كثيراً مِن اللَّغط حولها، مِثلما أثارته في الوقت المعاصِر. وأشار المؤرخون المعاصرون، على أنَّ مؤرخي الرومان والروم والعرب والأوروبيين، قد تواطأوا على استعمال هذه الكلمة الهَجينة، والتي تُعبِّر عن مرحلةٍ بِدائيَّة مِن

---

(1)- الحسن الوزَّان: المصدر السابق، ص.34 ؛ يقول توكسيي:"إنَّه يكفي قراءة هذه الأسطورة، حتى نحكم على أصالتها، ومن سيرفض الاعتقاد بعدها بوجود إفريقش (الذي هو من ملوك التبابعة)، وبهذا التفسير المُبهِج لهذا الشعب العظيم.وهذه الأسطورة عاشت من أجل التفاخر القومي".انظر: Tauxier(H):¨**Examen des traditions grecques**, **latines et musulmanes relatives à l'origine du peuple berbèr**",in : Revue Africaine,Alger,1862,V.6, p.361.

(2)- مرمول كربخال: **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجّي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، ج.1، ص.25.

(3)- سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.18 ؛ نصر الله(سعدون): المرجع السابق، ص.11 ؛ Julien (Ch.A) : op.cit, p.12.

(4)- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.28.

(5)- انظر: Pellat (Ch): Art. ¨**Berbers**¨,E.I, Leiden,1986,T.1, V.1, p.1173.

التنظيم الاجتمــاعي، ولا تعني أبداً معنى الهمجيَّة والوحشيَّة[1]؛ إذن فأين هو الضَيمُ في استعمــالِ هذه الكلمة، إذا لم تكُن تحملُ مَعنىً شائناً أو سَيئاً، وقد تمَّ التسليمُ بها عبر العُصور؟.

وفي وقتِنا الحالي،شاع اسمٌ آخر لهؤلاء السُكان، ألا وهو تَسميتُهم بالأمـازيغ؛ وأهـمُّ مَن يُحــاولُ إيجاد أصلٍ لهذه الكلمة، هُم أصحابُها أنفُسُهم؛ فإذا كانت جُلُّ الأبحاثِ حول أَصــل البربر، قد تمَّ الخَوضُ فيها مِن مُختلف المشارب، فإنَّ تفسير أصل الكلمة الأخيرة، قام بها أهلُها–خاصةً–.

فالأمـازيغ أو إيمازيغن، في لغتِهم، جَمـعٌ مُفـردُهُ : أمازيغ، ومُؤنَّثُها تَمازيغـت؛ وتُطلـقُ على المرأة وعلى اللُّغة. وحَسَب محمد شفيق، فإنَّ تَسمية البَربَر أنفسَهُم بإيمازيغن، ضاربةٌ في القِدم،وبها عَرفَهم أقربُ جيرانهم إليهم، وهم المِصريون القُدماء، حيث سَمَوهم "**ماشـــوش**"، وقُلِبَت الزاي شِيناً حَسَب لُغتهم (المِصريين القُدماء)[2].

وعند مُلاحــظة النَّســب البربري الذي يورده لنا عبد الرحمان ابن خلدون، سَنجدُه يذكرُ كلـمة (مازيغ)، وهذا لَمَّا يقول: "أنَّ البَرانِس مِن نسل مازيغ بن كنعان"،–نقلاً عن نسَّابة البربر–[3].

وخُلاصةً موجزةً لهذا الفَصـــل، يُمكن أن نستنتج بعضَ النقــاط، والتي مِنها: أنَّه لم يَتم الاخـتلاف قديماً أو حديثاً، حول أصـلِ مجموعةٍ بشريَّةٍ، مِثلما أُختُلِفَ حول أصـــلِ البربر. وقد يعــود هذا إلى ظهور العَصَبيَّات القَبَليَّة أو العنصريَّة المختلفة، والتي أرادت الحَطَّ مِن شأن هذه المجموعة.

أمَّا السَّببُ الرئيس حول هذا الغُموض الكبير،تُجاه هذه العناصر،فيرجعُ إلى عدمِ اهتمام هؤلاء السُكـــان بتدوين تاريخِهم الخـــاص؛ أو ربَّما فعــلوا، وقد ضــاع، مِمَّا جعلَ غيرَهم يخــوضُ في ذلك المسلك، ويُكثِر فيه الطعنَ والذمَّ والحِقدَ والتَصغيرَ بهم[4].

** **

(1)- لقبال (موسى): **المغرب الإسلامي منذ بناء مُعسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخــوارج، سياســة ونُظُم**، م.و.ك، الجزائر، 1984، ط.1، ص.16.

(2)- انظر في ذلك: شفيق (محمد): **ثلاثة وثلاثون قرناً من تاريــخ الأمازيغيِّين**، المحافـــظة الساميــة للأمازيغية،الجزائر،1987. أو: Chaffik (M) : **Aperçu sur trente trois siècles de l'histoire des Imazighen**,éd.Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger,1987.

(3)- **تاريخ ابن خلدون**، ج.6، ص.117.

(4)- يقول مُحُند تيلماتين:"إنَّ البربر،كانوا إلى وقتنا الحاضر،كمادة تاريخ مُتناولةٍ في اتجاه أكثر أو أقل تسليحاً، من أجل تشكيل الأحداث التاريخية، حسب نظرةٍ، أو إيديولوجيةٍ، أو مُعتقد خاص. وهم لم يعرفوا، أو يقدروا أبداً على الكتابة عن مجتمعهم، أو ثقافتهم وذاكرتهم الخاصة". انظر :
Tilmatine (M) :¨**Du Berbère à l'Amazighe : de l'objet au sujet historique**, in : AM, Cadiz, 2007, N°14, pp.238-239.

الفصـــــــلُ الأوَّل

دور البربر في فتح الأندلس

المبحث الأوّل : موسى بن نُصير : إتمامُ فتح بلاد المَغرب، ومَوقفُه مِن البربر

المبحث الثاني : مُقدِّماتُ فتح الأندلس : العَوامل والظُروف

المبحث الثالث : فتح الأندلس : الجَواز والتَصادم مع القوط

إنَّ فتح الأندلس، هو عملٌ بطوليٌ مُميَّز، قد يبدو مِن ضربِ المعجزات أو الخوارق قياساً لوقتنا الحاضر؛ وكان البربر هُم مَن قام به، وعمِلوا، -فيما بعد-، على انتشار الإسلام بهذه الأرض الجديدة، وترسيخِه بها، ثمَّ حمايةِ حدودِ الدولةِ الناشئةِ فيها، والحفاظِ على تواجدِها. وقد تحمَّلوا في بدايةِ هذا الدور كلَّ العبء، وأخذوا الحظَّ الوفير مِن العِرفان، بعدها نالَهم كثير مِن الظُلم والاعتداء المعنوي.

وقد أشار ابن عذاري المراكشي (عاش في ق.**8**هـ/ **14**م)، إلى عظيم دورهم في الفتح، فقال: "قد اُتُّفِقَ فيما يظهر على أنّ مُتَوَلّي كِبَرَ فتح الأندلس وجُلّه ومُعظَمِه طارقٌ بن زياد"[(1)]؛ وهو يقصِد بذلك الجيش البربري الذي كان على رأسِه. وهكذا ستكون أوَّل مرةٍ في تاريخ الفتوح العربيَّة، يتولى فيها جيشٌ كاملٌ مِن (المغلوبين)، فتحَ قُطرٍ مِن الأقطار الكُبرى. وهذا يدُّل على شيءٍ هام، وهو أنَّ بربر المغرب قد أسلموا وحَسُن إسلامُهم[(2)]، وأصبحوا بذلك يُؤلِّفون القُوَّة الكُبرى التي يُعتَمَدُ عليها[(3)].

إنَّ المعرفة المسبَّقة للبربر بأرض شبه الجزيرة الإيبيرية، تعود لفترات سابقة حيث كانوا على اتصالٍ دائمٍ مع سواحلها لقُربِها مِنهم[(4)]، ورُبَّما عرفوا أرجاءَها كلَّها. وعندما وصل العرب إلى أقصى نقطةٍ، في شمال غرب بلاد المغرب، ربَّما كانوا قد وجدوا التبادل التجاري قائماً بين الضِفتين، وراقبوا حركة السُفُن الذاهبة والقادمة، -شمالاً وجنوباً-. وليس ببعيد، أن يكون لهم نَصيبٌ مِن ذلك، إلى جانب هؤلاء البربر.

إنَّ هذه التقدِمة، قد تفيدنا في فهم عملية فتح الأندلس؛ وللوصول إلى هذا الهدف، يجدُر بنا التطرُّق، -ولو بإيجاز-، لإتمام فتح بلاد المغرب مِن قِبَل موسى بن نُصير ومَوقِفِه من البربر.

---

(1)- **البيان المُغرِب في أخبار الأندلس المَغرِب**، تحقيق ومراجعة. كولان (ج.س) و بروفنسال (إ.ل)، دار الثقافة، بيروت، 1980، ط.2، ج.2، ص.5.

(2)- إنّ تشبُّع هؤلاء البربر بمبادئ الإسلام،يعود- بصفةٍ خاصة-،للسياسة التي طبّقها موسى بن نُصير. فقد شاع عنّ البربر ارتدادهم عن هذا الدين، ولذلك فإنّ سياسة تعليم مبادئ الدين كانت مفيدةً في ذلك. يذكر ابن عذاري المراكشي : "أنّ البربر الذين أخذهم موسى إلى طنجة، ودخل بهم طارق الأندلس، كان قد ترك موسى معهم 17 رجُلاً من العرب يُعلِمونهم القرآن وشرائع الإسلام، نفس المصدر السابق، ج.1، ص.42.

(3)- سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.71.

(4)- طه (عبد الواحد ذنون): **الإسلام في المغرب والأندلس كيف انتشر ولماذا؟**، ص.78 ؛ أيضاً لنفس المؤرخ وآخرين : **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديدة المُتّحِدة، بيروت، 2000، ط.1، ص.24.

المبحث الأوَّل : موسى بن نُصير : إتمامُ فتح بلاد المغرب، وموقفُه من البربر

إنَّ الجُهدَ والعَناء، الذي بذلَه العــرب، في فتــح منطقة بلاد البربر، هو أمرٌ معــروفٌ عند كلِّ الدارسين المختَصين؛ حيث لم يشهد قُطرٌ مِن الأقطار، زمناً طويلاً في ضمِّه إلى البــلاد الإسلاميَّة، مثلما شَهِدَته هذه الجهة. ولقد استمرت عملية فتح هذه الأرض، ما يُقــارِبُ السَبعين عــاماً؛ والتي تُستهَلُّ بمرحلة أو دور الاستكشاف في حــدود **22**هـ/ **643**م، والتي ابتدأها عمرو بن العاص، والي مِصر بالتوجُّهِ إلى بَرقة[1]، إلاَّ أنّه، ليس مِن السهل، تحديدُ تاريخٍ ثابتٍ لانتهاءها.

ويعود سببُ طول مُدَّة هذا الفتح، إلى الاضطراب الذي ســاد تَكوين طابع المغــرب السِّياسي والاجتماعي والطبيعي، بالإضافة إلى ما نزل بالعربِ أنفسِهم مِن أحــداثٍ قامت بشُغلِهم،كالفِتن الطويلة والصِــراعات التي وقعت بين وُلاة مِصـر وقادة الفتــح، وعمليات عـزل وتنصيب هؤلاء القادة[2].

وفي مقابل الجُهد الكبير، الذي قام به العرب، فقد واجهوا مُقاومةً شرِســةً وقويَّة، وتَتَرُّساً بربرياً كبيرا؛ ويتِّم التعــرُّف على ذلك مِن خلال مصــادر تاريخيَّة غير مُعاصِرة للأحــداث، بل هي بعيدة زمنياً نوعاً ما؛ وبالتَّالي فاستقراءها لمعرفة الحقائق مِن الأساطير أمرٌ صعبُ المنال.

وتعود صعوبةُ استقراء هذه المصــادر، –حسب جورج مارسي–، إلى وجــود أربعة تقالــيد، أو ثقافات في نوع هذه المصــادر: فالأُولى مَشرقيَّةٌ يُمثِّلُها الواقــدي، –الذي عاش في المدينة وبغداد في نهاية القرن **8**م–؛ والثَّانية إسبانيَّةٌ (أندلُسيَّةٌ)، يُمثِّلُها واحــــدٌ مِن المنحدرين مِن موسى بن نُصير[3]،

---

(1)- طه (عبد الواحد ذنون): **الإسلام في المغرب والأندلس ...**، ص.27 ؛ وهو ما يقول به ابن عذاري أنَّ سنة22هـ، هي بداية فتح المنطقة من طرف عمرو بن العاص، المصدر السابق، ج.1، ص.8.

(2)- مؤنس (حسين) : **فتح العرب للمغرب**، ص.26.

(3)- يبيِّن لنا عبد الواحد ذنون طه اسم هذا المؤرخ، وذلك نقلاً عن محمد علي مكِّي، أنَّ الاســم الطويل الذي يدور حول حياة موسى بن نُصير في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قُتَيبة،مأخوذ من كتاب (معارك بن مروان)، حفيد موسى، **دراسات في التَّاريخ الأندلـــسي**، دار المدار الإسلامي، بيروت-طرابلس الغرب، 2004، ط.1، ص.102؛ انظر: أبو محمد الحُمَيِّدي: **جذوة المُقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح. روحيَّة عبد الرحمان السُويفي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1997، ط.1، ص.304.

-الذي عاش في نهاية القرن**8**م-؛والثالثة إفريقيَّة،يُمثِّلها واحدٌ من المنحدرين من أبناء أبي المهاجِر[1]؛ وأمَّا الرابعة فمِصريَّةٌ، ويُمثِّلها ابن عبد الحَكَم الذي مات في **871**م-[2].

إنَّ هذه المصادر تحمل إلينا مجموعةً كبيرةً مِن أخبار هذا الفتح، فتارةً هي أخبارٌ مُختلفة، وتارةً أخرى نجدها أخباراً مُتناقضة؛ وهو نفس ما سنلقاه مع فتح الأندلس.

وعودٌ إلى الموضوع الأساس، فإنَّ آخر قائد أرسلته الخلافة إلى بلاد المغرب، لإتمام ومُواصلة هذا الفتح، كان موسى بن نُصير[3].فأغلب المصادر تقول أنَّه هو مَن قام بهذا العمل،حيث افتتح عامة المغـرب وواتر فتوحاته[4]، وهو أوَّل مَن نزل طنـــجة، واخــتط فيها للمسلمين[5]. أمَّا ابن عذاري، فيجعلُه ثاني ولاة خُلفـــاء بني أميَّة في المشرق، الذين دخــلوا المغرب الأقصى بعد عُقبة بن نافع[6].

وقد طبَّق ابن نصير سياسةً خاصةً في عملِه الذي كُلِّف به؛وهذه السِّياسة جعلتهُ مُتميِّزاً بين كلِّ الفاتحين الآخرين الذين سبقوه، حيث مَكَّنته مِن السَّيطرة النِهائية على أرجـــاء بلاد البربر عامـــة؛ وبالتَّالي استطاع أن يَقضيَ على كُلِّ مَن قاومــه؛ فوجَّه البُعوث إلى النواحي، ثمَّ غزا طنـــجة، وافتتح دَرعة وصَحـــراء تافيلالت؛ وأرســل ابنه إلى السوس وأذعن البربرُ لسُلطـانِه ودولتِه[7]. واستـطاع أن

---

(1)- هو عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المُهاجر،انظر:طه(عبد الواحد ذنون): **دراسات في التاريخ الأندلسي**، ص.198.

(2)- انظر: Julien (Ch.A) : op.cit, p.342.

(3)- انظر ترجمته في: البَلاذُري: المصدر السابق،ص.322؛ ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**،تح. السيِّد عزت العطَّار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988،ج.2،ص.144؛ الحُمَيِّدي: المصدر السابق، ص.304 ؛ الرشاطي وابن الخرّاط: **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**، تح.مولينا وبوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990،ص.103؛ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق،ج.1،ص39؛ أحمد الناصري السلاوي: **الاستقصا في أخبار المغـرب الأقصى**، تح. جعفر النَّاصري ومحمد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1954، ج.1، ص.434 ؛ وهناك دراسةٌ مستفيضةٌ لإبراهيم العدوي : **موسى بن نُصــير مؤسِس المغرب العربي**، دار الكاتب العربي، د.ط، 1967.

(4)- ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص.69. (فحسب هذا المؤرخ فقد كان وصوله لبلاد المغرب عام 78ه) ؛ وعند محمد ابن الأبَّار في **الحُلّة السيراء**،تح.حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة، 1985، ط.2،ج.2،ص.322 ؛ أما عند أبي محمد الحُمَيِّدي،فكان ذلك في 79ه، نفسه ؛ وعند أحمد المقري: فوصوله كان عام 87ه، **نفح الطيب من غصن الأندلـس الرطيب**، تح. إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 2008، ط.5، ج.1، ص.239.

(5)- البلاذري : نفسه.

(6)- ابن عذاري: نفسه، ج.1، ص.42.

(7)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.239.

يفرض عليهم الإسلام بواسطة هذه السياسة القويَّة[1].

إنَّ النتيجة التي توصَّل إليها هذا القائد، جعلت بعض الدارسين الغربيين يندهش لكيفية أَسْلَمة المنطقة بهذه الصورة السريعة؛وهذا الأمر بالنسبة إليه ولأمثاله إشكاليَّةٌ تاريخيَّةٌ يصعبُ حلُّها،وحيث أنَّ المنطقة كانت تُمثِّل إحدى المناطق القديمة للمسيحيَّة[2].

فكيف استطاع هؤلاء البربر، وبعد مُقاومةٍ شديدةٍ للفاتحين العرب، الاقتناعَ بهذا الدِّين الجديد، والوقوفَ إلى جانبِهم لتكملةِ المهَمَّةِ التي ابتدأها هؤلاء القادمون مِن المشرِق؟.

ينقل لنا عبد الرحمان ابن خلدون، قولاً مَنسوباً لابن أبي زيد القيرواني[3]، يُشير فيه إلى ارتداد البربر بإفريقيَّة والمغرب، اثنتي عشر مرَّة،وأنَّهم لم يَثْبُت إسلامهُم إلاَّ أيام ابن نُصير، وقيل بَعدَها[4].

إنَّ ارتداد البربر عن الإسلام، ليس أمراً عجباً، أو يُنقِصُ مِن قيمتهم؛ لأنَّ هذا العمل قد عرفناه عند العرب سابقاً، –في المشرق الإسلامي؛ وما حروب الرِّدَّة التي قام بها الخليفةُ الأوَّل، بعد وفاة نبي الإسلام، إلاَّ دليلٌ قاطعٌ على ذلك–. ولكن السُؤال الذي يَطرحُ نفسَه: لماذا توقَّف ذِكر عدد مرَّات هذا الارتداد، عند العدد اثنتي عشر مرَّة؟؛ فهل هو رقمٌ للمُبالغة، حتَّى يُعرَفَ مَدى تكرُّر هذا العمل مِنهم، أم أنَّه يُعتبرُ مِن ضَرب ما تمَّ الافتراء به عليهم؟!.

يُشير موسى لَقبال إلى هذا الأمر، بكون هذه الرِّدَّةِ المقصودة، مَعناها الثورة السِّياسيَّة، ثمَّ الاشتراك في الفِتن وإثارة الاضطراب ضدَّ القادة والوُلاة، وليس مَقصودها الرِّدَّة بمعناها الدِّيني[5].

لقد حيكت حول شخصية موسى بن نصير الكثير مِن القصص والأساطير، مِثل غيرِه مِن باقي الشَّخصيات أو الأحداث؛ كقِصة العصفور الذي حطَّ على صدرِه عند وصولِه إلى إفريقيَّة،

---

(1)- انظر: Julien (Ch.A) : op.cit, p.360 ; Mantran (R) : **L'expansion musulmane (VIIe-XIe siècles)**,éd.PUF, Paris , 1969, p.135.

(2)- انظر: Marçais(G) : **La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen àge**, éd. Afrique-Orient, Casablanca-Beirouth, 2003 , p.36.

(3)- ابن أبي زيد القيرواني (ت.386هـ/996م)، عالم دين من إفريقية،له "الرسالة"،التي كثُر شارحوها قديماً وحديثاً، كان على أهل مذهب التسليم والتفويض، أو ما يُسمى بعقيدة السلف، انظر: زهري (خالد):"**ابن أبي زيد القيرواني ومذهبيته الكلامية**"، ندوة إشعاع القيروان عبر العصور، بيت الحكمة، تونس، 2009، ج.2، ص.467، وهناك مواضيع أخرى عنه في نفس الجزء.

(4)- **تاريخ ابن خلدون**، ج.6، ص.135.

(5)- **المغرب الإسلامي**، ص.90.

وهو على رأس الجيش، فأخذه وذبحه ولطَّخ بدمِهِ صدرَه مِن فوق الثياب، ونَتف ريشه وطرحه على نفسه، وقال:"هو الفتحُ وربِّ الكعبة"[1].

إنَّ هذا العمل الوحشي بعصفـورٍ صغير، -وبعيداً مِن أن يتِّم تناوُلُه مِن النَّاحية الدِّينيَّة، بكـونِه جائزاً أو غير ذلك-؛ هل يُمكِـن أن يَصـدُرَ مِن قائـدٍ جـاء لإكمـالِ مَهَمَّـة دينيَّة أوَّلاً، ثمَّ مَهَمّـة عسكريَّة ثانياً؟؛ وهل يُمكــن أن يُتَصَوَّر مِن أنَّ جُمـوعَ البربر تَنظرُ إليه وهُو في جيشِه، وهُو يُحــاوِلُ إظهارَ مدى الشراسةِ والوحشيَّةِ التي توجد فيه، وذلك قصدَ إدخالِ الخوفِ في قلوبِهم؟.

إنَّ مُحاولة إدخالِ الخوفِ في قلوبِ الأعداءِ، بقتلِ عصفــورٍ صغيرٍ، حتى ولو حاولت المصــادر تلطيف هذا الأمر، بالإشارة إلى ذبحِه لهُوَ أمرٌ عجيب!.

ثُمَّ إنَّ ابن قُتيبة الذي ينقــل أخبار ابن نصير عن حفيدِه، -كما أُشير إليه سابقاً-، يُبالِــغ في إبرازِ أعمالِ هذه الشَّخصيةِ ومدى التفاخرِ بنفسِه[2].

لقد قام موسى بن نُصير بالإثخانِ في صفوفِ البربر، فقتلَ مِنهم الكثير، وسَبى مِنهم الآلاف، بدايــةً مِن زغــوان[3]، ونواحيها وانتهـــاءً إلى طنــجة[4]. فغزا، وحارب الكثيرَ مِن القبائــل البربريَّة المختلفة. ويُذكَرُ مِنها : هوَّارة وزناتـة وكُتامـة، حيث أغار عليهم وقَتلهم وكان سَبيُهُم خمسة آلاف رأس. كما يُنقَلُ بَعـثَ زعيمِهم إلى عبد العزيز بن مروان نائـبِ الخليفةِ على مِصر، وكيف قتلَه هذا الأخير في بِركةٍ أصبحت تحمِلُ تسميتَه[5].

ونقل كلٌّ مِن ابن قُتيبة وابن عذاري، أرقاماً هائــلةً عن السَّبي البربري، الذي حمله ابن نصير في حروبِه ضدَّهم[6]. ويزيد ابن عبد الحكـم في عدد ما حمــله ابنه مروان أو ابن أخيه، حيث كانوا في

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص ص.40-41.
(2)- ابن قُتيبة: **الإمامـة والسِّياسـة**، تح.علي شيري، دار الأضواء، بيروت،1990، ج.2، ص.70 وما بعدها.
(3)- زغوان: قيل هو جبلٌ بإفريقية. قال أبوعُبيد الله البكري: بالغرب مِن تونس في القِبلة جبل زغوان، وغربيها تقع مدينة الأربُس، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.3، ص.144.
(4) - طنجة: بلدٌ على ساحل بحر المغرب مُقابل الجزيرة الخضراء،وهو مِن البَر الأعظم وبلاد البربر، المصدر نفسه، ج.4، ص.43.
(5)- ابن عذاري: المصدر نفسه، ج.1، ص.41.
(6)- **الإمامة والسِّياسة** ؛ نفسه ؛ **البيان المُغرب**، نفسه.

مائة ألف[1]، وهو نفس ما حمله ابنه الثاني عبد الله[2].

إنَّ هذه الأرقام الكبيرة من السبي البربري، جعلت والي مِصر يتعجَّب مِن كون خُمُس بعضه، قد بلغ ستِّين ألفاً[3]، أو سبعين ألفاً[4].

وبذلك أصبح مَقْدَمُ هذا القائد مُخَوِّفاً[5]؛ فلم تسلم مِنه القبائل البُرْنُسيَّة أو القبائل البُتريَّة، فهي كلُّها عنده سِيَّان. فالمهمُّ لديه هو إخضاعُها بأيَّةِ وسيلةٍ كانت؛ وقد يكون سببُ هذا الإسراف، هو رغبتُه في إرضاءِ الخليفة الأموي[6]، حيث عَظُمَت مَنزلتُه عنده، واشتدَّ عَجَبُه به[7].

وبهذا أدان له أهل المغرب بعد حروبٍ كثيرة، خاضها ضدَّهم؛ وبأسر الكثير مِنهم، استأمنوا وانقادوا له ودانوا له بالطاعة[8].

إنَّ السِّياسة القاسية التي انتهجها موسى بن نُصير تُجاه البربر، حتى يُذعِنوا له، قد أتت بثِمارها، وكانت نتيجتُها أكثر ممَّا كان يتوقعُه؛ فقد استفاد مِنهم كثيراً، فيما بعد؛ فأخذ يُشرِكُهُم في كلِّ حروبِه، -وهو نفس ما كان يفعلُه حسَّان بن النعمان، سابقاً-، حيث عَرَف مَدى تَمرُّسِهم ومَيلِهم للغزوِ والسَّلب. وبقدر ما كانوا يُساعِدون هؤلاء العرب في الحربِ والفتح، ضد بني جِلدتهم، وضد أعداءهم الآخرين، فإنَّهم حَرِصوا دائماً على ألاَّ تتِّم مُعاملتُهم مُعاملة شعبٍ خاضعٍ محكوم[9]؛ هذا ما سيُعطي بعض التَّفسير، للحركات التي قاموا بها ببلاد المغرب ثمَّ ببلاد الأندلس للتنديد أو مُطالبةً بالحقوق.

---

(1)- ابن عبد الحَكَم: المصدر السابق، ص.69 ؛ Marçais (G) : op.cit, p.24.

(2)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.41 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.239.

(3)- المقري: نفسه.

(4)- ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4، ص.239 ؛ يقول عبد الحميد حاجيات عن ذلك : "إنَّ هذا الغُلُو في التقدير راجعٌ إلى ميل الرُواة إلى حشو أحاديثهم بالغرائب والأخبار المُثيرة للإعجاب،"**الجزائر من الفتح الإسلامي إلى تأسيس الدولة الرستمية**"، الجزائر في التاريخ، م.و.ك، الجزائر،1984، ج.3، ص.55.

(5)- أوكيل (مصطفى باديس): **انتشار الإسلام ببلاد المغرب**،رسالة ماجستير، 2006،جامعة الجزائر، ص.58.

(6)- سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.46 ؛ مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل، بيروت، 2002، ط.1، ص.59.

(7)- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص.70.

(8)- الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**،تح. محمد عزب،دار الفرجاني،1994،ط.1،ص.52 ؛ مؤنس (حسين): **رواية جديدة عن فتح الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينيَّة، 2000، ص.29 ؛ زيتون (محمد): **المسلمون في المغرب والأندلس**، د.ط، 1990، ص.63.

(9)- مؤنس (حسين): **فتح العرب للمغرب**، ص.276.

المبحث الثاني : مُقدِّمات فتح الأندلس : العوامل والظروف

إنَّ عملية فتــح الأندلــس في عام **92**هـ/**711**م، تأتي تكمِلةً لمشروع فتـح بلاد المغـرب، ونشرِ الإسلام فيهما؛ وهذه المنطقة، –مِثلها مِثل المناطق الأخرى، والتي دخلها المسلمون–، لم تأخذ زمناً طويلاً في ذلك، استثناءً ببلاد البربر، كما ذكرناه سابقاً.

والمادة التاريخيَّة لهذا الفتح، أصبحت مادةً خِصبة للقصص المثيرة، لما تحمله مِن تشويق وإثـارة، جعل بعضهم يُشبِّهه بمملول قُصَّاص وأوراق[1]؛ والقصد مِن ذلك أنَّه صـار كثير الاستهـلاك، مِن عظيم ما داخله مِن قِصص وخيالات وأساطير[2].

إنَّ هذه الأساطير والقِصص التي حملتها لنا هذه المصـادر التَّاريخيَّة، رافقها اختلافٌ كبيرٌ حـول مَن صاحبُ فكرة هذا الفتح؛ إضافةً إلى تباين عدد جنود الجيش الفاتح؛ كما وُجِد هناك تضـاربٌ حول أصل طارق الذي يُنسَبُ إليه هذا الفتح والعبـور؛ وأخيراً، وليس بآخر، الحديثُ عن حسـدِ وغِيــرةِ موسى بن نصير مِن طارق بن زياد؛ أهيَّ حقيقةٌ أم مِن نوع ما تمَّ فيه الافتراء والوقــيعة بين عناصر المسلمين؟.

إنَّنا في هذا المبحث سنتناول هذه العناصر بقدر الإمكان، وبحَسَب ما توفَّر لدينا مِن مصـــادر ومراجع، قدَّمت هذا الموضوع، أو أشارت إليه.

إنَّ موسى بن نُصير، ولمَّا أكمل عملية فتح بلاد المغرب، عمِل على استتباب الأمن في ربوعِـه، وبصورةٍ خاصة، في المغـرب الأقصى الذي يسكُنُه المِصــامِدة (تلك المجموعة الثَّانية التي تنحدر مِن البرانِس، ومِنهم قبائل برغواطة، السَّاكنين على المحيط الأطلسي، والذين أقامـوا نظاماً دينياً، يُقصي القرآن)، إضافةً إلى غُمارة السَّاكنين بجبال الريف[3].

---

(1)- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، تح. ل.بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956،ص ص.5-6 ؛ المقري: المصدر السابق،ج.1، ص.230، وتكملة ذلك:"وحديث أفول وإشراق، وإرعاد وإبراق، وعظم امتشاش، وألةٌ معلَّقةٌ في دُكَّان قشَّاش".

(2)- والأمر الغريب هو ورود بعض هذه القصص والأساطير بكتاب ألف ليلة وليلة،والذي عُرِف عنه أنَّه مجموعة حكايات وقصـص مجهولة المؤلِف؛ ورد ذلك في الليلة 271و الليلة 272، وما يُلفِت الانتباه فيهما هو ذكر اسم طارق دون موسى، وتقاطع بعض هذه الأخبـار مع ما ورد في بعض المصادر التاريخية، انظر: بحث السامرائي (خليل إبراهيم صالح):"**فتح الأندلس من خلال كتـاب ألف ليلة** وليلة"، مجلة المورد العراقية، م.34، ج.4، 2007، ص.51 وما بعدها.

(3)- انظر : De la Vironne (C):¨**Quelques réflexions sur l'histoire des Berbères d'Ibn-Khaldoun**¨,Notes du colloque international sur Ibn Khaldoun,Alger,1978,p.234.

وفي منطقة الريف هذه، سنُصادف مدينةً واحدة لم يدخلها هؤلاء الفاتحون،وهي سبتة[1]، والتي كانت تابعةً لقائــدٍ موالٍ للقوط في جزيــرة إيبيريا؛ وكان هذا القائد يُسمى يُليان أو بُليان أو أليان؛ وكانت هذه الشخصية الغريبة المتناقضة، عندما يتحــدَّث عنها المؤرخــون كثيراً، لا يزيدها ذلك إلاَّ غموضاً[2].

وبعض المصادر تذكر لقاء هذا القائد بعُقبة بن نافع في حملته الثَّانية على بلاد المغرب[3]؛ويقول عبد الرحمان ابن خلدون، أنَّه ساعــده، بأن دلَّــه على بلاد البربر التي وراءه، وهذا بعد أن هــاداه، وأتحفه (عُقبة)[4]؛ وقد أشار هذا القائد على عُقبة بالتنقُل إلى مناطق السُّوس الأدنى،حيث استطاع مُحاربة أهلها، وقتلهم قتلاً ذريعاً وقد هربت بَقيَّتهم[5].

إنَّ إقرار عُقبة بن نافع ليُليان على طنجة وسبتة، دليلٌ على أنَّ المنطقة، ربَّما تكــون قد فُتِحت صُلحاً، وذلك بعد مُعاهدةٍ خاصة، وأنَّ يُليان أصبح مُوالياً للقــوط اسمياً فقط؛ ولا ندري ماذا كان يدور آنذاك تُجاه هذه العلاقة المزدوجة، بينه وبين المسلمين، وبين القوط.

وبعد وصول موسى بن نصير إلى طنجة، استطاع أن يفتكَّها مِنه،ويُبقي على مدينة سبتة؛ وربَّما توتَّرت العلاقات بينهُما، دون أن يستـطيع أحدُهما القضــاءَ على الأخر. ولا يُعرفُ كيف لم يقــدِر هذا الفاتــح على الاستيلاء على هذه المدينة، التي استَصــعَبت عليه. فهل كــان ذلك لدهــاءٍ أو لشجاعــةِ صاحــبِها؟[6]، والمسلمون لا ينقصهم الدَّهاء والشَّجــاعة؛ أم لمناعتِها ودفاعِ يُليان[7]؟،

---

(1)- سبتة: هي بلدة مشهورة من بلاد المغرب،ومرساها اجود مرسى على البحر، وهي على بَر البربر وتقابل جزيرة الأندلسعلى طرف الزُقاق، الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.3، ص.182.

(2)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلــس**، ص.62 ؛ فابن عبد الحَكَم يجعله من العجم،المصدر السابق، ص. 72 ؛ ومحمد الحِميري يقول:"أنَّه عامل لُذريق على سبتة"، **صفة جزيرة الأندلس**، نشر وتصحيح وتعليق. ل. بروفنسال، دار الجيل، بيروت،1988، ط.2، ص.7 ؛ والرقيق القيرواني يقول عنه أنَّه رجلٌ من الروم، المصدر السابق، ص.43 ؛ أمَّا ابن خلدون فيقول عنه:"أنَّه ملك غُمارة"، المصدر السابق، ج.4، ص.149 وص.237.

(3)- مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، ص.194.

(4)- **تاريخ ابن** خلدون، نفسه.

(5)- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص.44.

(6)- المقري: المصدر السابق،ج.1، ص.230 ؛ يقول ابن خلدون أنّ موسى استطــاع أن يستنزل يُليان لطاعة الإسلام،نفسه،ج.4،ص.150؛ والناصري السلاوي يقول: "أنّ ابن نصير استرهن ابنه أو أبناء قومه على الطاعة،وأنه صانعه بالهدايا وأذعن للجِزية، المصدر السابق، ج.1، ص.44.

(7)- نصر الله (سعدون): **تاريخ العرب السِّياسي في الأندلــس**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 1988، ط.1، ص.19.

والمسلمون معروفٌ عنهم أنَّهم فتحوا مدناً أكثر مناعة وتحصُّن منها.

وبإكمال موسى لمهَمَته التي ابتدأها منذ وصـوله إلى المنطقة، قَفَل راجعاً إلى إفريقيَّة، ولم يجد أحسن مَن يُولِّيه نائباً له على المغـرب الأقصى، مِن طارق[1]؛ فهو مَولاه [2]، حيث استعمَـلَه على طنـجة وما والاها[3]، وجعـله مسؤولاً على الحـامية العسكريَّة الجديدة[4]؛ وطارقٌ هذا، كان قد استعمله موسى على مُقدِّمة بعض جيوشه، حيث قاتل البربر، وفتح مدائنهم[5]

ومِن بين الأعمـال التي كُـلِّف بها طارقٌ، هي مُمارسـة الضَّـغط على سبتة حتى تخضـع، ولمـَّا لم ينجح، مال إلى مُسالمةِ ومُلاطفةِ حاكمِها[6].

لقد كان اختيار موسى لطارق، كنائبٍ له على طنـجة، اختياراً مُوفَّقاً؛ فإلى جـانب شجاعتِه واستبسالِه في القتـال، فإنَّه باعـتباره مِن البربر، –كما قالت به أغلـب المصـادر–، فهو لن يجـد صعوباتٍ كبيرة، إلاَّ إذا جاءت مِمَّن يُريد الانتقام مِنه، –مِن بني جلدته–، وهو أمـرٌ بعيدُ المنـال أو الاحتمالِ بعد إسلامِ مُعظمِهم.

وأخذاً بما أتت به المصادر، فإنَّ جُلَّ جُندِه كانوا مِن البربر، فهو يستطيع توجيهَهم، والأخـذَ بأيديهم في طريقِ النصـر[7]؛ وبهذا سيُحـدِّدُ مُستقبلَهم العسكري في الجُيـوش الإسلاميَّـة، والذين أصبحوا أكثر حَماسةً مِن العرب بعد اعتناقِهم لهذا الدِّين[8].

إنَّ بروز هذه الشَّخصيَّة الجَّديدة، على مسرح الحياة العسكريَّة والسِّياسيَّة لبلاد المغرب، سيكون له أكبرَ الأثر، فيما سيأتي مِن أحداث؛ ولقد كان لإظهار موسى، لمِثل هذه القيادة، سبيلاً أتـاح للمسلمين بناءَ طبقةٍ جديدة، مِن القادة القادرين على مُواجهة الامتداد الجُّغرافي الشَّاسـع في غرب

---

(1)- هناك من يجـعل مروان بن موسى بن نُصـير هو الذي استخـلف طارقاً على طـنجة، انظر: ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص.71 ؛ عبد الواحـد المراكشي: **المُعـجِب في تلخيص أخبار المغرب**،وضع حواشيه.خليل عمران المنصور،دار الكتب العلمية، بيروت، 1998،ط.1،ص.10.

(2)- البلاذري: المصدر السابق، ص.323 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.239.

(3)- ابن عذاري: المصـدر السابق، ج.1، ص.42 ؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلـس**، تح. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ط.1، ص.153.

(4)- طه (عبد الواحد ذنون): **دراسات في التَّاريخ الأندلسي**، ص.11.

(5)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.230.

(6)- لقبال (موسى): **المغرب الإسلامي**، ص.89.

(7)- حسن(إبراهيم حسن): **تاريخ الإسلام السِّياسي والدِّيني والثقافي والاجتماعي**،دار الجيل، بيروت، 1996، ط.14، ج.1، ص.255.

(8)- طقّوش (محمد سهيل): **تاريخ المسلمين في الأندلس**،دار النفائس،بيروت، 2010، ط.3، ص.31.

أوروبا، والسيطرة على الأندلــس في سهولةٍ ويُسر[1].

لقد تمَّت تولية هذا القائد على طنجة[2]، بعد اختيــارٍ استراتيجي، ولم يكن أمــراً اعتباطياً من طرف موسى بن نصير، أو ابنه مروان.

وقد أُختُلِف في عدد الجيش الذي كان مَعَ طارق، ولكن تمَّ الاتِّفــاق على أنَّ أغلبيتُه مِن البربر فابن عبد الحكم، ينقل لنا روايتين حول عدد هذا الجيش، فمرَّةً يقول، أنَّ طارقاً تمَّ استخلافُــه على جيشٍ قوامُــه **1700**[3]. ومرَّةً يقول أنَّ عددَه **12000** مِن البربر، ويتّفِــق معه ابن عذاري في ذلك، ولكن يختلف معه في عدد العرب الذين كانوا معه. فابن عذاري يجعلُهم **17** ألفاً، ثمَّ يعود ويقــول أنَّهم **17**[4]. وابن عبد الحكم يجعلهم **16**فقط[5]. وصاحب **الاستقصا** يجعل عدد العرب **27** ألفــاً، ويتّفِق مع الاثنين في عدد البربر[6].

غير أنَّ ابن الرقيق القيرواني يجعل عدد العــرب **27** فقط ، أمَّا باقيهم (العرب) فقد انصــرفوا مع موسى إلى القيروان[7]، وإلى هذا الرأي مــال حسين مُؤنس، حيث قال أنَّ رقم **17** ألفاً، أو **27** ألفاً هو رقمٌ مُبالغٌ فيه[8].

وهؤلاء العرب الذين تُرِكوا مع طارق، كانت مَهَمَّتهم تعليم البربر أمور الدين؛ ليكون لهذا الأمر دورٌ كبيرٌ في التأثير في حركةِ التعريبِ اللغوي، التي ابتدأها الفاتحون العرب.

إنَّ ظروف فتح جزيرة إيبيريا، -ومِن خلال وجودِ مِثل هذا الجيش الإسلامي الكبير، والمتمــرِّسِ على القتال-، وبروز مِن أمثال هؤلاء القادة، لا ينقُصُه إلاّ توفُّر نِيَّةٍ مُسَبَّقة، أو فُرصةٍ مُناسبةٍ للقيام بهذا العملِ البُطولي الخطير.

(1)- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص.71 ؛ العدوي (إبراهيم أحمد): المرجع السابق، ص.61.
(2)- يجعل عبد الرحمان ابن خلدون سنة هذه التولية في 88هـ/706م،المصدر السابق،ج.4، ص.239.
(3)- **فتوح إفريقيَّة والأندلس**، نفسه.
(4)- **البيان المُغرب**، ج.2، ص.42 ؛ أمَّا المقري، فيجعل عدد هؤلاء البربر 19ألفاً، وخلــقٌ يسيرٌ من العرب، المصدر السابق، ج.1، ص.239 ؛ أمَّا المؤرخ المجهول لتاريخ الأندلس، فيجعــل عدد العرب ألفين، ص.153.
(5)- **فتوح لإفريقيَّة والأندلس**، نفسه.
(6)- الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج.1، ص44.
(7)- **تاريخ إفريقيَّة والمغرِب**، ص.52.
(8)- **فجــر الأندلــس**، هامش1، ص.85، حيث اعتبر أن عدد 17 ألفاً أو 27 ألفاً هو حامية عسكريَّة، أمَّا عدد 17، فهم مُعلِّمون للقرآن والإسلام فقط، وهو المنطق، -حسب اعتقادِه-.

وكما سبق ذكره، فإنَّ المصادر التاريخيَّة تختلف حول فكرة هذا الفتح، ومن صاحبُه، فكثيراً ما تنقل قصته، بكونها تمثَّلت في فرصةٍ قد بَدَت للمسلمين، فانتهزوها، وتربِط كلَّ ذلك بشخصية يُليان، الذي سبق الحديثُ عنه؛ فمرَّةً تقول أنَّه قد استشاره، في حين نجد مصادرَ أخرى، تقول أنَّ هذا الفتح كان بفكرة موسى، الذي أمَر قائدَه بتنفيذِها؛ وهي في كلِّ ذلك، تشترك بذكرِ شخصيةِ حاكمِ سبتة؛ إمَّا بكونِه قد أشار لهم بذلك، أو أنَّه ساعدَهم في تحقيقِ هذا العمل.

وسنبتدئ بالرِّوايات التي تقول أنَّ صاحبَ فكرةِ فتحِ الأندلس هو يُليان، والذي أشار بها إلى طارق أو موسى؛ وهذا لكونها أكثر وروداً، – وتشترك في قصَّة ابنته وما حدث لها–؛ وخُلاصة هذه الرِّواية، تدور حول ما جرى لابنة يُليان مع حاكم القوط، بالجزيرة الإيبيرية؛ وكانت هذه الابنة، قد بعث بها والدُها إلى قصرِ هذا الملك، –مثلما كانت عادة أمراء هذه البلاد، حيث كانوا يبعثون ببناتِهم لمقرِ الحُكم المركزي حتى يتعلَّمن–؛وكان لُذريق قد أهانها، أو أحملها بغير رضاها، ولما علِم يُليان بالأمر استدعاها وقرَّر الانتقام لشرفه[1].

فحَسَب ابن عبد الحكم، فقد أرسل يُليان لطارق، ووعده بأن يُدخِلَه الأندلس؛ وأنَّ طارقاً قد خرج إليه بعد أن أخذ منه رهائن[2]. وهكذا انتهز طارقٌ الفرصةَ التي أُتيحت له مِن قِبَل حاكم سبتة، فرأى ألا يُؤخِّرَها[3]؛ فاجتاز إلى الأندلس، –حسب بعض المصادر–، دون استشارةِ موسى والعودةِ إليه[4]، حتَّى تجعلَ أنَّ موسى قد وبَّخَه وضربَه بالسَوط[5].

وفي نفس الاتِّجاه، نُصادِف مصادر أخرى تتكلَّم عن استشارةِ هذا القائد لموسى، والرُّجوعِ إليه،–وحيث أنَّه لا يُمكِن أن يُقدِمَ على المجازفةِ، والتغرير بنفسِهِ وجيشِهِ، دون أخذِ الإذنِ

(1)- انظر ورود هذه القصة مثلاً عند: ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص.73 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق،ج.2،ص.7 ؛ الحِميَري: **الروض المعطار في أخبار الأقطار**،تح.إحسان عبَّاس،مكتبة لبنان، 1984،ط.2،ص.34 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق،ج.4،ص.267؛عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق،ص.9 ؛ مجهول:**أخبار مجموعة**، تح.إسماعيل العربي،م.و.ك،الجزائر، 1989،ص.97 ؛ مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**،ص.268 ؛ سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.67 ؛ دوزي (رينهارت): **المسلمون في الأندلس (إسبانيا الإسلاميَّة)**،تر.حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ص.43 .

(2)- **فتوح إفريقية والأندلس**، ص.72 (مع ذكر تواجد طارق بتلمسين،-يعني تلمسان-، وليس بطنجة).

(3)- عبد الواحد المراكشي: نفسه، ص.10.

(4)- ابن عبد الحكم: نفسه ؛ الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص.53 ؛ ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.7 ؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، تح.جودة محمد جودة ومحمد حسين شعراوي،دار ابن الهيثم، القاهرة، 2006، ط.1،ج.5، ص.138 ؛ ابن الأبّار: المصدر السابق، ج.2، ص.333.

(5)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.46.

بذلك–[1]؛ فهو قد سمح له بالعبورحسب هذه الروايات.

أمَّا ابن عذاري، فينقل روايةً أخرى عن عَريب بن سعد[2]، يُشير فيها إلى لقاء يُليان بموسى في البحر، فأشار له بهذا العمل؛ فنفّذ موسى ذلك بعد استشـــارةِ الخليفة الوليد بن عبد الملك، والذي نصحَه بالحــذرِ في ذلك[3]. وحسب المقري، فقد عقدَ لطارق بن زياد على الأندلــس، ووجَّهَهُ مع يُليان صاحبِ سبتة[4].

لقد ربطت هذه الرِّوايات عملية فتحِ الأندلس بمُساعدةِ يُليان حاكم سبتة، والذي أراد الانتقام لشرفِه. هذه القصَّــةُ التي يدفع بها حسين مؤنس ويعتبرُها قليلةَ الأثـرِ في التَّاريخ، وإن كانت عظيمةَ الأثرِ في الأدب، ولا يستبعِدُ أن تكـون مِن اختراع قُصَّــاص العرب[5]، وقد أَخَـذَت هذه القصَّــة، المراجــعُ اللاتينيَّة منذ **1110**م، وأطلقوا على صاحبتِها اسم فلورندا **(Florenda)**[6].

أمَّا الرِّوايات الأخرى، والتي تجعل طارق بن زياد يُقرِّرُ فتح الأندلس مِن مَــحض إرادتِه، سنجدُ على سبيلِ المِثال ما جاء به المؤلــفُ المجـهول في **تاريخ الأندلـس**، حيث يقول أنَّ طارقاً كان مُحبّاً للجهادِ ففتح الأندلس[7].

وابن عذاري، الذي ينقل عن الرقيق القيرواني الكثيرَ مِن مَروياته، يجعل طارقاً يعبر الأندلس دون عِلم موسى؛ ولكن بإيراد قصَّةٍ أخرى، وهي أنَّ ابن ملك الأندلس، ويُقال له أُليان قد نزلَ بطنــجة مع أصحابٍ له، وأخبرَه باغتصابِ لُذريق لعرشِ أبيه، فأراد مُساعدةَ المسلمين، لِما سَمِعَهُ عنهم[8].

وابن القوطية يجعل يُليان هذا، تاجراً كان يتردَّد بين العُدوتين في تجارة الخيل والبُزاة، وقد رَغَّــبَ

---

(1)- الحِميَري: **الروض المِعطار**، ص.35 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق،ج.4، ص.264 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4،ص.150 ؛ راجع روايات فتح الأندلس،في المُلحقين3و4، ص.118-119.

(2)- حول المؤرخ عريب بن سعد، انظر: طه (عبد الواحد ذنون) : **تُراث وشخصيات من الأندلس،** المدار الإسلامي، بيروت-طرابلس الغرب، 2009، ص.87 وما بعدها.

(3)- **البيان المُغرِب**،ج.2،ص.4 ؛ ابن الكردبوس: **تاريخ الأندلس**، نص جديد، تح.أحمد مختار العبّادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلاميَّة، مدريد،1965-1966، م.13، ص.44.

(4)- **نفح الطيب**، ج.1، ص.230.

(5)- **فجر الأندلس**، ص.122. (وهو بذلك يُؤيِّد المقري في كونها من زعم الحكايات، ج.1،ص.232).

(6)- نفسه ؛ وبهذا أصبح يُليان عند بعض من الكتاب الإسبان رمزاً للخيانة. انظر:

Cravioto(E.G):¨**El Comes Iulianus (Conde Julián de Ceuta)entre la historia y la literatura**¨, in: Alqantir,Editora Tarifeña, Tarifa, 2011, N°11, p.3.

(7)- **تاريخ الأندلس**، ص.153.

(8)- **البيان المُغرب**، ج.2، ص.6 ؛ وكذلك عند الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص.52.

طارقاً في فتح الأندلس، وقد فعل ذلك، ولكن بعد استشارة موسى[1].

إنَّ هذه الآراء قد تبدو مُختلفةً، إلاّ أنَّها ليست مُتناقضة، فتكون مُرتّبةً بإخبار يُليان لطارق بضُعف الأندلس، وطارقٌ يبعثُ لموسى ويستشيرُه، وهكذا، فدورُ يُليان، يتمثّل في لفت الانتباه فقط[2]. وهذا ما رجّحه ابن عذاري حول هذا الاختلاف، ليقول أنَّه هو المشهورُ المتّفقُ عليه[3]. وحيث أنَّ فتحَ الأندلس مِن العمليات الحربيَّة المهمَّة، التي لا يُمكن أن تتِّمَ دون عِلمِ ولاة الأمرِ، حتَّى الخليفة[4].

وقد ظهرت روايةٌ حديثةٌ للمؤرخِ الإسباني سابيدرا [5]، وتناولها عنه سانشيز-ألبُرنوث في كتابِه "إسبانيا الإسلامية"، وأهمُّ ما في هذه الرواية الجديدة، هي إلغاؤها لقضية انتقام يُليان لشرفِه من حاكمِ القوط آنذاك. وأوردت سبباً آخر، مُلخّصُهُ أنَّ أبناءَ الملك السَّابق، وأسرتَه كانوا يَسعون لاستعادةِ الحُكمِ، مِن الملكِ الغاصبِ لُذريق. فاتَّصلوا بيُليان ليعرضَ على العربِ بأن يمدُّوهم بقوةٍ تردُّ لهم مُلكَهم، لقاءَ مَبالغ مِن المال يدفعونها لهم[6].

إنَّ حسين مؤنس، رغم إيرادِه لهذه الرِّواية، إلاَّ أنَّه لا يُوافق عليها[7]، فهو يرى أنَّ غايتَها إلصاقُ التُّهمةِ بالعرب، لكونهم قد غدروا بمن استنجدوا بهم[8].

لقد وردت هذه الرِّواية عند ابن عذاري، والذي نقلَها عن القيرواني، -كما رأينا سابقاً-، وعليها بنى كل من أخذ بهذه النظرةِ في أسباب الفتح الإسلامي للجزيرة الإيبيرية[9]. وهكذا فقد

---

(1)- ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح. إسماعيل العربي، م.و.ك، الجزائر، 1989، ص.22 (مع الإشارة في نفس الوقت لقصة ابنة يُليان، وهي هنا ابنة هذا التاجر).

(2)- حقي (محمد): **البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأمويَّة**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2001، ط.1، ص ص.159-160.

(3)- ابن عذاري: المصدر السابق،ج.2، ص.5.

(4)- السامرائي (خليل إبراهيم صالح): **"فتح الأندلس من خلال كتاب ألف ليلة وليلة"**، ص.57.

(5)- إ. سابيدرا (Saavedra y Maragas (E، وُلِد بطركونة 1829م، هو تلميذ المؤرخ غايانكوس Gayangos (P) المؤسس الحقيقي للاستعراب الحديث في إسبانيا، والذي اهتم خاصةً بشرح أدب ألخاميادو،له ترجمة جغرافية الإدريسي،ودراسة عن الغزو العربي لإسبانيا.انظر: عبد الله الزيّات: "**أهم المُستَعربين الإسبان في القرن التَّاسع عشر**"، ملف "الاستعراب الإسباني"، مجلَّة التَّواصل، جمعية الدعوة العالميَّة بليبيا، ع.19، مارس2010.

(6)- **فجر الأندلس**، ص.54 ؛ Mantran (R) : op. cit., p.135

(7)- سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.66.

(8)- مؤنس (حسين): نفسه.

(9)- مؤنس (حسين): **رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس**، ص.30.

تحالف يُليان مع حزب أخيلا للتخلُّـص من لُذريق مُغتصِب الحُـكم[1]. فقد أصبح الإقليـم الذي يتولاَّه يُليان ملجأً للساخطين على الحُكمِ في جزيرة إيبيريا[2].

إنَّه، ومهما كانت الأسباب الحقيقية لدخـول المسلمين للأندلـس، فإنَّ الأهمَّ قد حصـل بعد توفُّر الظُّروف المناسِبة والعوامل المساعِـدة؛ فهذه البلاد، وقت تطلَّـعت إليها أنظار المسلمين كانت شديدةَ الضُّعـف، ومُيسَّرةً تماماً على مَن يغزوها[3]. بالإضافـة إلى أنَّ القـوط الغربيين كانـوا يُمثِّلون أقلِّيةً صغيرة ضِمن السُّكان المحليين، وقد تركّزت بيدِهم الثَّروةُ والممتلكات، ممَّا أسخـطَ عليهم أهلَ البلاد[4]؛ وكلُّ ذلك أدى إلى تفكيكِ المجتمعِ وانهيارِه[5]، ومَهَّد لانحلالِ إسبانيا القوطية[6].

إنَّ هذه الظُّروف والعوامل قد تكون ساعدت جيش طارق في دخولِ الأندلـس، لكن لا يُمكن إغفالَ أنَّ هذا العملَ الخطير، يستلزمُ كثيراً مِن الشَّجاعةِ والتَّضحيةِ والمخاطرة.

وليس هناك أيُّ بأسٍ، مِن القول أنَّ المسلمين عبروا المضيق إلى الأندلس، وفتحـوها لتخـليصِ الشَّعبِ من الظُّلمِ والطُّغيان، وتحريرِه من الاستغلالِ والإذلال، وتلك مَهَمَّةٌ نبيلة يجب أن يُشـكَروا عليها[7].

إنَّ الاعترافَ بما فعلَه الفاتحون المسلمون، لإنقاذِ هذه البلاد مِن هذه الانقسامات والمشـاكل يُقِّرُ به أحد المستشرقين فيقول: إنَّ الفتحَ العربي،– مِن بعض الوجـوه–، كان خيراً على إسبانيا فقد أحـدث ثورةً اجتماعيَّةً خطيرة، وقضى على شطرٍ كبير مِن المساوئ التي كانت البلاد ترزحُ تحتها مُنذ عِـدَّة قرون[8].

---

(1)- حسن (إبراهيم حسن): المرجع السابق، ج.1، ص.254.
(2)- فكري (أحمد): **قرطبة في العصر الإسلامي-تاريخ وحضارة-**،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندريَّة، 1983، ص.10.
(3)- دوزي (رينهارت): المرجع السابق، ص.27.
(4)- طه (عبد الواحد ذنون): **دراسات في التَّاريخ الأندلسي**، ص.12.
(5)- طه (عبد الواحد ذنون): **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص.78.
(6)- وات(مونتغمري):**في تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة**،تر.محمد رضا العُمري،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998، ط.2، ص.25.
(7)- عبد اللطيف (عبد الشافي محمد): **العالم الإسلامي في العصر الأموي**،دار السلام،القاهرة، 2008، ط.1، ص.264.
(8)- دوزي (رينهارت): نفسه، ص.48.

المَّبحث الثَّالث : فتح الأندلس : الجواز والتصادم مع القوط

إنَّ التَّاريخ الأندلسي، يشهدُ بأنَّ أوَّل مَن فتح هذه البلاد، كان مِن عنصر البربر؛ فقد سبق دخولَ جيشِ طارق لشبه الجزيرة الإيبيرية، سريةٌ استكشافيَّةٌ تضُّم خمسمائة جندي، مِنهم مائةُ فارس، ويقودها طريف بن مالك[1]، وكان قد بعثه موسى بن نصير للاستطلاع، ومعرفة أحوال الجَّزيرة. وطريفٌ هذا كان مِن موالي موسى[2]، وهو مِن البربر[3]، -حسب بعض المصادر-، وكان قد نزل بجزيرة طريف[4] (**Tarifa**)، التي تُنسبُ إليه[5].

ولقد أصاب طريفٌ بهذه الأرض سبياً كبيراً، ورجع سالماً، وكان ذلك في رمضان سنة إحدى وتسعين للهِجرة[6]، الموافق لشهر جويلية **710** للميلاد[7]، دون أن يَلقى مُقاومةً تُذكر[8].

إنَّ المصادر التَّاريخيَّة، ومِثلها المراجع الحديثة، لا تُعطي أيَّ تفاصيل مُفيدة أو واضحة حول هذه الحملة الاستطلاعيَّة؛ ممَّا يجعلُ الأمرَ مُستعصياً، على فهمِ ما قامت به حقيقةً هذه الطَّليعة؛ فكيف يذهب خمسمائة جندي إلى هذه الأرض، ثمَّ تعود دون أن تثير الانتباه الكبير؟، وهل يُمكن أن يُعطينا ذلك صورةً واضحةً، لمدى هشاشةِ الحراسةِ والتأمينات للدولة القوطيَّة، على طول المنطقة الساحليَّة الجنوبيَّة؟، وكيف يُمكن ألاَّ يُعطوا لذلك اهتماماً كبيراً، وبجوارهم قوةٌ إسلاميَّةٌ تتنامى وتتعاظم يوماً بعد يوم؟.

---

(1)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.97 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.100و229و253.
(2)- مجهول: نفسه.
(3)- الحِميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص.127 ؛ المقري : نفسه ؛
Gonzales (W.S) : **Monografías y documentos sobre la historia de Tarifa**, Alqantir, Editora Tarifeña, Tarifa, 2010,N°10, p.1.
(4)- طريف: اسم بلد جزيرة طريف في أوّل المجاز المُسمَّى بالزُقاق، ويتصِّل غربها ببحر الظُلمة (المحيط الأطلسي حالياً)، الحميري: نفسه، ص.176.
(5)- المقري: نفسه.
(6)- مجهول: نفسه ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.5.(وقيل أن هذا السبي لم يَرَ ويَسمعْ مثلَه موسى!).
(7)- نصر الله (سعدون): **تاريخ العرب السِّياسي في الأندلس**،ص.20 ؛ سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.70.
(8)- مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.269.

ربَّما تكون هذه الاستفسارات قد طُرِحَت مِن طـرفِ بعض الباحثين، وأعطت لهم كثيراً مِن الحُجِّيَّة حول نظرية التآمر التي حدثت داخل الأسرة الحـاكمة، بمُساعدة قوى غاضبة على الحُـكم القوطي.

لقد جازفت هذه الحملة الاستكشافيَّة، والمتكوِّنة مِن البربر، ووضعت نفسَها أمام خـطرٍ كبير. وهذا يدُّل على قوة إيمانها بما تفعل، وتضحيَّةً في سبيل الدين الجديد الذي اعتَنَقَته؛ثُمّ إنَّ ما جاءت به من معلومات، صارت عوناً على وضـع خُـطة الفتح، ونزول طارق بجيـشِه، -فيما بعد-، على الجبل[1]، بعد التَّأكُّد مِن ضعفِ المقاومةِ في تلك المناطق والبلاد[2]. وأصبح المسلمون على درجـةٍ كبيرة مِن الاطمئنان، بعد هذه العملية التَّجسُّسيَّة، التي قامـت بها حملة طـريف، فأخذوا يُحضِّـرون للحملةِ الحقيقيَّةِ في السنةِ التَّالية[3].

إنَّ جيش طارق، الذي سيعبرُ المضيق نحو أرض الأندلس، كان يتألَّف من البربر، -وكما أشرنا إليه سابقاً-، فإن لم يكن كلُّه، فمُعظمُه.

وقد اختلفت المصادر حول عدد هذا الجيش، فمرَّةً هم مجموعةٌ من سبعة ألاف مِن المسلمين، جُلُّهم مِن المـوالي والبربر، وليس فيهم مِن العـرب إلاَّ القليل[4]؛ ومرَّةً أخرى، هُم عشرة آلاف مِن

---

(1)- الحجّي (عبد الرحمان): **التَّاريخ الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط غرناطة**،دار القلم،دمشق،2008، ط.2، ص.45.

(2)- حمُّود (سوزي): **الأندلس في العصـر الذهبي من حملـة طـارق بن زيـاد إلى وفـاة عبد الرحمـان النَّاصر لدين الله**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 2009، ط.1، ص.34.

(3)- يقول المؤرخ الإسباني سانتوس:" إنَّ الشيء الأساس بالنسبة لحملة طريف، كانت مراقبة المراكز القوطية المتقدِّمة، على طول الخليج والسواحل الجنوبية، ثمَّ إحضار المعلومات التي ستساعد على عملية الإنزال الكبير لطارق". انظر:

Santos (J.B):¨ **La incursión de Tarif ibn Malik en 710. Preludio de una invasión**¨,in. Alqantir,Editora Tarifeña, Tarifa, 2011, N°11, p.76.

(4)- مجهول: **أخبار مجمـوعة**، ص.97 ؛الحميري: **الروض المعطـار**، ص.35 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.231. ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.4، ص.267.

البربر المحشودين ومعهم نحو ثلاثمائة مِن العـرب[1]؛ ومرَّةً ثالثة، هُم اثنا عشر ألفاً مِن البربر، لم يكن فيهم مِن العرب إلاّ شيءٌ يسير[2].

وفي روايةٍ أخرى، فإنَّ مِن هؤلاء الاثني عشر ألف مقاتـل: عشرةُ ألافٍ مِن البربر، وألفـان مِن العرب ومعهم سبعمائة مِن السـودان[3]، -والذين مِن المحتمل، أنَّهم جُنِّدوا وجُـلِبوا مِن قِبَـل موسى وطارق في أثناء حملاتِهما على السُّوس الأقصى بالجنـوب الغربي[4]-؛ وهناك مَن صَـمَت كُلِّيةً عن تقدير ذلك[5].

إنَّه، ومهما اختلفت الروايات حول عدد الجيش الذي انتقل مع طارق، فهيَّ لم تستطع تجاهلَ أو تجاوزَ ذِكر أغلبيتِه مِن البربر، فقد كانوا يُشكِّلون الأغلبيَّةَ الغالبـةَ فيه. وهذا الأمر، قد لفـت إليه انتباه بعض المثيرين للفِتنة، مُعلِّلين بكونِ العــربِ قد دفعوا بالبربر إلى المجهـول، وبقوا هُم مُتفرِّجين، وجعلَ المزوِّرين يقولون أنَّ العربَ قد ألقوا بِهِم إلى هذه الأرضِ الجديدة، فإن كان قَتلاً فهُم سالمـون، وإن كان غَنْماً فهُم يعبرون![6].

ويردُّ عبد الرحمان الحجِّي على هذا التزويرِ وإثارةِ الفتنة، بأنَّ البربر هُم الذين تَرَجـوا موسى في ذلك، حيث استجابَ لهم[7].

قد يكون هذا الردُّ مِن هذا المؤرخ عاطفةً مِنه، لأنَّه لم يُثبِت ذلك مِن المصــادر التَّاريخيَّة؛ وهذا الأمر لا يُضيرُ لأنَّه يزيدُ في قدر هؤلاء البربر، ولا يُنقِصُ مِن القيمة التَّاريخيَّة لهذا الحدث.

إنَّ عددَ البربر الذين اجتازوا إلى الأندلس، قد يكون في بدايته اثنا عشر ألفاً، وهذا بأخذ رواية

---

(1)- ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4، ص.150 ؛ المقري: المصدر السابق،ج.1، ص.233.

(2)- المقري: نفسه، ص.231 ؛ وحسب المقـري دائماً فإنّ عدد العـرب كان اثنا عشر فقط، وهذا نقلاً عن الحُمَيْدي: نفسه، ص.239 ؛ أمّا ابن عبد الحكم فيجعلهم ستة عشر، المصدر السابق، ص.71.

(3)- مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.153.

(4)- طه (عبد الواحد ذنون): **دراسات في التَّاريخ الأندلسي**، ص.16.

(5)- مثل ابن القوطية الذي لم يُشِر إلى ذكر عدد هذا الجيش أو مشاركة البربر فيه،ومثل ابن كثير الذي يذكر أنّ عدد الجيش كان اثنا عشر،دون الإشارة إلى البربر فيهم،المصدر السابق،ج.5،ص.138.

(6)- الحجِّي (عبد الرحمان): **"بداية فتح الأندلس"**، مجلــة المجتمع الكويتيَّة، الكويت، عدد 17 / 02 / 2007، الصفحة الأخيرة.

(7)- نفس المرجع السابق.

ابن عذاري، الذي يقول أنَّ طارقاً جـــازَ إلى الأندلــس وافتتحَها بمَن كان معه مِن العـربِ والبرابرِ ورهائنِهم الذين تركَــهم موسى عنده، والذين أخـذَهم حسّان مِن المغـرب الأوسـط قبله[1]؛ أو قد يكون هو مجموعُ سبعة ألاف مقاتل، مع الخمسة ألاف[2] مقاتل آخر، التي أرسلَها موسى، بقيـادةِ طريف بن مالك[3]، بعد طلبِ طارق للنجدة، وهذا الأمر قد يُدعِّمُ رواية علمِ موسى بعبـورِ طارق إلى الأندلس.

لقد كسَّرَت قيادة طارق، للجيشِ الفاتـح، قاعـدةَ القيادةِ العربيَّةِ الصِّرفةِ للجيـوشِ الإسلاميَّة، فأصبحت، -من هذه التَّجربة الأولى-، تُمثِّلُ جيشاً يتكوَّنُ مِن قائدٍ بربري[4]، وجيشٍ مُعظـمُ طاقتِه البَّشريَّة مِن البربر، -كما رأينا سابـقاً-؛ وبالتَّالي، فالحديــثُ سيكـون عن توسُّــعٍ إسلاميٍ، وليس توسُّعاً عربياً[5].

وبهذا سيكون الجيش البربري، سابقةً تحدثُ لأوّل مرّةٍ في التَّاريخ الإسلامي؛ ويُعتبر ذلك القرارُ مَقصوداً، باعتباره خَطــوةً جريئـةً قام بها موسى بن نُصير[6]. ويأتي ذلك ثمرةً للسياســة المرنــة، التي

---

(1)- **البيان المُغرب**، ج.1، ص.43.

(2)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج.4، ص.268 ؛ زيتون (محمد): المرجع السابق، ص.160.

(3)- الحجّي: **التاريخ الأندلسي**، ص.46.

(4)- لقد ظهر اختلافٌ كبير حول أصل طارق، لكن أغلب الآراء تقول أنّه **بربري**. فابن عذاري يقول أنّه من نفزة، ويورد نسبه بالكامل : فهو "طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو"،فهو بذلك **نفزي**، وذكر"أنّه من سبي البربر،وكان مولى موسى بن نُصير"، نفسه ؛ أمّا في ج.2، ص.5، فسنجد تحريفا بسيطاً في بعض التسميات البربرية: "فهو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن بنرغاسن"؛ وعند مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،تح.وتر.لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد،1983، ص.98 ؛ وعند الحِميري: **الروض المعطار**، فهو زناتي، ص.224.

أمّا النسب الأخر الذي يورده بعض المؤرخين فنجد مثلاً: أنّه قيل هو **همذاني فارسي**: ابن عذاري: نفسه،ج.2، ص.5 ؛ مجهول: **أخبار مجوعة**،ص.97 ؛ وقيل أنّه من **قبائل الصدف اليمنية**، ابن عذاري : نفسه ؛ الحميري: نفسه، ص.35 ؛ وقد اختُلِف في تسمية والده، فقيل طارق بن عمرو: ابن عبد الحكم: نفس المصدر السابق،ص.71 ؛ الحُميدي: المصدر السابق، ص.217 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص.10 ؛ المقري: المصدر السابق،ج.1، ص.230 ؛ وقيل طارق بن زياد : الحُمَيِّدي: نفسه ؛ عبد الواحد المراكشي: نفسه ؛ ابن الأثير: نفسه، ج.4، ص.264 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4،ص.150 ؛ الحِميري : **صفة الجزيرة**،ص.9 ؛ ابن كثير:المصدر السابق، ج.5، ص.138 ؛ الرشّاطي: المصدر السابق، ص.103 ؛ وعند الشريف الإدريسي: فهو طارق بن عبد الله بن ونموا الزناتي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، نشر. دوزي ودي غويي، مطبعة ليدن المحروسة،1863، ص.176 ؛ قيل: أسلم والده أيام عُقبة، حسين (حمدي عبد المنعم) **: تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعيَّة بمِصر، 2007، ص.52.

(5)- وات (مونتغمري): المرجع السابق، ص.25.

(6)- حمّود (سوزي): المرجع السابق، ص.34.

صار يُطبِّقها هذا القائد[1]، بعد إتمامه للفتح في بلادِ المغرب.

لقد قام هذا الجيشُ الصَّغيرُ في عددِه، الكبيرُ في طموحِه وشجاعتِه،بالعبورِ إلى الضِّفةِ الأخرى، بواسطةِ مجموعةٍ مِن السُّفُن؛ التي يُحتملُ أن تكون قد قدَّمَها يُليان لهؤلاء الفاتحين، كما يُحتمـــلُ أن تكون مِن إنجازِ المسلمين أنفسِهم؛ والاحتمالُ الأوّلُ هو الأرجح، لأنَّ الاعتمــادَ على هذه السُّفُن لا يُثيرُ الريبةَ في نفوسِ مَن يُشاهدُها وهي تعبرُ المضيق[2].

وبرزت بعضُ الروايات، لتقولَ أنَّ هذه السُّفُن التي قدَّمَها يُليان[3]، كانت أربعـة[4]، وقيل أنَّها كانت مراكبٌ للتجار؛ التي كانت تختلِفُ إلى الأندلس حتى لا يشعرَ بذلك أهلُها[5].

وبذلك، نستطيعُ أن نرسمَ صـــورةً حول هذه المراكـب، والتي بدأت تأخذُ هؤلاء الجنـود فوجاً ففوجاً؛ ولكن كم استغرقت مُدَّة عبور هذا الجيش؟، وكم من رحلةٍ قامت بها نحو تلك البلاد؟.

لقد قام المؤرخ الإسباني إغناثيو أولاغي (**Ignacio Olagüe**)،بإنجاز كتابٍ سمّاه الثورة الإسلاميَّة في الغرب، –حيث أتى بنظريةٍ مُعاكسةٍ لفهمِنا للحدثِ التَّاريخي المدروس، وذلك موضــوعٌ آخر–؛ وما يهُمُنا في دراستِنا، هو إعطاؤه لنا لفكرةٍ حول التّساؤلِ السَّابق، والتي يُمكن أن تكون إجابـةً له، ونوردُ هذه الفكرة كما جاءت في كتابِــه المترجم :"إنَّ الحَدَّ الأقصى لحُمولة الزَّورقِ الواحد، لا تزيدُ على خمسين رجلاً، إضافةً إلى البَّحــارة؛ وبهذا سيحــتاجُ طارق، في هذه الحالـة، لنقـلِ جيشِـه إلى خمس وثلاثين (**35**) رحلةً، أي حـوالي سبعين (**70**) يوماً، لأنَّ هذا النَّــوعَ مِن الزَّوارقِ يحـتاج، على الأقل، إلى يومٍ واحدٍ لقطع المسافة؛ وإذا حَسَبْنا الأسابيع ذات الطقسِ السيئ، والتي تتوقّـــف فيها الرِّحلات، تصلُ هذه المدّة إلى ثلاثة أشهر"[6].

---

(1)- حمّود (سوزي): المرجع السابق، ص.34.
(2)- حسين (حمدي عبد المنعم): المرجع السابق، ص.57.
(3)- ابن عبد الحكم: المصـدر السابق، ص.73 ؛ البلاذري: المصـدر السابق، ص.323 ؛ الحِميري: **صفة الجزيرة**، ص.9 ؛ Colan (G.S) :¨**Al-Andalus**¨,E.I,Leiden,T.1, V.1,p.493
(4)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.97.
(5)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.6.
(6)- **العرب لم يغزوا الأندلس(الثـــورة الإسلاميّـــة في الغرب)**، تر. إسماعيل الأمين، رياض الريِّس للكتب والنشر، لندن،1991،ط.1،ص.28 ؛ يقول بيار غيشار عن هذا الكتاب، أنَّه عبارة عن أطروحة يصعب دعمها، مُلخَّصةٌ في عنوانٍ مُجَلجِل. انظر:
Guichard (P) :¨**Les Arabes ont bien envahi l’Espagne**¨, in : Annales, Economies, sociétés, Civilisations,1974, N°6, p.1483.

إنَّ نزول كلّ هذه الأعداد من البربر بأرض الأندلس، ودون أن يشعر بها سكان البلاد لهو أمرٌ غريبٌ ومُحيِّر، فاحتمالُ أن يكون هو السببُ المباشِرُ لبعثِها، وهذا لاعتيادِ وجودِها بالمنطقةِ للتِّجارة، وعدم إثارتِها للرِّيبة، وهو التخطيطُ المناسبُ الذي تمَّ إعدادُه، وتطبيقُه مِن قِبَل هؤلاء الفاتحين.

لقد استطاع طارقٌ وجنودُه مِن البربر، والقليلُ مِن العرب، الوصولَ إلى أرضِ الأندلس، والنزولَ بالصَّخرةِ أو الجَّبلِ، الذي أصبحَ يحملُ اسمَه (جبلُ طارق)، حيث كان حريزاً مَنيعاً[1]، وقد كان ذلك في شهر رجب[2]، أوشعبان[3]، أو رمضان[4] في السنة الثَّانية والتسعين للهِجرة، والموافِقُ لشهر أبريل[5] **711** للميلاد، في فصل الربيع على الأرجح[6]؛ وبهذا الجبلِ أنشأ قاعدةً وحِصناً[7].

ويُحتملُ أنَّه قد بقي مع طارق نصفُ الجيشِ الذي عبرَ معه، والنصفُ الآخرُ تحصَّنَ مع طريف في المنطقة التي نزلَ بها لأوَّلِ مرَّة؛ وهذا نقلاً عن ابن خلدون والمقري، اللذين يقولان أنَّ هذا الجيشَ قد صُيِّرَ عَسكَرين، أحدُهُما مع طارق ونزلَ به الجبل، والآخرُ مع طريف بن مالك ونزلَ بمدينة طريف[8].

ومِن المرجَّح أنَّ هذا الأمرَ هو التَّخطيطُ الثَّاني، الذي قام به طارق بعد وصولِه إلى أرضِ الأندلس[9]، ثمّ اختيار وانتظار الوقت المناسب للتَّصادمِ مع القوات القوطيَّة، كما أنَّه مِن الممكنِ أنَّ طارقاً وجُندَه ظلّوا يَتَرَصَّدون الأخبارَ حول الجيشِ الذي يقودُه لُذريق، والذي كان مُتوجِّهاً

---

(1)- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص.53؛ ويُسمى بجبل الفتح، مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.154.

(2)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.6 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.231.

(3)- المقري: نفسه.

(4)- ابن القوطية: المصدر السابق، ص.22 (تح.إسماعيل العربي).

(5)- مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.269.

(6)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.130.

(7)- مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، نفسه

(8)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.150 ؛ المقري: نفسه، ج.1، ص.233.

(9)- لقد رافق عبور طارق وجنده إلى أرض الأندلس عدّة أخبار، والتي أثارت الكثير من الجدل من مثل: إحراق السفن، والخطبة التي ألقاها على جنده، ولقاءه بالعجوز التي أنبأته بالفتح، وذبح الرهائن وطبخهم ...والتي تبدو كلُّها من الأساطير والمُبالغات. انظر مثلاً : حول إحراق السفن : الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص.177 ؛ الحميري: **الروض المِعطار**، ص.75 ؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق،ص ص.46-47 ؛ وحول الخطبة : المقري: نفسه،ج.1،ص ص. 240-241 ؛ وحول قصة العجوز، الحِميَري: **صفة الجزيرة**، ص.9 ؛ المقري: نفسه، ج.1، ص.254 ؛ وهناك دراسةٌ حديثةٌ حول قصة إحراق السُفُن والخُطبة للمؤرخ المِصري عويس (عبد الحليم): **إحراق طارق للسُفُن أسطورة لا تاريخ**، دار الصَّحوة، القاهرة، 1995، ط.1.

شمالاً نحو بنبلونة*[1]؛ لقتال قبائل البشكنش[2] (**Basques**).

إنَّ المصــادر التَّاريخيَّة، لم تُسجِّـــل لنا وقــوعَ نـزالاتٍ كثيرةٍ بين طارق والقوطيِّين، حتَّى المعـركةِ الكبرى والحاسمة؛ إلاَّ ما جاء عند ابن عبد الحَكم، الذي يقول أنَّ طارقاً لما جازَ إلى الأندلس تَلقّتهُ جنــودُ قرطبة واجترؤوا عليه للذي رأوا مِن قلّة أصحــابِه فاقتتلوا، واشتــدَّ قتالُهم، ثمَّ انهـزموا فلم يزل يقتلُهم حتَّى بلــغوا مدينة قرطبــة[3]؛ وعند ابن عذاري الذي يُخبرُنا بسـماعِ لُذريق لما فعلَـه طارق، فأخذَ يبعثُ له الجيوش، وكان على رأسِ أحـدِها ابن أختٍ له، يُسمى"بنج" (**Pancho**)، فهـــزموها كلَها[4]. وقد استمرَّت المعـركةُ الأخـيرةُ ثلاثةَ أيــامٍ حتَّى غلبــوهم[5]؛ وكان قائــدُ القــوط يُدعـى "تُدمير"، -خليفة لُذريق-، وهو الذي أخبرَه بهؤلاء الفاتحين[6].

وحَسَب ابن عذاري دائماً، فإنّ المسلمين بعد انتصارِهم هذا أرادوا الارتحــالَ إلى قرطبة[7]؛ أمّا ابن عبد الحَكم، فيقول أنَّهم بعد قتـــالِهم هذا، قد بلغــوها فِعلاً، ووصــلت تلك الأخبـــارُ للُذريق فزَحَفَ إليهم مِن طليطلة[8]، يجُرُّ أُمَمَ الأعاجمِ وأهلَ مِــلّة النَّصرانيَّة في زُهاءِ أربعين ألفاً[9]، أو مائة ألفٍ، أو شبه ذلك[10]؛ والتي ستقوم بينها وبين جيش طارق، المعركـة الفاصلـة والمحدِّدة لمصير هذا الفتح.

(*)- بنبلونة: مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة 125 ميلاً، وهي بين جبال شامخة وشعاب غامضة، كانت دار مملكة غرسية بن شانجه سنة 330 هجري، الحِميري: **صفة الجزيرة**، ص.55.

(1)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.97.

(2)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.232.

(3)- **فتوح إفريقيَّة والأندلس**، ص ص.74-75.

(4)- **البيان المُغرب**، ج.2، ص.8.

(5)- نفسه ؛ الحجّي: **التَّاريخ الأندلسي**، ص.52.

(6)- الحجّي: نفسه، والذي ينقل لنا عن ابن هذيل قــولاً لتُدمـير إلى لُذريق : "إنَّ قوما لا يُدرى أمِن أهل الأرض أم مِن السماء، قد وطئوا إلى بلادنا، وقد لقيتهم فلتنهض إلي بنفسك".

(7)- **البيان المُغرب**، نفسه.

(8)- **فتوح إفريقيَّة والأندلس**، ص.75.

(9)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.150.

(10)- مجــهول: نفسه ؛ ابن الكردبوس: المصــدر السابــق، ص.47 ؛ المقري: نفسه، ص.231 ؛ أمَّا الحِميَري، فيجعل عدد الجيش 400 ألف، نفسه، ص.10. (وتلك مبالغةٌ كبيرةٌ على ما يظهر!).

ولكن ما الذي سيجعلُ جموعَ طارق، تلتقي مع قوات لُذريق، في المنطقةِ الواقعةِ إلى جنوبِ غربِ قرطبة، -فلماذا غيَّر طريقَه إذا كان قريباً مِن هذه المدينة حَسَب ابن عبد الحَكم-؟، وهذا ما يُرجِّحُ أنَّ طارقاً لم يتقدَّم نحو الشمال، - تُجاه هذه المدينة-، بل قام باحتلالِ بعض المناطق القريبةِ مِن الجَبَلِ والجزيرةِ الخضراء[1]، وهذا ما ينقلُه ابن القوطية الذي يقول أنَّ طارقاً افتَتَح قرطاجنة[2]، بكورة الجزيرة، أو قام بشنِّ بعض الغاراتِ قربَ هذا الجَبَل[3].

إنَّه مِن المعقول، أنَّ طارقاً لن يُجازفَ للوصولِ إلى الشمال، وخاصةً مع توصُّلِه لبعض الأخبار، عن مدى ما يُحضِّرُه لُذريق مِن قوات، حيث ظلَّ أياماً والجنودُ تتوافى عليه[4].

فهل يُمكنُ أن يكونَ طارقٌ قد غيَّر خطَ سيرِه، فاتّجَهَ نَحو الشَمال الغربي، وهناك فاجأتهُ القواتُ الكبيرةُ الزاحفةُ نحوه، ومِن حُسْنِ حَظِّه، كانت الإمداداتُ قد وصَلَتهُ مِن موسى، -والتي تُقدِّرها بعض المصادر بخمسة ألاف مقاتل مِن البربر[5]-؟.

وفي التَّاريخ المِصيري لوقوعِ المعركةِ الحاسمة[6]، استطاعَ طارقٌ أن يهزمَ جيشَ لُذريق المدجَّج بالسلاح، والبالغ عدده ما بين أربعة، أو ستَّة أضعاف جيشه.

---

(1)- الجزيرة الخضراء: ويُقال لها جزيرة أم حكيم،بينها وبين قلشانة 64 ميلاً،وهي على ربوةٍ مُشرفةٍ على البحر، الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.73.

(2)- قرطاجنة: مدينةٌ قريبة من جبل طارق، تُعرف بقرطاجنة الجزيرة، لها نهرٌ يُعرف بوادي البحر، نفس المصدر السابق، ص.151.

(3)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.231 ؛ انظر الخريطة - رقم 1-، ص.124.

(4)- الحميري: نفسه، ص.9.

(5)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.98 ؛ المقري: نفسه، ص.232.

(6)- سُميت هذه المعركة بعدّة تسميات: فهي معركة **شذونة** عند ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص. 75، ويُسمى الواد الذي وقعت فيه بوادي أم حكيم؛ وهي معركة **لُكَّة** عند ابن عذاري، المصدر السابق،ج.2، ص.8 ؛ وعند الحِميري: نفسه، ص.169 ؛ أو معركة **بَكَّة**، ابن القوطية: المصدر السابق،ص.33،هامش3؛ وكانت قُرب فحص أو سهل **شريس**، ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4، ص.150 ؛ الحِميري : نفسه،ص.100 ؛ المقري : نفسه،ج.1، ص.233 ؛ الناصري السلاوي: المصدر السابق،ج.1،ص.45 ؛ أو قرب **وادي الطين**، الرقيق القيرواني: المصدر السابق،ص.54؛ مجهول : **تاريخ الأندلس**، ص.154 ؛ أو قرب **البُحيرة**، مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.98 أو قرب **وادي بُرباط**، مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.132.

إنَّ المرءَ ليذهلُ لنتيجةِ هذه المعركة، وخاصةً أنَّه لا توجد معلوماتٌ دقيقةٌ وواضحةٌ حول خُطَّتِها وتفاصيلِها، وعن سببِ اختيارِ هذا المكانِ بالذات.

وتُجمِعُ المصادرُ التَّاريخيَّةُ في مُعظمِها، أنَّ هذه المعركةَ قد دامت ما يُناهِزُ ثمانيةَ أيَّام (من يوم **28** رمضان إلى يوم **5** شوَّال)[1] لسنةِ الفتح، والموافِقِ لشهرِ جويلية مِن سنة **711** للميلاد؛ وانتهت بانتصارِ طارق وجندِهِ على لُذريق وجيشِه[2].

ويصفُ لنا الرقيق القيرواني، مدى استبسالِ البربر في هذه المعركة، فيقولُ أنَّهم كانوا أسرعَ على أقدامِهم فسبقوهم إلى خيلِهم فركبوها[3].

لقد مثَّلَت هزيمةُ القوطيين نَصراً ساحقاً للفاتحين البربر، ففُتِحتِ الطريقُ أمامَهم لضَمِّ الجزيرة الإيبيريَّة بكاملها، حيث لم يُسجِّلوا إلاّ خسارةَ ثلاثةِ آلاف مِن قواتِهم[4].

إنَّ الحوليات الإسلاميَّة لم تعرف انتصاراً مِثل هذا الانتصار، والذي سمحَ للمسلمين باحتلالِ أرضٍ كبيرة، وفي وقتٍ قصير؛ وهُم على هذه المسافةِ البعيدةِ عن القواعدِ الشرقيَّة، وكلّ هذا قد تمَّ على أيدي هؤلاء البربر، فكانت معركةُ الفتحِ إحدى المعاركِ الحاسمةِ في التَّاريخ الإسلامي[5].

لقد تضاربت الأقوال حول أسباب انتصار طارق وجُنده؛ وإنَّنا نقول هنا، أنَّه لا يُمكن تجاهل بعض الظروف والعوامل المساعِدة في ذلك، ونستطيع استنتاجها بناءً على ما توفَّر من مصادر

---

(1)- انظر مثلاً: مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.154؛ الحِميري: **صفة الجزيرة**،ص.169؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.8 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.259.

(2)- لقد اختُلِف حول نهاية لُذريق،فمن قائلٍ أنّه قد قُتِل في هذه المعركة،وقائلٍ أنّه،بل تمّ قتله في معركةٍ أخرى،سُمِّيت بمعركة **سَجوية** (**Saguyue**) قرب طليطلة.انظر: مؤنس (حسين): **روايةٌ جديدة عن فتح المسلمين للأندلس** (نقلاً عن: Saavadera(E) : Estudio sobre la invasion los arabes en España, Madrid, 1882.)

(3)- **تاريخ إفريقيَّة والمغرب**، ص.54 ؛ انظر مُلحق رقم 5، ص.120.

(4)- المقري: نفسه، حيث يُفهم ذلك بعد، ورود خبر تقسيم الغنائم على ما تبقى منهم.

(5)- انظر: Dhina (A):**Grands tournants de l'histoire de l'Islam**, SNED, Alger, 1978, p.98 ; Guichard (P) :¨**La conquête arabe de l'Espagne au miroir des textes**¨, in : CEHM, 2005, N°28, p.378.

ودراسات. فأوَّلُها، يجبُ عدم نُكران مدى إيمانِ وشجاعةِ هؤلاء البربر بعد دخولِهم الإسلام، وإلى جانب ذلك، خبرةَ وكفاءةَ طارق القائد البربري، حيث استطاع أن يُوظِّفَ ما استفادَ مِنه، إلى جانب موسى، -في حروبِه السَّابقة-؛ فلقد استطاعَ أن يكسبَ إحساسَ وصورةَ القائد، الذي يعرفُ كيف يُسيِّرُ جندَه، ويُعطيَ التعليماتِ لهم، فيطيعونَه، ويزيدَهم ثقةً بدون حُدود، ويَعِدُهم بالنَّصر عند تحضيرِ أيِّ معركة[1].

كما لا يُمكن إغفال كونِ بعضِ جيشِ لُذريق، قد مال إلى جيشِ طارق، حيث حدثت خيانةٌ في صفوفِ القوطيِّين؛ فبعضُ المؤرخين يتحدّثون عن ذلك، وعن خروجِ أبناءِ غيطشة وانزوائهم إلى جانبِ المسلمين[2]؛ فكان ذلك عاملاً آخراً من عواملِ هذا النصر.

وإضافةً لهذه العوامل، لا يُمكنُ تفويتَ قيمةِ ما جاءت به، حملةُ طريف البربريَّة، من معلومات عن جغرافيَّة المنطقة وتحصيناتِها، ومناطقِ قوةِ وضُعفِ القوطِ المتحكِّمين في بقيَّةِ الشَّعبِ الإيبيري.

لقد كان انتصارُ هذا الجيش، وبهذا العددِ القليلِ مِن المقاتلين البربر، مَثارَ استغرابِ وتساؤلِ الكثيرِ مِن الباحثين، ومِنهم ليفي بروفنسال، الذي حاول التشكيكَ في ذلك، فقال إنَّ ذلك مِن كُتّاب الأخبارِ العرب، فقد عَمِدوا إلى التَّقليل مِن عددِ جنودِ طارق، ليَجعلوا نتائجَ الحربِ أكثرَ لمعاناً[3].

إنَّ هذا الأمرَ يُمكن أن يَصدُقَ على بعضِ المعارِكِ الفاصلة، التي حدثَت في المِشرق، وكان العربُ هُم مَن يَقودونها، مِثل معارك اليَرموك والقادسيَّة ونَهاوَند وعَين شَمس وسُبيطلة...، وكانوا دائماً قليلي العَدَد[4]، وبهذا فسيكونُ البربرُ مِن صانعي الحدثِ آنذاك بأعدادِهم القليلة، والمنتصرةِ على تلك القواتِ المدجَّجةِ بالسِّلاحِ والجنود.

وصار النَّصرُ الذي حقّقَهُ طارقٌ وجنودُه،حافزاً لمواصلةِ كسبِ المزيدِ مِن الانتصارات، وقبل أن تستجمعَ القُوات القوطيَّة نفسَها مِن جديد؛ فبَعدَ اطمئنانِه لضعفِ المقاومةِ استأنفَ طارقٌ تقدُّمه

---

(1)- انظر: Gaid(M):**Les Berbères dans l'histoire**,éd.Mimouni,Alger,1990,p.13.
(2)- الحِميري: **صفة الجزيرة**، ص.10 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.258.
(3)- أولاغي (إغناثيو): المرجع السابق، ص.200.
(4)- زيتون (محمد): المرجع السابق، ص.161.

داخلَ البلاد، -بالرُغمِ مِن أنَّه كان مُهدَّداً بقطعِ طرقِ المواصلات، مع مَحدوديةِ جُندِه-[1].

ينقلُ لنا المقري، طريق توغُّلِ طارق وجندِه في الأندلس، فيجعلُ مدينة شذونة (**Sedonia**) أوَّل مدينةٍ يدخــلُها بعد المعــركةِ الكبيرة، فكان قد فتــحَها عُنوةً بعد حصــارٍ لها، ثمّ اتَّجهَ نحــو مورور (**Moror**)، فمدينة قرمــونة (**Carmona**)، ثمّ إشبيلية (**Sevilla**)، التي فتــحها صُــلحاً، ثمّ استجــة (**Ecija**)[2].

وشكَّلت مدينة استجة، الخــطَ الدِّفاعيَ الأوَّل، عن العاصمةِ طُليطلة، فقــاوَمت بشدَّةٍ، نتيجةَ تَجمُّع فلــولِ القــوط فيها[3]، ثمّ فُتِـحت بعد ذلك صُلـحاً، بعد أن أستطــاع طارقٌ القبــضَ على صاحبِها[4].

وتمَّ الاختلافُ بين الرُّواة، فيمن فتح قرطـــبة[5]، فبعضُهم يقولُ أنَّ طارقاً، هو مَن فتحها[6]، والبعضُ الأخرُ، يجعلُ "مُغيثاً الرُّومي"، - أحد قادة طارق-، هو من فتحَها، بعد أن استقرَّ(طارق) في استجة[7]، وقسَّــم الجيشَ إلى ثلاثةِ بعــوث[8]، وسارَ هو مع مَن اختارَهم نحو الشمــال، وبعثَ مُغيثاً إلى قرطبة في **700** فارس[9]، وآخرا إلى مالقة[10]، وثالثاً إلى غرناطة[11]، مدينة ألبيرة[12].

---

(1)- شاكر (مصطفى): **الأندلس في التاريخ،** منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص.23.
(2)- **نفح الطيب،** ج.1، ص. 260.
(3)- حمّود (سوزي): المرجع السابق، ص.44.
(4)- المقري: نفسه.
(5)- قرطبة (**Córdoba**): قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ومُستَقَر خلافـــة الأمويِّين بها، وهي في سفح جبل مطلٍ عليها يُسمى جبل العروس،ياقوت الحموي:المصدر السابق،ج.4، ص.324 ؛ الحِميري: **صفة جزيرة الأندلس،** ص.153.
(6)- مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس،** ص.154 ؛ الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص.54.
(7)- استجة: اسم لكورة بالأندلس، متَّصلة بأعمـــال مرية بين القِبـــلة والغــرب من قرطـبة، بينها وبين قرطبة 10 فراسخ وأعمالها متّصلة بأعمال قرطبة، ياقوت الحموي: نفسه، ج.1، ص.174.
(8)- مجهول: **أخبار مجموعة،** ص.99 ؛ المقري : نفسه.
(9)- مجهول: نفسه ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.9.
(10)- مالقة (**Malaga**) : مدينة على شاطئ البحر، من أعمال ريّة على ساحل بحر المجـاز المعروف بالزقاق، ياقوت الحموي: نفسه، ج.5، ص.43 ؛ الحميري: نفسه، ص.177.
(11)- غرناطة (**Granada**): اسمها بالأعجمية معناه الرُمَّانة، وهي أقدم وأحسن وأحصــن مدن كــورة ألبيرة، بينها وبين ألبيرة 4 فراسخ، وبينها وبين قرطبة 33 فرسخاً، ياقوت الحمــوي: نفسه، ج.4، ص.195.
(12)- ألبيرة (**Elvira**): كورة كبيرة من الأندلس، بينها وبين قرطــبة 90 ميلاً، أرضها كثيرة الأنهـــار والأشجار،وفيها مدن عِدَّة،منها قسطيلة وغرناطة، ياقوت الحموي:نفسه،ج.1،ص.244؛الحميري: نفسه، ص ص.29-30 ؛ ابن سعيد المغربي: **المُغـرِب في حُـلى المَغـرِب،** وضع حواشيه. خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1997، ط.1، ج.2، ص.75.

وواصل طارقٌ زحفه نحو طُليطلة[1] فدخلها دون عناء،لفرارِ المقاومةِ منها[2].ثمَّ بعد ذلك سلك إلى وادي الحجارة[3] (Guadalajara). ثمَّ بلغ مدينة المائـدة[4] (El maida)،وقيل أنَّه اقتـحم أرض جيليقية[5] (Galicia)، واخترقها حتَّى انتـهى إلى مدينة استرقـة، ثمّ عاد إلى طليـطلة، قبل حلـولِ الشتاء[6].

هل يُمكن أن تكون كلُّ هذه الفتوحات والانتصارات، التي حقَّقَـها طارقٌ وجندُه، وفي خـلال عامٍ واحد، وبنفسِ الأعدادِ التي بَقيت مَعه، بعد انتصـارِه على لُذريق؟، أم أنَّه قد جـاءته إمداداتٌ أخرى مِن البربر؟.

يُمكنُ أن نقولَ أنَّه قد جاءته فعلاً هذه الإمداداتُ مِن البربر، وهذا بناءً على ما يـوردُه المقري، نقلاً عن الرَّازي: أنَّ البربر أقبلوا نحوه من كلِّ وجه، وخرقوا البحر على كلِّ ما قدروا عليه من مركـبٍ وقشرٍ، فلحقوا بطارق[7].

وبهذا استطاع البربر إكمال نصف عملية الفتح، وسيُكملون نصف الشطر الثاني، بعد جـواز موسى بن نصير إلى الأندلس بقواته في السنة الموالية.

---

(1)- طليطلة (**Toledo**): مدينةٌ كبيرةٌ ذات خصائـص محمودة بالأندلـس، يتَّصل عملها بعمل وادي الحجارة،وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة. وكانت قاعدة ملوك القوطيين، وموضع قرارهم،وهي على نهر تاجة، ياقوت الحموي: المصدر السابق،،ج.4،ص ص.39-40 ؛ الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.130 ؛ ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج.2، ص.10.

(2)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.12 ؛ Colan (G.S) : op.cit, p.493

(3)- وادي الحجارة: تُعرفُ بمدينة الفرج بالأندلـس، وهي بين الجـوف والشـرق من قرطـبة، وبينها وبين طليطلة 65 ميلاً، الحميري: نفسه، ص.193.

(4)- المائدة: مدينة في أحـواز طليطلة، سُميت بذلك لأنّها وُجِـدت فيها المائدة، المنسـوبة إلى سليمان بن داود -عليهما السلام-، الحِميري: نفسه، ص.179.

(5)- جيليقية: ناحيةٌ قرب ساحل البحر المحيط، من ناحية شمالي الأندلـس في أقصاه من جهة الغرب، ياقوت الحموي: نفسه، ج.2، ص.157 ؛ ابن سعيد المغربي: نفسه، ج.2، ص.387.

(6)- ابن القوطية: المصدر السابق،ص.23؛ مجهول: **أخبار مجموعة**،ص.101؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.12؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص ص.264-265.

(7)- **نفح الطيب**، ج.1، ص.259.

وبدخولِ موسى الأندلـــس، يُصبح وكأنَّه قد قُــدِّر له، وللمرَّة الثَّانية، إتمــامَ ما بدأه، مَن كان قبله؛ فهو قد أتَّم فتحَ بلادِ المغرب، وسيُتِّمُ العملَ ببلادِ العُدوةِ الأخرى.

لقد أوردت لنا المصادرُ العربيَّة، خبرَ حسدِ أو غِيرةِ موسى مِن طارق، كما حَمَلت لنا حكايــةَ غضبِه مِنه، أو ضربِه له بالسَوط، أو إهانتِه له، أو كونِــه أراد قتله[1]؛ وهي بهذا تُريد أن تُعَرِّي هذا الفتحَ من قيمتِه الخاصة، وتجعله قضيَّةً شخصيَّة، بين قائدٍ ومولاه، وتذهبَ بعيداً في إثــارةِ العنصريَّةِ بين العربِ والبربر.

إنَّه لا يُعقلُ أن يكون عملَ طارق، مُنفصــلاً عن القيــادة الجَّماعيَّة للفتح، فجــوازُه للبلادِ كان مُتَّفِقاً مع تخطيطٍ رزين، هدفُهُ الإفادةُ القُصوى مِن الفرصـــةِ التي أُتيحت لهم[2]؛ وقد يكون غضبُ موسى مِن قائـــدِه لكونِه قد زحــفَ سريــعاً بعد معركةِ وادي لُكَّة، وتعريضِــه خطــوطِ مواصلاتِ المسلمين لخطرٍ مُحدِق[3]، واستسهالِه لخصومِه فحسب.

ومهما يكُن مِن أمر، فإنَّ دخولَ موسى مع قواتِه[4]للأنــدلس، زاد الفاتحين قوةً، واستطاع أن يستولي على مـدن كثيرة، في طريقــه إلى طليــطلة، أين التقى بطارق؛ ثمَّ ســار كلُّ واحــدٍ في اتِّجاه؛ ويذكــر ابن عذاري أنَّه دانــت له الأندلــس، ووصــل جيليقيَّة، وفتــح بلاد البشكنس، وغــزا بلاد الإفرنج، ثمَّ مال حتى انتهى إلى سرقسطة[5] (**Saragosa**).

---

(1)- انظر على سبيل المثال: ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص.80 ؛ ابن القوطية: المصدر السابق، ص.23 ؛ مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.100؛ مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.155 ؛ المراكشي: المصدر السابق، ص.11 ؛ الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص.54 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق،ج.1، ص.43 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4،ص.150؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.269 ؛ ويقول مولود قايد نقلاً عن المؤرخ الإسباني كوندي:" أنّ موسى بن نصير كان يُعامل طارقاً بالاستعلاء وسوء المعاملة". انظر: Gaid (M) : op.cit., p.18.

(2)- وات (مونتغمري): المرجع السابق، ص.30.

(3)- العدوي (إبراهيم أحمد): المرجع السابق، ص.94 ؛ وهو نفس ما يتَّفِق عليه كلٌّ مِن حسين مؤنس وعبد العزيز سالم، حيث يعتبران عمل طارق وموسى عملٌ واحد، وما جواز موسى للأندلس إلاّ لإتمام ما بدأه قائده، انظر: مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**،ص.45 وما بعدها ؛ سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.92.

(4)- قيل خرج معه 15ألفاً،ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.43 ؛ وقيل 18ألفاً، مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.101 ؛ وقيل 20 ألفاً حسب المؤلف المجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.155.

(5)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.20.

وهكذا انصرفَ موسى إلى فتحِ الجّهات التي خلَّفها طارقٌ دون فتــح[1]، وحَسَب المقري، فإنَّه قد خرج على باب الأندلــس الذي في الجبل الحاجز بينهما وبين الأرض الكبيرة[2]، وهو إلى أرضِ يقصدُ أنَّه قد تجاوزَ جبالِ البرانس **(Les Pyrénées)** إلى أرض فرنسا.

أمَّا طارق فقد استطاع أن يملك مدينتي برشلونة **(Barcelone)** وأربونة **(Narbonne)** وصخرة أبينيون**(Avinionum)**وحصــن لودون **(Lyon)**على وادي ردونة **(Rhône)** ،حتى قــام بترويــع ملك الإفرنج قارلة[4] **(Charles)**، وكانت نية موسى الوصول إلى الشام عبر القسطنطينيَّة[5].

لقد كانت هذه الفتوحات أقصــى ما وصلتهُ الجيــوش الإسلاميَّة ذات الغالــبيَّة البربريَّة، قبل أن يعودَ القائدان إلى المشرق، وذلك بطلبٍ مِن الخلافة، ولا يُعرفُ لذلك سَبَبٌ مباشر، إلاّ ما أشارت إليه بعضُ الروايات الحديثة، -والتي تبدو مُغرضةً في بعضِ الأحيان-، كخوفِ الخلافةِ مِن استقلالِ موسى بن نصير بتلك الجهاتِ النائية[5].

إنَّ موسى وطارق لو أرادا الاستقلالَ بالأندلــس، لأمكنَهُما فِعلُ ذلك، حيث لا تستطيعُ قوةٌ الوصولَ إليهِما، لردعِــهما عن ذلك، ومن هنا، يُفهمُ أنّ عملَهما، كان طاعــةً للخلافــةِ الأمويَّة، وسبيلاً لنشر الإسلام فقط.

وبعودة هذين القائدين عن الفتـــح، انتهت أعمالهما في الأندلــس، والتي استغرقا في فتــحِها، ثلاثة أعوامٍ ونصف، وتوقَّفت الفتوحُ في الشمال الأندلسي، ولكن إلى حين[6].

---

(1)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.146.
(2)- **نفح الطيب**، ج.1، ص.274.
(3)- نفسه.
(4)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.151.
(5)- العدوي (إبراهيم أحمد): المرجع السابق، ص.118.
(6)- طقُّوش (محمد سهيل): المرجع السابق، ص.56.

وكخلاصةٍ لهذا الفصل، يُمكنُ أن نقولَ أنَّ البربرَ قد قاموا بدورٍ عسكري كبير، في فتــحِ بلادِ الأندلــس، فهُم الذين شكَّلــوا الطليـعةَ الأولى، التي ذهبت للعُــدوة المقــابلة، وعادت بالأخبـــارِ والمعلومات؛ وهُم الذين قادوا وقاموا بالعملِ الحقيقي للفتح، حيث تصــادموا مع أعتى قوةٍ مُقاومــةٍ لهم، واستطاعوا التغلُّب عليها؛ كما أنّهم قاموا بالتوغُّــلِ في هذه البلاد، بعيداً عن السَّواحــل، وهُم بذلك، قد خاطروا أيَّما مُخاطــرة. وأهمُّ ما يُسجَّــلُ خلال هذه الفترة، أنَّ المصـــادر التَّاريخيَّة لم تكن لتُنقِــصَ مِن قيــمةِ هؤلاء الفاتحــين الحقيقيين، حيث لم يتعرَّضــوا لما سينالُهم فيما بعد، مِن حَــطٍّ وإهانة، وربَّما يعودُ ذلك، لرغبتِهم في الانتفاضِ والمطالبةِ بالحقــوق، وهو ما سنتناولُه فيما سيأتي مِن بحث.

** **

الفَصلُ الثَّـاني

استقرار البربر بالأندلُس ومُشاركتهم في التطوُّر السِّياسي للبلاد

المَّبحث الأوّل : مراحلُ هِجرات البربر ومناطقُ استقرارهم بالأندلُـــس

المَّبحث الثَّاني : مُشاركةُ البربر في الحياة العسكريَّة والسِّياسيَّة وعلاقتُهم بالسلطة النَّاشئة بالأندلس

سنتناول في هذا الفَصل، أهـمَّ الأدوار العسكريَّة والسِّياسيَّة التي قـام بها البربر، في هذه البـلاد المفتوحة؛ ومشاركتَهم في التَطـوُّر السِّياسي للدولة النَّاشـئة بها. فهذه الأدوارُ كانت شيئاً واقـعاً في تاريخ الأندلس، -وهذا مهما حاول بعض المؤرخين المتقدِّمين أو المتأخِّرين تجاهلَـها، أو التقليلَ من أهميتِها، أو محـاولةَ تأويلِها، لضربِهم بها-، فمنذُ مُساهمـةِ البربر في فتـحِ هذه العُـدوة، ثمَّ هِجـرتِهم واستقرارِهم بمختلفِ مناطقِها، كانت لهم مُشاركاتٌ في الحياة العسكريَّة والسِّياسيَّة، -سواءً كانـت صغيرةً أو عظيمةً -، وجبَ الحديثُ عنها، ليُعرفَ حجـمُ مشاركةِ كلِّ عنصرٍ بشري ضِـمن هذا التَّاريخ العظيم.

وستُواجهنا نفس الصُّعوبات والمشاكل في استقصاءِ وفهمِ هذه الأدوار، وتأثيرِ هذه المشاركةِ في هذاالتطوُّر السِّياسي؛ ويرجعُ ذلك دائماً، إلى صمتِ المصـادر الإسلاميَّة، في نقلِ الحقائـق كاملةً؛ فكلَّما توغلنا في تاريـخ التَّواجـد الإسلامي بالأندلـس، -منذُ الفتـح حتَّى سُقـوط الخلافـة، مُروراً بعَهدَي الوُلاة والإمارة-، كلَّما صـادفنا كُثرة التَّداخـلِ والغمـوضِ في الأحـداث، التي وقـعت بهذه البلاد؛ ويُرافقُ كلُّ ذلك، تجاهلٌ وتَجنٍّ كبيران،-في كثير مِن الأحيان-، سواءً مِن المؤرخين المسلمين في الأزمنة المتقدِّمة، أو مِن طرفِ المستشرقين المعاصرين.

المَّبحث الأوَّل : مراحل هِجرات البربر بالأندلس ومناطق استقرارهم

إنَّ دراسةَ هجرةِ البربر بالأندلس، ومناطقَ استقرارِهم بها، تحمـل لنا أهمِّيةً كبيرةً، في فهم حجمِ التَّأثيـرِ العسكـري والسِّياسي لهذه العناصـر، في التطـوُّر السِّياسـي لهذه البلاد. وموضـوع الهجـرةِ والاستقرارِ البربري، والبحـثِ عن المواطنَ التي حـلُّوا بها، أو تركّزوا فيها، قد أخـذ نصيباً من هذه الدِّراساتِ الحديثةِ ضِمن التَّاريخِ العامِ للأندلس؛ فكثيرٌ مِن الأبحـاثِ تكلَّمت عن ذلك، في إطـارِهِ الجَماعي لِهجرةِ واستقرارِ العناصرَ المختلفة، والمكوِّنةِ لهذا المجتمعِ الجديد؛ والقَّليلُ مِنها حاولَ معالجةَ هذا الجانبَ في إطارِهِ الخـاص؛ ولا يزالُ الأمـرُ في حاجـةٍ إلى كثيرٍ من الاستقصـاء، رُغم كلِّ ما تمَّ بذله من مجهودات بحثية.

وتخصيصُ موضوعِ الهجرةِ والاستقرار، بفئةٍ معيَّنةٍ مِن الفئاتِ البشرية أو السُّكانيَّة للأندلس، هو إشكاليَّـةٌ مُستَعصية، أمام مـادةٍ تاريخيَّةٍ قلـيلة(1)، قد تجاهـلت هذا العُنصـر الهـام، والذي كان له

(1)- يقول بيار غيشار : "إنَّ النصـوص الخاصة بالبربر، أقلّ عدداً من تلك التي تخصُّ العرب، ولكن رغم ذلك فهي تسمح بالاعتقاد بأنَّهم قدِموا من المغرب القريب بأعداد تفوق عدد العرب"، انظر: غيشار(بيار) :"**التَّاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم المُوحدين**"، = =

الجُهدَ الكبيرَ في الفتح، والقضاءِ على المقاومةِ الأولى.

واستناداً إلى هذا الكــمِّ القليل مِن المعلومات، التي جاءت في هذه المصــادرَ التَّاريخيَّة والجُغرافيَّة؛ فقد اعتمد الباحثون على وسائلَ وأدواتٍ أخرى، مُحاولةً الوصـولِ إلى الأهدافِ والنَّتائجَ المرجوةِ مِن ذلك؛ وستكون هناك مُحاولة في هذا المبحثِ، لتَتبُّعَ مراحلِ هِجرةِ هؤلاءِ البربر، وتقصِّي المناطقَ التي استقروا بها، أو التي تركَّزوا فيها على حسابِ العناصــرَ الأخرى؛ مع إيرادِ بعض الوسائــلَ والأدواتِ التي اعتمــدَ عليها هؤلاء المؤرخون، إلى جانبِ المصادرَ (التَّاريخيَّة والجُغرافيَّة).

أوَّلاً : هجرات البربر نحو الأندلس.

المرحلة الأولى من الهجرة البربريَّة نحو الأندلس

لقد عرفنا في الفصــل السَّابــق، أنَّ مُتولِّي كِبَرَ فتح الأندلــس، ومُعظــمِه هم البربر[1]، وتتبَّعنا الاختلافَ حــول عددِ الدَّاخلين الأوائــل مِنهم إلى تلك البِلاد، والذي تراوح بين **7000** و**12000** جندي بربري، تحت قيادةٍ بربريَّةٍ خالصــةٍ، لطارق بن زياد؛ ثمَّ إنّه، وبعد انتهــاء الموقِعةِ الكُبرى بين الفريقين؛ -الإسلامي والقوطي-، قد صــار عددُهم ما يُناهــزُ **9000** بربري[2]. وازداد عددُ البربر الدَّاخلين إلى هذه البلاد، بعد أن تسامَعوا، في بلاد المغــرب، حول انتصارِ الفَّاتحين مِن إخوانِهم في تلك الدِّيارِ الجديدة؛فبدأوا يتقاطرون نحوَها، وعَزاه بعضُهم إلى الطمعِ في الغنائمَ الواسعة[3]،والتي لم يَسبِق رؤيتُها أو حتَّى تخيُّلُها[4]؛ أي كانت غايتُهم التماسَ الغنائمِ قبل التَّفكيرِ في الاستقرارِ في هذه البلادِ الغنية[5]؛ وهذا تحاملٌ كبيرٌ ، وإن كان فيه قليلٌ مِن الصِّحَّة.

إنَّ هذه الأعدادَ الأولى مِن البربر، التي دخلت مع طارق، ثمَّ التي جاءت مع جيش موسى، -الذي غالبيته مِن العرب واقتصرت على بعض عُرفــاءِ البربر[6]-، إضافــةً إلى ما ذكره المقري عن

= = تر. مصطفى الرقي، الحضارة العربيَّة في الأندلس،مركز دراسات الوحدة العربيَّة،بيروت،1998، ط.1، ج.2، ص.967.

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.5 ؛ يُنظر الفصل الأوّل ، ص.33 وما بعدها.

(2)- تمّ استنتاج هذا العدد وفقاً لما نقله المقري عن الرَّازي،حول اقتسام المُنتصرين للغنائم، والذي كان على 9000 مقاتل، المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.259.

(3)- المقري: نفسه.

(4)- ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص ص.76-78 وما بعدها ؛ يُنظر أيضاً المقري: نفسه،ص ص. 288-289.

(5)- سالم (عبد العزيز): المرجع السابق، ص.122.

(6)- ابن عبد الحكم: نفسه، ص.76.

مجيء هذه الجُموعِ الهائلةِ مِنهم، فُرادى وجماعات،وبمختلفِ الوسائلَ الخاصة، في كثيرٍ مِن الأحيان، والتي لا يُعـــرَفُ كم كان عددُها الإجمالي؛ يُمكنُ أن نُطلِـقَ عليها تسميةَ الطَّليعةِ البربريَّةِ الأولى نحـو بلاد الأندلس.

والمصادر التَّاريخيَّة، إذ تذكرُ هذه الطليعة الأولى، لم تقُم بإخبارِنا، عن توافدٍ بربري آخر في اتجاهِ هذه الأرضِ الجديدة؛ مِمَّا تجعلنا أمام حَيرةٍ كبيرةٍ، حول حالةِ هذا التوافــدِ البشري. فهل استمرَّ هذا العُبورُ، أم توقّفَ لأسبابٍ خاصة؟.

إنَّ هذا الاستفهامَ، يُمكن الخلوص إلى حلِّه،في كون هذه الهجرة، لم تتوقَّف طيلة ثُلثي فترة حُكم الوُلاة، إلى غاية حدوث الثورة البربريَّة في بلاد المغرب والأندلس سنة **123**هـ/**740**م، و ما تبِـع هذه الثورة مِن تقتيل وتهجير كبيرين لهذه العناصر.

يُمكن تفسيرُ هذا الاستخـلاص، -حول أنَّ هذا التوافــدَ لم يتوقّف، ولمدةٍ لا تتجــاوز الثلاثين عاماً، وبأعدادٍ كبيرة، ولفترات متواصلةٍ-، بناءً على: حاجةِ المسلمين المتواجدين بالأندلـــس لعددٍ كبيرٍ مِن الجُنود، -وهذا لتدعيمِ القُّوةِ البَّشريَّةِ الجديدة بالأندلــس-، وهو ما سيتعزَّزُ به، من أعدادِ البربرِ الواقفين على الأطـرافِ القريبةِ مِن الأندلــس، والبعيدةِ عن تواجــدِ العناصرَ العربيَّة. والشيءُ الثَّاني الذي يُؤكِّد كثرةَ البربرِ في هذه البلادِ هو الأعـدادُ الكبيرةُ التي تمَّ قتلها، أو تهجيرُها قســراً نحو بلاد المغــرب، بعد ثورتِهم الكـبرى بالعُــدوتين، وحيث أنَّ عددَها الكبيرَ قد أعـطىَ لها قوةً وجُرأةً كبيرتين للقيامِ بمثل هذا العملِ الخطير، الذي قد لا تُحمَدُ عَواقِبُه.

إنَّ تزايدَ أفرادِ البربرِ بالأندلــس، وبأعــدادٍ كبيرة، قد قـال به المِقري (نقلاً عنِ الرَّازي)، وهو ما يَعتقِدُه بيار غيشار، بكونِ أعدادِهم كانت تفوقُ عددَ العربِ الوافدين[1].

وإنَّ هذه الأعدادَ الكبيرة، لم تكُن تفوقُ عددَ العربِ فقط، بل كانت تزيدُ عنهم أضعـافاً، حيث امتلأت بهم الأندلس عقِبَ الفتحِ مباشرةً، باعتبارِ تيارِ هذه الهجرةِ ظلَّ مُتواصلاً ومُستمراً[2]، ولقد سهَّلَ هذا التَّدافعَ نحو الأندلس، -كما سبق الإشارةُ إليه-، قُربُ بلادِهم مِن العُــدوةِ المفتوحة[3]، ولا توجدُ إحصائياتٌ بأعدادِ هؤلاء الوافدين، ولكن يبدو أنَّ عددَهم كان كبيراً جداً[4].

(1)- غيشار (بيار): المرجع السابق، ص.967.
(2)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.419.
(3)- دويدار(حسن يوسف): **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1994، ط.1، ص.29.
(4)- طه (عبد الواحد ذنون): **"تنظيمات الجيش في الدولـة العربيَّة الإسلاميَّة في الأندلس في العصر الأموي"**، مجلَّة المورد العراقيَّة، 1988، ع.65، ص.6.

وحاول حسين مُؤنس أن يجعلَ لِهجرةِ العربِ إلى الأندلــس اعتباراً، فرأى أنَّ ما جــاء به المِقري (نقلاً عن الرَّازي)؛ حول هجرةِ أهلِ برِ العُدوة، يحتــاجُ إلى تفسير، وهو ما لم يَقُم به الرَّازي، حَسَب رأيِه؛ وفي الأخير، يُقرِّرُ أنَّ نسبةَ العــرب، وإن كانت قليلةً، إلاَّ أنَّ عددَهم كان كثيراً[1]. ويعــودُ في موضعٍ آخر إلى الأمر الواقع، ليُؤَكِّدَ غلبةَ البربرِ على العرب،لا من حيثُ العددِ فقط، بل من حيثً القــوةِ أيضاً، ويجعــلَ ذلك في أوَّلِ الأمــر فقط!. ودليــلُه هو النَّصَّ الذي حمــلَه ابن القوطية، حول تقديمِ البربرِ لأيُّوب بن حبيب اللَّخمي ليحكمَهم؛أي أنّ ذلك كان اختيارُهم،فلو لم يكونوا غالبين لما استطاعوا ذلك[2].

إذن، فالعُنصر العربي، لم يكُن إلاَّ أقليَّةً، وقد ازداد عددُهم في السنواتِ التي أعقَبت دخـول قوةَ الشَّاميين والمهاجرين، الذين جــاءوا بعد سيطرةِ الأمويِّين على الحكمِ بالأندلس[3]. وحتَّى وصــولِ هؤلاء الشَّاميين،فإنَّ عددَ العربِ الذين دخلوا الأندلس،بعد الفتحِ كان قليلاً، وقد يتكوَّنُ من بعضِ الأفراد، الذين عبروا بصورةٍ مُنفردة[4].

ومِثلما كان جيشُ طارق، مُتكــوِّناً مِن البربر في مُعظــمِه، فإنَّ جيشَ موسى، كان مُعــزَّزاً مِن العربِ في مُعظــمِه أيضاً، وباعتبــار أنَّ الجيشَ الأوَّل، كان يُمثِّلُ الطـــالعةَ الأولى للبربر، فإنَّ الجيشَ الثَّاني،هو أيضاً يُمثِّل الطالعةَ العربيَّة الأولى في هذه البلاد؛ وكان الجيشـان مُتقاربَين مِن حيثُ العدد، وبعضُ المِصادر تُعطي الأغلبيَّة لجيشِ موسى.

إنَّ المصادر التَّاريخيَّة، لم تُورد لنا توافــداً عربياً نحو الأندلــس بعد فتحِها، باستثنــاءِ ذكـرِها لعدد الأربعمائــةِ مِن وجــوهِ إفريقيَّــة، الذين دخــلوا مع الوالي الحُــرُّ بن يوســف الثقــفي، في سنة **97**هـ/**716**م[5]؛ وكانــوا مِن اليمنيِّين في مُعظــمِهم؛ لأنَّ مُعظمَ عــربِ إفريقيَّةَ كانـوا كذلك[6]. وحسَب

---

(1)- **فجر الأندلس**، ص.186.

(2)- نفسه، ص.420 ؛ ابن القوطية: المصدر السابق، ص.25 (تح.إسماعيل العربي).

(3)- كولان (ج.س): المرجع السابق، ص ص.90-91 ؛ Colan (G.S) : op.cit, p.490

(4)- طه(عبد الواحد ذنون): **الفتح والاستـقرار العربــي الإسلامــي في شمــال إفريقيا والأندلــس**، دار المدار الإسلامي، بيروت - طرابلس، 2004، ص.182.

(5)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.25 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.3، ص.14.

(6)- مؤنس (حسين): نفسه، ص.400.

الرَّازي، فهم من النُخبة العربيَّة الممتازة[1].

ومن المرجَّح جداً، أنَّ الوُلاة الذين دخلوا الأندلس بعد الوالي الحرُّ بن يوسف، حتَّى تغلُّب بِلج بن بِشر القُشيري على الأندلس سنة **123**هـ/**741**م، قد دخل معهم عددٌ قليلٌ مِن العــربِ مع مَن تولّى شؤون البلاد؛ وكلُّ أولئك اشتهروا بتسميةِ البلديين، إلى جانبِ البربر[2].

إنّ أهمَّ ما يُميِّزُ المرحلةَ الأولى مِن الهجرة البربريَّة نحو الأندلس، والتي تمتدُ على قُرابةِ الثلاثين سنةً هو أوَّليَّةُ نزولِهم بهذه البلاد، ثمَّ كثرتُهم وغلبتُهم عددياً، على العنصرِ العربي بأضـعافٍ، ثمَّ تصاعــدُ مُنحناها البياني، حتَّى ولاية بِلــج، إلى جانب زهدِهم في الحُكم، وعدم تعيين والٍ مِنهم[3]، وحيث كانت تتتابــعُ الوُلاةُ العـربُ على هذه الأرض، فتــارةً مِن قِبل الخليفة، وتــارةً مِن قِبلِ عامِــلِه على القيروان، وذُكِر مرَّةً واحدةً أنَّ البربرَ قد تدخّلوا في تعيينِ الوالي[4].

المرحلة الثَّانية مِن الهجرة البربريَّة نحو الأندلس

تبتدئُ المرحلةُ الثَّانية، مِن الهجرة البربريَّة نحو الأندلس، منذُ هزيمةِ البربر في ثورتهم أو انتفاضتِهم ببلادِ المغربِ والأندلس، والتي كانت في سنة **123**هـ/**740**–**741**م، وتنتهي حتَّى أواخر عهدِ الإمارة **300**هـ/ **912**م؛ وقد توقفنا عند هذا التَّاريخ، لكونِه يُعتبرُ محـطةً سياسيَّةً هامة في بلاد الأندلـــس، معه تتَّضِح كثيرً مِن معالمِ الدولة، وتَظهرُ فيه إيديولوجيَّةٌ جديدةٌ في نِظامِ الحُكمِ ورسومِــه، وكان لها الأثرُ الكبيرُ على جميعِ السُّكان.

وتتميَّزُ هذه المرحلة، والتي تمتدُّ على حوالي قرنين مِن الزمن، بخسائرَ بشريَّةٍ هامة، مِن السُّكــانِ البربر، إمَّا قتلاً أو مَوتاً أو تَركاً للبلاد،وهذا راجعٌ لأسبابٍ سياسيَّةٍ أولاً، ثمَّ لأسبــــابٍ طبيعيَّة ثانياً. والمصــادرُ التَّاريخيَّة، إذ تنقلُ لنا بعضَ الأحــداثِ التي وقعت خلال هذه المرحلة، لا تورد لنا أيضاً، عددَ البربرِ الذين دخلوا أو خرجوا مِن البلاد، ولا حتَّى أعدادَ الخســـائر البشريَّةِ لهم؛ وبالتَّالي، فهي قد سكتت عن ذلك، كما فعلت في المرحلة الأولى.

والخسائر البشريَّة للبربر، تبتدئ منذ معركة شذونة، أو وادي الفتح،حيث تمَّت إبادةُ جمعٍ منهم،

(1)- المقري: المصدر السابق، ج.3، ص.14.
(2)- نفسه، ص.22.
(3)- هل كان عدم تعيين البربر لوالٍ منهم، ناتجاً عن عجزهم، أو لعدم رغبتهم في الحُكم، أم لأمرٍ آخر لا يُعرفُ تفسيره؟!.
(4)- حسب رواية ابن القوطيَّة كما سبق ذِكره: المصدر السابق، ص.25.

وإصابــةُ أمتعتِهم ودوابِهم[1]، ثمَّ ما كان مِن هزيــمةٍ كبرى، في جِهة طُليــطِلة، حيث كان مُعـــظمُ البربر، فقُتِل منهم الآلاف[2]، عقِبَ انتفاضتِهم الكبرى بالأندلس في سنةِ **123**هـ/**740–741**م.

وكأنَّه قُدِّر للأندلــس، أن تفقدَ آلافاً مِن البربر، وتُعوَّضَ بحوالي عشرة آلاف مِن العرب، الذين دخلوا مع بِلج[3]، والذين أُطلِق عليهِم تسميةُ طالعةِ الشَّاميين[4]، أو طالعـة الجُند[5]. ثمَّ إنَّ تقتيـلَ البربرِ لم يتوقَّف بعد موت بِلج، في نفس السَّنة، بل استــمرَّ مع خليفته، ثَعلبَة بن سلامــة العاملي (**123–125**هـ / **742–743**م)، الذي قَتـلَ مِنهم خـلقاً كثيراً، ثمَّ سـبى ذراريـــهم[6]، وأسَـرَ مِنهم الآلاف[7]، وهذا ما لم يفعلهُ سابقوه[8]؛وبقيَ الحالُ كذلك إلى أن وَفَدَ على الأندلس الوالي الجديد أبو الخطَّار الحُســام الكلبي (**125–127**هـ/**743–745**م)، حيث أطلـقَ الأسـرى والسَبي[9]، وقــام بإعادةِ توزيعِ التركيبةِ السُّكانيَّةِ في البلاد، –وخاصةً العرب منهـم–.

إنَّ هذه الهزيمةَ النكراءَ للبربر، وما لحقَــها من إذلالٍ لِما تبقَّى مِنهم، لابدَّ أنَّها ستتركُ أثـراً كبيراً في نفوسِهم، وتجعلُهم يتوجَّسون مِن العـرب، وقد أدى بهم ذلك إلى التفــكيرِ في معــادرةِ الأراضي الأندلسيَّة، والعـودةِ إلى بلادِهم الأصليَّة، بالشمـــال الإفريقي. وفعلاً فقد هَجَرَ مُعظمُهم الأقاليـــم الشماليَّة المتاخمة للمناطق المسيحيَّة[10]،والذي سيكونُ له عظيمُ الأثرِ في عمليةِ الاسترداد الإسباني؛ ورُبَّما سيُفكِّر كثيراً كلُّ من يُريدُ العبور إلى الأندلس، مِن هؤلاء السُكان.

---

(1)- ابن القوطيَّة: المصدر السابق، تح.الأبياري،ص.44(فيقول:"حتى أفنوهم ولم ينجُ منهم إلاَّ الشريد")؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.31.

(2)- ابن القوطيَّة: نفسه ؛ ابن عذاري : نفسه ؛ فكم سيكـون عدد القتلــى من البربر، بناءً على ما نقــله المقري عن ابن حيّان، من أنَّ البربر كانوا في جموعٍ لا يُحصيها إلاَّ رازقها، ولما كثُر فيهم القتل اخفوا عن العيون، ج.3، ص.21.

(3)- ابن عذاري: نفسه، ص ص.30-31.

(4)- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص.7.

(5)- ابن الأبَّار: المصدر السابق، ج.1، ص.64.

(6)- ابن القوطيَّة: نفسه، ص.47 ؛ مجهول: **أخبار مجموعة،** ص.119.

(7)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.33.

(8)- ابن القوطيَّة: نفسه، ص.48 ؛ ابن عذاري: نفسه .

(9)- ابن القوطيَّة: نفسه، ص.49 ؛ انظر ترجمة أبي الخطَّار عند ابن الأبَّار: نفسه،، ج.1، ص.61 وما بعدها.

(10)- فيلالي (عبد العزيز): **العلاقات السِّياسيَّة بين الدولة الأمويَّة في الأندلس مع دول المغرب،** دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ط.2، ص.55.

إنَّ هذا لا ينفي حتمية وجــودِ هجراتٍ فرديَّة، والتي يُمكنُ أن تكونَ مُحتشمةً وحذِرة، إلى حين عودتِها بصورةٍ واضحةٍ، مع عبورِ عبد الرحمان الدَّاخل، والتجاءِه بهذه البلاد.

وسيُضافُ إلى هذا التراجعِ العددي للبربر بالأندلس،أعدادٌ أخرى مِن الخسائرَ،بعد دخولِهم في المعارك التي وقعت بين القِسمين العربيين(الشَّاميَّة واليمنيَّة)، حيث اشترك البربر إلى جــانب اليمنيين ضد الشَّاميين[1]، (الداخلين المتأخرين إلى الأندلس)، فكان لهم-أيضاً-، نصيبٌ مِن التقتيل الكبير الذي حدث في هذه الفِتنةِ الخطيرة.

وإلى جانبِ ذلك، فقد قام البربرُ بكثيرٍ مِن الثـورات والانتفاضات، بعد قيـامِ الإمـارةِ الأمويَّة بالأندلــس، كثورةِ ابن عبد الواحِـد الفاطمي[2]، بين سنوات (**152-160**هـ/**769-776**م)، بمنطقة شنتبرية[3]، حيث قتل مِنهم الأميرُ عبد الرحمان خلقاً كثيراً وأذلَّهم[4]. وتجدَّد قتلُ البربر، خلال عهد الأمير هشام الرِضــا، حيث قُضِي على أكثر أصحــابِ فتنةِ تاكرنا[5]، في **178**هـ / **794**م، وقفِرَت بلادُهم سبعَ سِنين[6].

وفي عهدِ الأمير الحَكَم بن هشام، سجَّلت لنا المصــادرُ التَّاريخيَّة، حادثةً كبيرةً، سُمِّيت بحــادثةِ الرَّبض، والتي كانت سنة **202**هـ/**817**م، حيث هاج سُكانُه بقرطبة، فقتلهم الحَـكَمُ قتلاً ذريعـاً، في الأزقةِ والطُرُق، وصَلباً على الوادي، وخرجَ الكثيرُ مِنهم إلى العُدوة، فسَكنَ بعضُهم فاس، وذَهَــبَ غيرُهم إلى إقريطــش[7] (**La Crète**)؛ فكان قد نــزلَ منهم **7000**، بالمدينة الأولى، و**15000** ذهبوا

(1)- حول الصراع الشامي اليمني، انظر على سبيل المثال، ما كتبه حسين مؤنس في **فجر الأندلــس**، ص.283 وما بعدها.

(2)- مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ص.115(حيث يُسمِّى هنا بتاشفين بن عبد الواحد الفاطمي) ؛ وهو شِقْنا بن عبد الواحد الفاطمي في النُسخة المحقّقة لعبد القادر بوباية : **تاريخ الأندلس**، ص.166.

(3)- سنت برِية أو شنت برِية : هي أوّل الحصون التي تُعد لبَنبَلونة، مبتناة على نهر أراغون، على مسافة 3 أميال منه،الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.114 ؛ وعند ياقوت الحموي: سنتمرية حصن من أعمال شنتبرية، وشنتبرية تقع شرق قرطبة بحوز مدينة سالم، المصدر السابق،ج.3، ص ص 366-367.

(4)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.55.

(5)- تاكرنا: مدينة بالأندلس،بالقرب من إستجة،وإليها تُنسبُ الكورة، ومن مُدُنها رُندة، الحميري: نفسه، ص.62.

(6)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.64.

(7)- نفسه، ص ص.76-77 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4،ص.162 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.339؛ مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.321.

إلى الجزيرة اليونانيَّة[1]؛ وحسب ابن القوطيَّة فالذين نزلوا بسواحلِ بلادِ المغرب، صاروا مِن أهلها[2].

ولم يكن تقتيلُ البربر، أو تهجيرُهم، أثناء هذه المرحلة، السبيلَ الوحيدَ في إفراغِ بلاد الأندلـس مِن الأعدادِ الكبيرة مِن هذه المجموعةِ السُّكانيَّة، بل زاد في ذلك، ما عرفتهُ البـلادُ مِن أوبئة ومجـاعات، امتدَّت لسنواتٍ طويلة.

فحَسَب ابن عذاري، فإنَّ الأندلس أُصِيبت بفترةٍ من الجفاف، ونقصٍ في الغيث، خلال بعض السَّنوات، والذي امتدَ بين سنوات (**131** و**136**هـ/ **748** و**753**م)، وأدى ذلك إلى استحكامِ الجوعِ والقحط، فخرج كثيرٌ مِن الناس إلى طنجة وزويلة[3]، وريف البحـر في العُدوة[4]؛ وفي موضـعٍ آخر يقول أنَّ الأندلس أُصِيبت بالوباءِ والموتِ خلال هذه الفترة، حتَّى كاد الخلقُ أن ينقرضَ منها[5].

إنَّ أسباب هذه المجاعة، ترجعُ إلى الحروبِ العنيفةِ بين العربِ الشَّاميين واليمنيين؛ وبين العـربِ والبربر؛ حيث تركَ الجميعُ العملَ في الفلاحـة، وتفرَّغوا لهذه النزاعـات، وازدادت الهِجــرة إلى بلاد المغرب، وقلَّ عددُ المسلمين في شبهِ الجزيرة عمَّا كان[6].

وقد تجــدَّدت المجاعــاتُ والأوبئــةُ خلال السَّنوات الموالـية؛ ففي سنة **197**هـ/ **812** م، كانت مجاعــةٌ شديدة بالأندلــس، مــات فيها خلقٌ كثيرٌ بشـرقِ البـلاد، وكذلك في سنة **189**هـ/**804**م، سبقتها مجاعةٌ كبيرة أخرى، ووباءٌ بالمغربِ والأندلس، ذهب فيها ثُلُثا النَّاس[7]!.

وخلال القرن الثَّالث الهجــري، أصِيبت البلادُ بكــوارث طبيعيَّة أخرى، ربَّما كان لها الأثــر في

(1)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.182.
(2)- ابن القوطية: المصدر السابق، ص.52 ؛ فانظر كم سيكون عدد البربر، ممن قُتلوا أو هُجِّروا من الأندلس خلال هذه الفتنة، وحيث كان من ضمنها فقيه منهم، وهو يحي بن يحي الليثي،وما يمكن أن يكون له من تأثير في كسب تأييدهم وكان قد سبق هذه الفتنة،موقعتا قرطبة 189ه/804م، وطُليطلة 191هـ/ 806م، حيث قُتِل الكثير من العلماء، ونجا منها الفقيه اللَّيثي بأعجوبة، ابن القوطية: نفسه، ص.48 ومابعدها.
(3)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.129، وفي تحقيقه، ورد اسم مدينة أصيلة أو أزيلة.
(4)- **البيان المُغرِب**، ج.2، ص.38.
(5)- نفسه، ص.37.
(6)- مؤنس(حسين): **موسوعة تاريخ الأندلس**،مكتبة الثقافة الدينيَّة،القاهرة، 1996،ط.1،ج.1،ص.37.
(7)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.180.

خروج بعض السُّكان إلى بلاد المغـرب؛ ففي سنة **207**هـ/**822**م، كان بالأندلـس، جـوعٌ شديد، مات به كثيرٌ مِن الخلق[1]. أمَّا في سنة **232**هـ/**846**م، فقد قَحِطت البلادُ قحطاً شديداً، وكان فيها مجاعةٌ عظيمة، حتَّى هلكتِ المواشي، واحترقتِ الكرومُ وكثُرَ الجراد[2]؛ وفي سنة **282**هـ/**895**م، كان هناك وباءٌ وموتٌ ومرض، فهلكَ بالأندلس كثيرٌ مِن الناس، ما لا يُحصَى عددُهم، فكان يُدفـنُ في القبرِ الواحدِ عددٌ كثيرٌ (مِن الناس)، لكثرةِ الموت[3].

إذا كانت هذه المرحلة مُتميِّزةً بكثرةِ الخسـائر، مِن البربر، -إمَّا قتلاً أو هجـرةً-، فإنَّه، لا يُمكنُ الجـزم، بأنَّهُ لم تكُن هناك هجـرةٌ مُعاكِـسةٌ للأندلـس؛ أوعودةٌ لهؤلاء المهاجرين إلى بلاد المغـرب، والسَّببُ دائماً، عائدٌ لعدم تحدُّثِ المصـادرِ عن هذا الأمر، باستثناءِ ورودِها في بعضِ المواضـعَ التي يُعتمدُ عليها في فهمِ ذلك.

فالمِقري ينقلُ لنا روايةً، عن اعتضـادِ عبد الرحمان الدَّاخـل بالبربر، وذلك لعدمِ ثقتِه في العـرب، فأرسلَ إليهم ببلادِ المغـربِ يُرغِّبُـهم في التوجُّــهِ إليه، حتَّى صـار له منهم أربعين ألفاً، استطـاعَ أن يتغلَّبَ بواسطتِهم على الأندلس[4]؛ وعند استتبابِ حكــمِه بها، قدِم إليه رئيسُ قبيلة مغـيلة أبوقُرَّة واسنوس، الذي نزلَ عندَه، -فيما قبل-، الأمير الأموي الهارب مِن العباسيين[5].

واستمرَّ الأميرُ عبد الرحمان، في جلبِ البربر، للاستقواءِ بهم،وخاصةً بعد نشأةِ الدولـة الرستميَّة، فالمِقري ينقـلُ عن ابن عبد الحَكـم، أنَّ الأميرَ الأموي، قد استجـار ببني رُستم، ملـوك تيهرت[6]؛ واستمرَّت العلاقات بين الدولتين الناشئتين، لتقاطعِ المصـالحِ بينهما، ووِحدةِ عداءِهما للدولِ المجاورة. ففي عهدِ عبد الرحمان الأوسط، جاءت قـــوةٌ مِن البربر، قدِمت مِن المغـرب الأوسط، في سفـارة

---

(1)- ابن حيَّان الأندلسي: **المقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، الجُزء المُتعلِّق بالفترة (232-238ه /846 - 852م)،تح. محمد علي مكّي،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،1994،ص.225 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.81.

(2)- ابن حيَّان الأندلسي: نفس المصدر السابق،ص.143 ؛ ابن عذاري: نفسه،ج.2،ص.89.

(3)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.200.

(4)- **نفح الطيب**، ج.3، ص ص.36-37.

(5)- نفسه، ج.1، ص.333.

(6)- نفسه، ج.3، ص.29.

الإمام عبد الوهاب الرستمي، سنة **207**هـ/**822**م[1]، ولا يُعلمُ كم كان عددها.

وقبل ذلك، وعند توليةِ الأمير الحَكَم بن هشام، سنة **180**هـ/**896**م،كان قد خرج عليه عَمَّاه، سُليمان وعبد الله، مِثلما فَعَلا مع والدِه هشام، مِن قبل؛ حيث كانا مُقيمين في بلاد المغرب، بمنفاهما، فاجتاز كِلاهما البحرَ إلى الأندلس، واعتمدَ كلُّ واحدٍ منهُما على قوةٍ بربريَّة،في مُحاربةِ ابن أخيهما، في عدَّةِ معارك، كمعركةِ إستجة التي انهزم فيها سليمان مع أعدادِ البربر[2]؛ ويشيرُ محمود إسماعيل، إلى أنَّ إدريس الأوَّل، هو الذي أمدَّهُما بجندٍ مِن العُدوة، فغادراها إلى الأندلس، وكان انتقال الأوَّلُ في سنة **180**هـ/**796**م، والثَّاني في **182**هـ/**798**م[3].

إنَّ أهمَّ ما نستخلصُه مِن مميِّزات، خلال هذه المرحلةِ الثَّانية، مِن هجرة البربر، نحو الأندلس، هو التراجعُ الكبيرُ والفظيعُ في أعدادِهم، في فتراتٍ كثيرة، وهذا بعد عملياتِ التقتيلِ والتهجير، التي حدثت لهم بعد انتفاضاتِهم وثوراتِهم الكثيرة. وحدث ذلك بصورةٍ كبيرة، بعد ثورةِ **123**هـ/ **740**-**741**م. وازدادَ قتلُ البربر، نتيجةَ الفتنةِ العربيَّةِ التي حدثت بين الحَيَين العَربِيَيْن، ووقوفِهم إلى جانبِ الحيِ اليمني، باعتبارِه مِن البلديين مِثلهم، ولتسامُحِهم معهم؛ وقد رافق ذلك فتراتُ المجاعةِ والأوبئةِ والقحط، فانتقل بعضُهم إلى العُدوةِ الأخرى؛ وعند قيامِ الدولةِ الأمويَّةِ بالأندلس، عادت هجرتُهم، وبكثافة، خاصةً في عهدِ الدَّاخل، الذي اعتمد عليهم في توطيدِ حُكمِه، واستمرَّ الحالُ في عقِبِه.

المرحلة الثالثة من الهجرة البربريَّة نحو الأندلس

إنَّ المرحلة الثَّالثة، من الهجرة البربريَّة نحو الأندلس، سنحدِّدُها مِن وصولِ الأمير ثمَّ الخليفة عبد الرحمان النَّاصر لدين الله، إلى حُكمِ الدولةِ الأمويَّة، سنة **300**هـ/**912**م، حتَّى سقوط الخلافة سنة **422**هـ/**1031**م؛ فهي إذن تتجاوزُ القرنَ مِن الزمنِ بحوالي عَقدين؛ وخلال هذه الفترة، عرفت بلادُ الأندلس، انتقالَ أعدادٍ كبيرةٍ مِن البربر إليها؛ وقد تحدثت عنها المصادرُ التَّاريخيَّة، -في هذه المرَّة-، بصورةٍ أوضح، بل وزادت في ذلك، بأن ذكرت أسماءَ بعضٍ مِن الأفراد العابرين.

(1)- يوسف (جودت عبد الكريم): **العلاقات الخارجيَّة للدولة الرستميَّة**، المؤسسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر،1984، ص.132 ؛ بوباية (عبد القادر): **"علاقة الرستميِّين بالإمارة الأمويَّة بالأندلس"**، مجلَّة التُّراث العربي، دمشق، ع.99 -100، ص.384.

(2)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.70

(3)- إسماعيل (محمود): **الأدارسة (182-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة،1991، ط.1، ص ص.153-154.

إنَّ أوَّل المصادر، والتي ذكرت أقدم عبور للبربر إلى الأندلس، ما نقله لنا البكري، عند حديثِه، عن بلادِ نكّور، والتي دخلها عامل عُبيد الله الشِّيعي على تيهرت، ممَّا اضطرَّ أبناء سعيد بن صالح إلى الفرارِ إلى بلادِ الأندلس سنة **305**هـ/**917**م، زمن النَّاصر، فنزلوا بمالقة وبجّانة[1]، ودخلوا في طاعةِ الأمويِّين، فحباهم الأمير ووسَّعَ عليهم[2].

وبعد عقدين مِن الزمن، يذكر البَّكري، أنَّه في حدود **324**هـ/ **935**م، وصل حاكمٌ آخر مِن نكّور إلى الأندلس، مع أهلِه وولدِه، ونزل ببجّانة، وذلك بعد سيطرةِ أبناءِ عمومتِه على الحُكم، بقيادةِ جُرثم بن أحمد، ومنصور بن الفضل[3]؛ وتتشابَهُ الرِّوايتان عند ابن خلدون، لأنَّه ينقل عن الأوَّل[4].

وفي سنة **343**هـ/**954**م، وصل قرطبة وفدٌ مِن قبيلة أزداجة، حيث انحاشوا إلى طاعةِ بني أميَّة[5]، وكان مِن زعماءِهم، شجرة بن عبد الكريم المسطاسي، والذي يعتبره الرَّازي مِن بين أعلامِ القبائل[6].

واستمرَّ توالي هجرةِ البربر، خلال هذه الفترةِ وما بعدها، وكان أكثرها بعد انحيازِهم إلى جانبِ الأمويين، على حسابِ العُبيديين. ففي سنة **344**هـ/**955**م، جاء قرطبة، وجوهٌ مِن قبيلةِ كُتامة، وغيرِهم مِن القبائل، على رأسِهم ابن عم حميد بن بصل[7]، فكانوا ستةً وثلاثين[8].

وتتوالى الانشقاقاتُ عن الفاطميين، لصالحِ الأمويين، وكان مآلها، في كثيرٍ مِن الأحيان، توافدُ هؤلاء المنشقين إلى قرطبة؛ ففي عهد الحَكم المستنصر، وفي جمادى الأولى،مِن سنة **362**هـ /**972**م، يقدُم على الخليفةِ جمعٌ مِن مصمودة، مِمَن كان مع حسن بن قنُّون، الخارجِ عن طاعته، فكانوا في

---

(1)- بجّانة: مدينة بالأندلس، من أعمال كورة إلبيرة، بينها وبين غرناطة 100 ميل، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.1، ص.339.
(2)- **المسالك والممالك**، ج.2، ص ص.279-280 .
(3)- نفسه، ص.282.
(4)- **تاريخ ابن خلدون**، ج.6، ص ص.285-286.
(5)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.219.
(6)- مجهول: **مفاخر البربر**، ص.156، وجاءت تسميتُه هنا بشجرة بن عبد الله.
(7)- كان قد انحاز إلى جانب النَّاصر، منذ 336هـ/947م، وصار واحداً من القادة الأمويِّين في المغرب ضد الفاطميِّين، ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.215.
(8)- ابن عذاري: نفسه، ص.220.

سبعين رجلاً، نزعوا إلى طاعته[1]، وفي نفسِ السنة، وفي شهرِ رمضان، يُحتمل أنَّه قد وصلت أعدادٌ أخرى، مِن البربرِ الخارجين عن ابن قنُّون، حيث كان على رأسِهم أبو العيش بن أيُّوب بن بلال، وهو رئيس كُتامة[2]. أمَّا في السَّنةِ الموالية، فقد قدِم ابن قنُّون نفسُه على الحكم المستنصر، بعد أسرِه وخضوعِه للأمويِّين[3]، ويبدو أنَّه قد عاد وألغى طاعتَه، حيث حاربَه ابن أبي عامر في سنة **375**هـ[4].

وتزامناً مع مقدَمِ أتباعِ ابن قنُّون إلى الأندلس،فقد وَفَدَ على الحَكَم أيضاً،واحدٌ مِن قادةِ البربر، ويُسمَّى ثُعبان بن أحمد البربري، حيث قتل خال محمد بن حنُّون الخَّارج عن سلطةِ الأمويِّين بالبصرة[5]، فجاء الأندلس مع أهلِه وولدِه، وأنزله الحَكم مَنزلةً عاليةً[6].

وفي آخر رجب من سنة **363**هـ/**973**م، قَدِم على الحَكَم، قَياطِن بن يعلى، ولد يعلى أمير بني نفر، وصاحب مدينة أفكان، بعد أن قتل جوهر الصقلي (قائد العُبيديين) والدَه[7].

ويُشير ابن حيَّان، إلى أنَّ توافد البربرِ على الخليفةِ المستنصر، لم يتوقف خلال حُكمِه، حيث كان يَستكثِرُ مِنهم، مِن العُدوة، ويَجتبي مِنهم الفُرسانَ الأشدَّاءَ والشُجعان[8].

أمَّا خلال فترةِ العامريِّين وحُكمِهم للأندلس، –حجابةً في عهدِ الخليفةِ هشام المؤيِّد–، فقد ازداد عددُ البربرِ المجلوبين مِن بلادِ المغربِ كثيراً، حيث عرفتِ الدولةُ الأمويَّةُ بروزَ العنصرِ البربري،

---

(1)- ابن حيَّان الأندلسي: **المُقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، الجزء المتعلِّق بالفترة (360-364هـ/970-974م)، شرح واعتناء. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصريَّة، صيدا - بيروت، 2006، ط.1، ص.72 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.246.

(2)- ابن حيَّان الأندلسي: نفس المصدر السابق، ص.83.

(3)- ابن عذاري: نفسه، ص.248.

(4)- نفسه، ص.281.

(5)- البصرة: مدينة بالمغرب في أقصاه قرب السوس، وحسب البَشّاري، فإنَّها كانت عامرة، وقد خُرِّبت، وكان ذلك قبل سنة 378هـ /988م ، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.1، ص.440؛ وربَّما تكون قد خُرِّبت في حرب قائد الأمويين غالب بن عبد الرحمان، لمحمد بن حنُّون الخارج عن سُلطة الأمويِّين، حيث افتُتِحت مدينتُه في 362هـ/972م، ابن حيَّان الأندلسي: نفسه، ص.108.

(6)- ابن حيَّان الأندلسي: نفسه، ص.109.

(7)- نفسه، ص.118.

(8)- نفسه، ص.147؛ ومثل جواز بني برزال في نفس الفترة حيث انتظموا في الجيش الأموي. انظر: ابن عذاري: نفسه، ج.3، ص.268 ؛ حسين (حمدي عبد المنعم): **دولة بني برزال في قرمونة**، مؤسسة شباب الجامعة،اسكندرية،1990،ص ص.9-10؛ فخَّار(إبراهيم): "**بنو برزال لمسيلة في البرازيل**"، مجلة التَّاريخ، م.و.د.ت، الجزائر،1981، ع.10، ص.78.

واعتُمِد عليهم كثيراً في مُقارعة العناصر الأخرى.

ففي عهد المنصورِ بن أبي عامر، وفَدَت إليه جموعٌ مِن البربر، بأعــداد كبيرة، ولفتراتٍ طويلة؛ ففي سنة **370**هـ/**980**م مثلاً، -وبعد بناء الزّاهرة-، عَبَر جعفر بن علي بن حمدون، -وهو مِن بربر زناتة-، بجيشِه إلى العُدوة، فنزل قصــر العقــاب، واستوزَرَه ابن أبي عامر، وكان عددهم في حــدودِ السِتُّمائة[1].

كما وفَـدَ عليه وفــدٌ مِن قبيلة مغراوة، بقيادةِ إسماعيل بن الثوري، ومحمد بن عبد الله بن مَرين قبل سنة **386**هـ/**996**م بقليل[2].

ولم يتوقف الحدُّ عند عبورِ هؤلاء الجماعاتِ فقط،بل ازداد عددُهم بالاستكثارِ مِنهم في جيشِ المنصور، الذي أراد بذلك إهمالَ رجالِ العــرب[3]، أو ليَحُطَّ مِن شأنِ الأعلامِ الكبارِ مِنهـم[4]؛ وما زال يَستجلبُ مِنهم، حتى صاروا، هُم الغالبيــةُ في الجيشِ الأندلــسي[5]، وكانت أغلبيتُهم مِن قبيلة زناتة[6].

ولقد واصل المظفَّر نفس سياسةِ والدِه المنصور، وهذا بعد أن خلفَه في الحجابة، فاعتماده كان على البربر بصورةٍ خاصة، فاستمرَّ في استجلابهم، وطلبِ المِقدمِ عليه، طوال فترة حِجابتِه[7].

وفي سنــة **391**هـ/ **1000**م، كتــب شيـخ بني زيري، زاوي بن زيـري، إلى المظـفَّر ليجــوز إلى الأندلس، رغبةً في الجّهاد، فأذِن له، ودخل معه البلادَ جماعــةٌ، ومعه ابنا أخيه ماكسن، حُباســة وحبوس، وقد ظلّوا يخدمون مع جماعة مِن عساكر البربر، إلى آخر الدولة المروانيَّة[8].

وفي آخر الخلافةِ الأمويَّة، وفي عهد الفِتنةِ التي عرفتها الأندلــس، شهدت البلادُ توافدَ جماعاتٍ

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص ص.278 - 279.
(2)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.164.
(3)- ابن عذاري: نفسه، ص.274 ؛ سالم (عبد العزيز): **قرطبة حاضرة الخلافة**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، 1971-1972، ج.1، ص.82.
(4)- ابن عذارى: نفسه.
(5)- نفسه.
(6)- نفسه، ص.294.
(7)- سالم (عبد العزيز): نفس المرجع السابق.
(8)- ابن عذاري: نفسه،ج.3،ص.263 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**،شرح وضبط.يوسف علي طويل،دار الكتب العلميَّة،بيروت،2003،ط.1،م.1، ص.294 ؛ ابن خلدون: نفسه، ص.162.

مِن البربر، لا يُعــرَف عددها، ولكن يُحتملُ أن يكونوا قد وفـدوا على العُدوة بأعــدادٍ كبيرة، وهذا للدورِ الذي قاموا به خلالَها، حيث كانوا أهمَّ وأكثرَ عنصرٍ تداولتهُ المصادر التَّاريخيَّة بالاسم. وعلى سبيل المثال، وفي إطار التوافد البربري على البلاد، يذكـر ابن عذاري، أنَّه في سنة **405**هـ /**1014**م، وصل علي بن حمود إلى مالقة، بجيشٍ مِن البربر، بعد خروجه عن أمرِ الخليفة سُليمان المستعين[1].

إنَّ العملَ الذي قمت به، في هذا المبحث، والمتعلِّقَ بدراسةِ هجرةِ البربرِ إلى الأندلــس، قد تمَّ تناولُه اعتماداً على ما ذكرته المصــادرُ التَّاريخيَّة، والتي هي معلومــاتٌ قليلةٌ وشحيحة، وغير كافيــةٍ لاستقصاءِ هذا الأمر؛ فعمليةُ عبور السُكان نحو الضِّفتين، لا يُمكنُ الإمســاكُ بكل تفاصيلها، فقد تأثَّرت بعدَّة عوامــل سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة مُتنوِّعة؛ فالنِزاعاتُ القَبَليَّة بين العــرب أنفسِهـم، وانتفاضاتُ البربر في العُدوتين، ثمَّ الصــراعُ الأموي الفاطمي، –خاصةً في عهدِ الخليفةِ النَّاصر وابنِه المستنصـــر–، وصـــولاً إلى الفترةِ العامـريَّة، حيث اعتمـدَ الحُجَّابُ العامـريون على هذه الفئةِ مِن السُّكان للاستقواءِ بهم، كلُّها ساهمت في ذلك.

وكلُّ هذه العواملَ أدَّت إلى زيادةِ عددِ البربرِ بالأندلـس، أو نقصِـهـم في كثيرٍ مِن المرَّات؛ دون أن يجعلنا ذلك، نُهمِلُ عاملاً مُهماً آخر،ألا وهو الزيادةَ الطبيعيَّةَ للسُكان، سواءً بالنِسبةِ للمُستقرين الأوائل، أو الذين تبعوهم خلال الهِجراتِ المختلفة.

وإنَّ اعتبار عدد البربر، كان يزدادُ فقط عن طريقِ الهِجرة، هو أمرٌ غيرُ صحيح[2]، فالمصـــادرُ التَّاريخيَّة لا تُعطينا كلَّ المعلومات، عن عددِ العــربِ أو البربرِ خلال تواجــدِهم بالبلاد، طيلة ثمانية قرون. إذن، فاعتبارُ ازديادِ أعدادِ البربرِ، عن طريــقِ الهجـرةِ فقط، على عكسِ العنصـرِ العربي، قد يُعطي فِكرةً خــاطئة، عن عــدمِ استقــرارِ البربرِ بالبلاد، أو عدمِ اندماجِــهم في المجتمع، مِثلهم مِثل العرب؛فالتوافدُ على البلادِ كان مِن الطرفين، طيلة فترةِ التَّواجد الإسلامي بالبلاد،كذلك خروجُهم مِن البلاد، كان مِن الجانبين، خاصةً في فترات الجفافِ والمجاعات.

---

(1)- **البيان المُغرب**، ج.3، ص.116.
(2)- جاء هذا الأمر عند جوستاف لوبون مثلاً، فهو يعتبر أنَّ العـــرب، كان يكثر عددهم، عن طريق الإنجاب، بينما عند البربر، فكان يتمُّ عن طريق انتقالهم عبر المضيق، من أجل الثروة فقط. انظر:
Le Bon (G)**: La civilisation des Arabes**, Casbah éditions, Alger, 2009, p.237.

ثانيا : مواطن استقرار البربر في الأندلس

إنَّ موضوعَ استقرارِ البربرِ في بلادِ الأندلــس، صار مِن المواضيعَ التي تثيرُ حولَها كثيراً مِن اللغط، -خاصةً إذا كانت صَــادرةً مِن لــدُن الدارسين المستشرقين-؛ فابتداءً مِن نصفِ القرنِ ال**20**م، إلى يومِنا هذا، صـار يُعتَمَدُ على التبسيطِ في تفسيرِ الأحــداثِ التاريخيَّة، بحثاً عن مدى مُســاهمةِ كلِّ عنصرٍ بشري فيها، بعيدًا عن فكــرةِ الصــراعِ الثُنائي بالأندلــس، الذي يَتَمثَّلُ في ثنائيةِ (مُسلمين ونَصارى)(1).

وقد يُعتبرُ البحثُ والتقصِّي، عن المناطقَ التي استقرَّ بها البربرُ بالأندلـس، أمراً خطيراً، يُشتَّم مِنهُ رائحةَ التمييزِ والعنصرية، بين عناصــرَ سكانيَّة، تواجدت على أرضِ الأندلــس، وبصورةٍ خاصةٍ بين عناصرَ مُسلمة، ساهمت كلُّها في وجودِ الإسلامِ بهذه البلاد؛ لكنَّ الموضــوعَ صــارَ واقـعاً، في كثيرٍ مِن الدِّراساتِ الأجنبيَّة، وأيَّدتها في بعضِ الأحيانِ، الأبحاثُ العربيَّةُ الحديثة.

إنَّ دراسةَ المناطقَ التي استقرَّ بها البربر، دون العرب، أو غيرِهم مِن العناصــرَ الأخرى، إشكاليَّةٌ تاريخيَّةٌ كبيرة، صَعُبَ على الدارسينَ حلُّها، وازدادت تعقيداً بعد إدخالِ كلِّ أداةِ بحثٍ جديدة،والتي يُظنُّ أنَّها قد تُساعِدُ في ذلك. فانطلاقُ الباحثين،كان،-أوَّلاً-، اعتماداً على ما جادت به المصادرُ التَّاريخيَّةُ أو الجُغرافيَّة، الإسلاميَّةُ مِنها أو اللاتينيَّة، إضــافةً إلى كتبِ تراجــمِ العلماءِ والفقهاء، الذين وُلدوا أو عاشوا بالأندلس، فساهَموا بطريقةٍ أو بأخرى، في الأحداثَ السِّياسيَّة والاجتماعيَّة للبلاد، وصولاً إلى تطوُّرِ علمِ الأركيولوجيا الحديث.

ويتمثَّلُ مدار هذه الإشكالية، حول التعـرُّفِ على المناطقَ التي سَكنَها البربر، وهل كانت هناك مَظلوميةٌ لهم من طرفِ العربِ، في تقسيمِ هذه المناطـق؟، وهل كان استقرارُهم على شاكلـةِ ماكان ببلادِ المغرب، كجماعاتٍ قَبَليَّة، بعيداً عن اندماجِهم في المجتمعِ الأندلـسي؟، وهل اتَّبــعَ المسلمون نظاماً مُعيَّناً للاستقرارِ والسكن؟.

سنلاحظُ أنَّ كلَّ هذه الأسئلةِ المطروحة،لا يُمكنُ إيجادُ أجوبةٍ حاسمةٍ لها،والسَّببُ يكمُنُ في أنَّنا

---

(1)- انظر في ذلك مثلاً:

Busto (G.G) e Cravioto (E.G) :“**Repercusiones en Al-Andalus de la revuelta bereber del 122/740**”,Proceedings of the Seminar AL-ANDALUS centruries of vicissitudes and accomplishments,Publications of Abdul-Aziz public library, Riad, 1417/1996, p.23.

نقوم بدراسة بلاد تأثَّرت بفترات حُكمٍ مختلفة، وتعرَّضت لقلاقل وثوراتٍ وحروب،أدَّت إلى تخلخل وتغيير البنية الاجتماعيَّة للسكان، مِن فترةٍ إلى أخرى، في كلِّ مناطق الأندلس، ولذلك وَجَبَ تقسيمُ موضوعِ الدراسةِ إلى مراحلَ مُختلفة؛ فيُمكنُ أوَّلاً أن نحاولَ التعرُّفَ على المناطقَ التي استقرَّ فيها كلٌّ مِن البربرِ والعربِ بُعَيد الفتح، ثمَّ فيما أعقبَه.

آراءٌ تقليديَّةٌ حول استقرارِ البربرِ بعد فتحِ الأندلس

لقد ظلَّ الرأيُ السَّائد، وما يزال، أنَّ البربرَ لم يكُن لهم حظٌّ وافر، في تقسيمِ أراضي البلاد؛رُغمَ أنَّهم كانوا المساهِمين الأوائل في فتحِها. ويقولُ هذا الرأي،بأنَّ العربَ قد استولوا على أجودِ المناطق، وتركوا غيرَها للبربر؛ وقد صدرت هذه الفكرةُ عن المستشرقين، وأخَذَها عنهم بعض المؤرخين العربُ المشارق، ورُدِّدَت في أغلب الدِّراساتِ الخاصةِ بالأندلس، وكأنَّها الحقيقةُ المطلقة.

وكان أوَّل مَن جاء بهذا الرأي، المستشرقُ الهولندي رينهارت دوزي[1]، إذ ينقلُ، مِن ضمنِ أفكارِهِ الكثيرةِ التي تحتاجُ إلى تحقيق، أنّ العربَ هُم وحدَهم، الذين حدَّدوا أماكنَ استقرارِ البربرِ في الأندلس؛ وبذلك فَهُم لم يكونوا عادلين في تقسيمِهم للأراضي، وقد حاولوا دائماً الاحتفاظَ بالأماكنَ السَّهليَّةِ والخِصبةِ لأنفسِهم[2]، وكان قد بَثَّ فكرتَه الخطيرة في كتابِه (تاريخُ مُسلمي الأندلس).

إنّ هذا المؤرخ، عندما يأتي بهذه الفكرة، لم يكُن اعتماداً على المصادرَ الإسلاميَّة،بل وفقاً لمصدرٍ لاتيني وحيد[3]. وقد زاد في انتشارِ فكرته، تلميذُه ليفي بروفنسال[4]؛ وعن هذا المؤرخِ، صار يُردِّدُها كثيرٌ مِن الباحثين المعاصرين.

فالمستشرقُ الفرنسي كولان، مثلاً، يقول أنَّ العربَ قد دفعوا البربرَ إلى الأراضي الجبليَّة، لأنَّهم،

(1)- رينهارت دوزي (**Reinhart Dozy**): أشهر المستشرقين في القرن 19م، كان مُتعصِّباً لملوك الطوائف، من أشهر كتبه جامع تاريخ بني عبّاد (1846)، تاريخ مسلمي إسبانيا (1881)، مرَّاد (يحي): **افتراءات المستشرقين على الإسلام والردّ عليها**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 ط.1، ص.572.

(2)- طه (ذنون): **الفتح والاستقرار في شمال إفريقيا والأندلس**، ص.259.

(3)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.187.(وردت هذه الفكرة في حولية (**Isodoro Pacence**) في الفقرة 44 منها).

(4)- إيفاريست ليفي- بروفنسال (**Évariste Lévi-Provençal**): وُلِد بالجزائر عام 1894، حقّق الكثير من المصادر الإسلامية كالذخيرة لابن بسّام، وصفة الجزيرة للحميري والجمهرة لابن حزم، والبيان لابن عذارى..، توفي عام 1956، من مقدمة ترجمة موضوع الأندلس لكولان، ص.11، مرَّاد (يحي): المرجع السابق، ص.579.

أي العرب، مِن الطبقة الأرستقراطيَّة، التي يجب أن تنعمَ وحدَها بأخصبِ البقاعِ بالأندلس[1].

وقيل أنَّ هذه النظرة الأرستقراطيَّة للعـرب، تُجاه البربر، تجعلُهم لا ينظـرون إليهم نظرةَ النّد للنّد، وتدفعُهم إلى الاستـبدادِ بخيراتِ الأندلـس، التي يَحرمونَهم مِنها[2]؛ ونقلَ بعضُهم نفس هذه الفكـرةِ دون أيِّ تعليق[3].

ولكن السؤال الذي يطرحُ نفسَه، وهو لماذا قَبِل البربرُ بهذا الأمرِ المجحِفِ في حقِّهِم، ولم يقـوموا بأيِّ ردِّ فِعلٍ تُجاهَه، خاصةً وأنَّهم كانوا الغالبيَّةُ الغالبةُ في بدايةِ الفتح؟.

ويردُّ ليفي بروفنسال على هذا السؤال، بطريق غير مُباشـر، أنَّ البربر قد قَبِلوا بهذا الأمـر، فلمَّا كانــوا (أي البربر) قد قَدِمــوا من بلادٍ جبليَّة، فقد كان في مَقدورِهم، التكيُّفُ باستقرارِهم خــارجَ المناطــقَ السَهلة، وقد اشتغلـوا في هذه المناطـقَ العاليةِ والباردةِ بتربيةِ المواشي، وغرسِ الأشجــار، ونَعِموا بحياةِ استقلاليَّة[4].

وحتَّى لا يصيرَ هذا الأمر، ذو طبيعةٍ عُنصريَّةٍ خالصة، فقد ليَّنَهُ بعضُ المؤرخين المشرقيين،فقالوا بأنَّ استحواذَ العــربِ على أخصبِ الأراضي، كان في مُعظمِه، وليس كلِّه، فالبربرُ قد نَزَلوا أو أُنزِلوا في مُعظمِ الأقاليمِ والهِضابِ القاحلة، ولم يَحتَلوا مِن البقاعِ الخِصبةِ سوى القليل[5].

ويقول مولــود قايد: "أنَّ البربرَ قد أُبعِدوا إلى الجبــالِ مِن طـرفِ موسى بن نُصير، ليكــونوا في المراكــزَ المتقدِّمةِ للحِمايةِ ضِدَّ النصــارى، وقد وَثِقــوا أنَّهم سَيُكافأون بالأراضــي الخِصبةِ، فيمابعد، وهذا ما لم يحصُل، بَعد مَقدَمِ الشَّاميين"[6].

(1)- انظر: Colan (G.S) : op.cit, p.490.

(2)- حسين(حمدي عبد المنعم):**ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأمويَّة(138-316ه/755 - 928م)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 1993، ص.3 ؛ ولنفس المؤرخ: **تاريخ وحضـارة والأندلس**، ص.96.

(3)- سالم (عبد العزيز): **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ص.123 ؛ فيلالي (عبد العزيز): **المظـاهر الكبـرى في عصـر الولاة ببـلاد المغـرب والأندلـــس**، دار هومـــة، الجزائر، 2008، ص ص.128-129.

(4)- سالم (عبد العزيز): نفس المرجع السابق ؛ وهو نفس ما يراه ذنون طه إذ يقول أنّه يُمكن تفسير وربط اختيارهم للمناطق الجبلية في الأندلس، بالحقيقة التي تُوضّح بأنَّ عدداً كبيراً منهم عاشوا بالأصل في مناطق جبلية في شمال إفريقيا، ولذلك استقروا في المناطق التي تشبه مناطقهم، طه (ذنون): **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص.80.

(5)- عنّان (محمد عبد الله): **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي،القاهرة،1997،ط.4،ق.1،ج.1، ص.71.

(6)- انظر: **Les Berbèrs dans l’histoire**, p.21.

قد يكون هذا الرأيُ صَحيحاً، في شطـرِه الثَّاني، والمتعلِّـقِ بإعادةِ توزيـع الأراضي بعد مَقـدمِ الشَّاميين، لكن الشَّطرَ الأوَّلَ يحتاجُ إلى نوعٍ مِن الدَّليل الواضح.

لقد كان موضوعُ تقسيمِ الأراضي، مِن الأمورِ التي اختَلَفَ حولَها المؤرخون، فقيل أنَّ موسى قد قـام فعلاً بتقسيمِ الأراضي، تَبَعاً للتقاليدَ الإسلاميَّةِ الخاصـةِ بتخميسِها[1]، فوزّعَ هذه الأراضي بين جنودِه،واحتفظ بحِصَّةِ الخلافةِ وهي الخُمُس[2]،غير أنَّ ابن حزم يرى أنَّ الأندلسَ لم تُخَمَّس وتُقسَم، كما يجبُ أن يفعلَ الفاتحـون المسلمـون؛ ونُفِّذ الحُكـمُ فيها بأنَّ لكلِ يدٍ ما أخـذت، فوقعت فيها غلبةً بعد غلبة، فدخل البربرُ أوّلاً فغلبوا على كثيرٍ مِن القرى دون قِسمةٍ،ثمَّ دخل الشَّاميون فأخرجوا العربَ والبربرَ المعروفين بالبلديين عمَّا كان بأيديهم[3].

إنَّ الرأيَ الذي يقولُ بأنَّ البلاد، لم تُخَمَّـس مِن طـرفِ الفاتحين، زمـنَ موسى، قد يبدو أكثر رَجَحاناً؛ وهذا لعدمِ استتبابِ الأمرِ بعد،فالفتوحاتُ كانت مُتواصلة،وسُرعان ما عادَ هذا الفاتحُ إلى مقرِ الخلافـةِ دون رجعة؛ وثانياً، لو حـدثَ وأن قُسِّمَت هذه الأراضي، ما كان ليقبلَ كلُّ الفاتحين بهذا الإجحاف؛ وأمّا الأمر الثَّالث الذي يُوضِّـح ذلك، هو ما نقلهُ المِقري، مِن أنَّ العـربَ والبربر، كلَّما مَرَّ قومٌ مِنهُم بموضعٍ استحسنوه، حَطّوا به، ونَزَلوه قاطنين[4].

ويُمكننا أن نستخرجَ بعضاً مِن النقاطِ الهامة، مِن قول المِقري، والتي قد تُزيلُ كلَّ لُبسٍ حول عدمِ عدلِ العربِ مع البربرِ في توزيـعِ الأراضي؛ فيُفهمُ أوّلاً، أنَّ نزولَ الجنـودِ الفاتحين، مِن عـربٍ وبربر، بمختلفِ المناطـق، كان برضـاهم ومدى ملاءمـةِ تلك المناطـقَ مع طيبِ خاطـرِهم؛ كما يُمكنُ أن نستخلص أنَّ العربَ والبربرَ ربَّما سكنوا مع بعضِهم البعض، بنفس المناطقَ التي استحسَنوها.

وحسب ذنون طه، فإنَّ عامـلَ الصُدفةِ وحدَه، هو الذي لعبَ دوراً في ذلك، فلم تكُن لهم أيُّ فكرةٍ واضحةٍ ومعرفـةٍ بالمنطقة[5]؛ وهكذا فقد استقرَّ كُلٌ مِن العـربِ والبربرِ في الأماكـن التي تُلائم

---

(1)- تخميس الأراضي: هو تقسيم الأراضي المَفتوحة على المسلمين، ويُجعلُ خُمُسُها في بيت المال، وتُخمَّس الأراضي المَفتوحة عُنوةً- خاصةً-، دون المَفتوحة صُلحاً. انظر: **المدوَّنة الكبرى** برواية سحنون،ضبط وتخريج الأحاديث محمد محمد تامر،مكتبة الثقافة الدينيَّة،القاهرة،2004،ص.568.

(2)- طه (ذنون): **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي بشمال إفريقيا والأندلس**، ص.183.

(3)- **التَّلخيص لوجوه التَّخليص**،تح.عبد الحق التُركُماني، مركـز البحوث الإسلاميَّة ودار ابن حـزم، غوتبورغ-بيروت،2003،ط.1،ص ص.152-153؛ وقيل خُمِّست،زمن السمح بن مالك، بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أرسل مولاه جابراً،ابن القوطية: المصدر السابق، ص.26، تح. إسماعيل العربي ؛ المقري: المصدر السابق، ج.3، ص.15.

(4)- **نفح الطيب**، ج.1، ص.276.

(5)- **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي بشمال إفريقيا والأندلس**، ص.260.

طبيعتَهم ومزاجَهم[1].

ويبدو أنَّ العربَ أيضاً قد سكنوا بعضَ المناطـقَ القاحلة، في بدايةِ الفتح، وهذا حَسَب المِقري دائماً، الذي ينقلُ ذلك؛ إذ يقولُ أنَّ العربَ سكنوا المفاوِز*[2]، وهذا الأمرُ سَكَتَ عنه المؤرخون ولم يذكروه مِن قبل.

وفي مُقابلِ سكوتِ المصادرَ الإسلاميَّةِ، عن توزُّعِ العربِ والبربرِ، في المناطـقَ المختلفةِ مِن أرض الأندلس، فإنَّنا لا نستطيعُ تأكيدَ النظرةِ التي جاء بها رينهارت دوزي، وبثَّها ليفي بروفنسال، ونقلَها كثيرٌ مِن المؤرخين، دون أيَّة حُجةٍ دامغةٍ، قد تُثبِتُ ذلك.

وإذا كان مِن لازمةِ الأمر، تتبُّعُ المناطـقَ التي سكنَها البربرُ في هذه الفترة، رُغم شُـحِّ المصــادر، فابن حيَّان يذكر أنَّ رَزين، جَـدُّ بني رَزين،كان أحَـدَ قادةِ طارق الذين دخلـوا الأندلـس، وكان قد سَكَنَ قُرب قرطبة، ويُذكر أنَّه قد اختطَّ مدينة الرُصافة[3] قُربَها، إلى جانبِ بنائِه لجامــعٍ عُرِف باسمِ (جامعِ رَزين)، بالربضِ الغربي، كما تُنسبُ إليه الجنانُ المجــاورةُ لعين قيش، بالرَبضِ الغربي أيضاً[4]. ويُنقلُ أيضاً، أنَّ زعيمــاً مِن المغـاربةِ، اسمُـه ســالم بن ورعمال المصمـودي، قد ابتنى مدينــةَ ســالم **(Medinaceli)** وهو أحد الرَّعيلِ الأوَّلِ مِمَن قام بفتحِ الأندلس[5].

وإذا تَتَبَعنا الجيشَ الذي دخلَ مع طارق، والذي مُعظمُه مِن البربر،سنجدُ أنَّه كان كلَّما يتوغَّلُ داخلَ البلاد، يتركُ بعض الرجــالَ مِنه، إلى جــانبِ بعض اليهـود؛ ففعـلَ ذلك في مدينـةِ إلبيرة، ثمَّ غرناطة، فتُدمير[6]، ولم يفعل ذلك في مالقة وريَّة[7]، وهو مُتوجِّه نحو طليطلة[8]. فهل يُمكن اعتبــار

---

(1)- العبّادي (أحمد مختار): **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**،منشأة المعارف، الإسكندريَّة، 2000، ص.59.

(*)- المَفاوِز: جمع مفازة، وهي الصحراء، أو الأرض التي لا ماء فيها، **القاموس المحيط**، ص.544.

(2)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.276.

(3)- الرُصافة: مدينة بقرطبة بالجهة الجوفيَّة منها، الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.7.

(4)- أبو مصطفى (كمال السيِّد): **بُحوث في تاريــخ وحضــارة الأندلس في العصـــر الإسلامي**، مركز اسكندريَّة للكتاب، الإسكندريَّة، 1997، ص.10.

(5)- ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص.60، هامش.1 ؛ ابن حزم الأندلسي: **الجمهرة**، ص.466.

(6)- تُدمير: من كُور الأندلس، سمِّيت باسم ملكها تُدمير، الحِميري: **صفة الجزيرة**، ص.62 ؛ وكانت تسمَّى أريولة، مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.100.

(7)- رِيَّة: كورة من كُور الأندلس، في قِبلي قرطـــبة نزلها جُـند الأردن من العـرب، الحميري: نفسه، ص.79.

(8)- مجهول: نفسه، ص.100 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.11.

ذلك مِن المواطـن الأولى لاستقـرار البربر، وخاصةً أنَّه يُمكـن أن يلحـق بهم إخـوانهم بعد سمـاعهم بالفتح، -كما رأينا ذلك سابقاً-.

وبعد تطوُّرِ الأحداثِ السِّياسيَّة في بلادِ الأندلس، سنجدُ أنَّ البربر، قد طُردوا مِن وسطِ الجزيرة، وربَّما سكنوا المناطقَ الجبليَّةَ الجنوبيةَ القريبةَ مِن بلادِ المغرب، بعد هزيمتِهم في انتفاضتِهم الكبرى عـام **123**هـ/**741**م؛ ثمَّ إنَّ دخـولَ جيشِ بلـج، وبعَده مَقدمُ أبي الخطَّـار[1]، كلُّها أحـداثٌ غيَّرت مِن جغرافيَّةِ الاستيطـانِ البربري في بلادِ الأندلـس، حيث كانوا الأغلبيَّةَ في كلِّ مناطـقَ البلاد، باستثناءِ منطقةِ سرقسطة وثغورِها[2]، فالعربُ فيها كانوا أكثرَ مِن البربر[3].

مقاربةٌ سوسيولوجيَّةٌ جديدة لدراسةِ استيطانِ البربرِ والعربِ بالأندلس

إنَّ دراسةَ التَّاريخَ الاجتماعي للأندلـس، وتأثيرَه على التطـوُّرِ السِّياسي للبلاد، ظـلَّ حِكراً على مجموعةٍ مِن المؤرخين الذين يعتمدون على فرضياتٍ ورُؤىً مُسبَّقةَ النتائج، وبقيَ الاعتقـادُ بأنَّ البربرَ لم يكُن لهم أيُّ تأثير، كمجموعةٍ بشريَّةٍ خاصة، على الحياة السِّياسيَّة، وبأنَّهم قد اندمجـوا اندماجـاً كاملاً في المجتمعِ الجديد، وأنَّهم قد فقدوا كلَّ شعورٍ بأصولِهم المغربيَّةِ الخاصة[4].

ولدحـضِ هذه الأفكارِ المسَبَّقة، جاءت الدِّراساتُ التي قام بها المؤرخان بيار غيشار، بمساعدةِ أندري بازانا، حول الجُغرافيا التَّاريخيَّة للأندلس، مُحاولةَ إثباتِ أنَّ كلاًّ مِن العـربِ والبربرِ لم يندمجـوا في المجتمعِ الجديد، بل حافظت كلُّ مجموعةٍ على تركيبتها الاجتماعيَّة.

إنَّ هذه الدِّراسات، -التي قام بها بيار غيشار-، جاءت لتُعيدَ الاعتبارَ للفئاتِ المختلفة، والتي

(1) - لقد قام الوالي الجديد بإعادة توزيع العرب،- أهل الشام منهم بصورة خاصة-، على الكُور،فأنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن بريَّة، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حِمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيَّان، وأهل مِصر بباجة، وبعضهم بتُدمير. ابن عذاري: المصدر السابق،ج.2،ص.33؛ ربَّما يعود هذا العمل،الذي قام به أبو الخطَّار،لاتِّقاء شر الشاميين، بتشتيتهم على الكُور، حيث كان يمنياً مُتعصِّباً لليمانيَّة، المقري: المصدر السابق، ج.3، ص.23.

(2)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.31.

(3)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.114.

(4)- انظر: Lévi-Provençal (É) : **Histoire de l'Espagne musulmane**,éd.Maison-neuve, Paris, 1999, T.3, p.171.

كوَّنت المجتمعَ الإسلامي الجديد،ببلادِ الأندلس، وردّاً على فكرةِ: أنَّ دخولَ المسلمين لإسبانيا في عام **711**م،كان ضرباً مِن الصُدفة التَّاريخيَّة، التي لم تُغيِّر إطلاقاً مِن الحقيقةِ الاجتماعيَّةِ القائمة[1].

لقد اهتمَّ بيار غيشار في دراستِه،بالخلفيَّةِ الاجتماعيَّةِ للتَّاريخ السِّياسي للأندلس،وهذا في غيابِ المصادر-الوثائق-،ممَّا جعلهُ ينخرطُ فيما يُعرف بمفهومِ (التَّاريخ-المشكلة (**l'histoire problème**))، وهذا بناءً على فرضياتٍ وطرائقَ جديدةٍ مُختلفة، للوصولِ إلى بناءِ نظريٍ ذو طبيعةٍ إثنولوجيَّة[2].

والفرضيةُ التي يطرحُـها هذا المؤرخ، تتمثَّل في: حتميَّة وجـود تركيباتٌ اجتماعيَّةٌ مَشرقيَّـةٌ (عربيَّـةٌ وبربريَّة) بالأندلس، بناءً على مفهـومٍ آخر،-هو صاحبُـه-، وهو مفهـومُ الواقــع أو العامـل القَبَلي (**le fait tribal**)، وهو ذو أهميَّةٍ كبيرةٍ، في إطـارِ الحضــارة الأندلـسيَّةِ العامـة، والذي لم يُعـترف به سابقاً، -حسب هذا رأي المؤرخ-[3].

إنَّ بيار غيشار، وبعملِه،يكون قد حرَّرَ التاريخَ الإسلامي في شبهِ الجزيرةِ الأندلسيَّة، مِن خاصيَّةِ ما يُعرف، (بالدراسات الهسبانيَّة)، التي تُدعِّـمُ نظريَّة الاستمراريَّة، أو الاتِّصــال (**la continuité**) في المجتمع الإسباني (القوطي)، والذي، -حسَب هذه النظريَّة-، قد اندمجَ فيه العربُ والبربر[4].

وبهذا حاول هذا الباحث،-ووفقاً لمقاييسَ وإشكالياتٍ خاصةٍ بالعالمِ الإسلامي،وليس لها علاقـة بأوربا-، فَهْمَ وترجمةَ هذا التَّاريخ[5]؛ مُرتكزاً، أوّلاً، على المصـادرَ العربيَّةِ القليلة، أو المراجـعَ الغربيَّةِ المتاحــةِ للجميع؛ ولكن حسبَ نظريتِه دائـماً، فإنَّه يُمكنُ قراءتُها بطرائقَ مُختلفة، وفي إطــارِ مسـلكِ بحثٍ مفتوح[6].

---

(1)- انظر: Guichard(P): **Structures sociales ¨orientales¨ et ¨occidentales¨ dans l'Espagne musulmane**, Mouton, Paris, 1977, p.11.

(2)- انظر: Awad (J): ¨ **Sociologie et histoire à la recherche des fondements d'une distincion disciplinaire¨,**Mémoire en sociologie, Université de Montréal, 2007, p.67.

(3)- انظر: Guichard (P): op.cit, p.9.

(4)- انظر: Martinez (L.P):¨**Al-Ándalus Sociedad tributaria**¨, Revista d'Historia medieval, N°4, p.251.

(5)- انظر: Martinez (L.P) : op.cit.

(6)- انظر: Guichard (P) : op.cit, p.17.

ومن خلالِ هذه النظريةِ الجديدة، يصِلُ الباحث إلى تحديدِ الإطارِ القَبَلي في الأندلـس، حيث أنَّ كلاًّ مِن العربِ والبربرِ، كانوا مُتواجدين بالأندلس، على شكلِ عشائرَ وقبائل، وقد حافظوا على تنظيماتِهم القويَّة[1]؛ وتأتى ذلك، من خلال الزواجِ داخلَ العشيرةِ الواحدة،حيث كلُّ فردٍ يتزوجُ مِن ابنةِ عمِه[2]. ويُطلقُ عليه مفهوم، –(**l'organisation tribale agnatique et endogame**)–. وهذا التنظيم، لا يَخُصُّ إلاَّ التركيبةَ الشرقيَّةَ، (سواءً العربيَّة أوالبربريَّة)، المتواجِدة بشبهِ الجزيرة؛ بالموازاة مع تواجد التركيبةِ الغربيَّةِ، والمغايرة في تنظيمها الاجتماعي.

والتركيبـةُ الشرقيَّةُ، بالنسبة لبيار غيشار، هي تركيبـةٌ قويَّـة، وبواسطتِها استطاعت التغلُّـبَ على المجتمعِ (القوطي) الضعيفِ الذي كان عليه[3].

وهؤلاء الداخلون إلى الأندلس، قد جاءوا على شكلِ مجموعاتٍ إثنيَّةٍ كاملة،كعشـائرَ وأفخـاذ، وهي الفرضيةُ التي تظهرُ كحقيقةٍ كبيرةٍ،–حسب هذا الباحث–، رغم عدمِ وجودِ إثباتاتٍ لها، وهو نفسُ ما ينطبـقُ، على أنَّ هؤلاء المحـاربين، قد أتـوا بدون نسـاءٍ معـهم، وهو ما لا يتوافـقُ مع الأخلاقِ والتقاليد، أو التفكيرِ الخاصِ بتلك الفترة[4].

إنَّ ما تمَّ التوصُّل إليه، يُعطينا صورةً عن هؤلاء العربِ والبربرِ، الذين قاموا بعبورِ المضيق،حاملين معهم نساءَهم وأولادَهم؛ وحيث تنتمي كـلُّ مجمـوعة منهم، إلى عشيرةٍ أو قبيلـة، لا يُعلمُ كم هو عددُها؛ فعبورُهم كان وفقَ تنظيمٍ جماعي، وليس فردي.

وقد أضاف هذا الباحثُ على فكرتِه، شيئاً آخر، يبدو أكثرَ أهمِّيةٍ، في فهـمِ هذه التركيبةِ القَبَليَّةِ لهؤلاء الفاتحين، إذ يقولُ أنَّ العربَ والبربرَ قد حافظـوا، ولمدَّةٍ تُقـاربُ القرنين مِن الزمـن على هذا التَّنظيمَ القَبَلي الذي كانوا عليه[5].

---

(1)- انظر: Guichard (P): **Les Arabes ont bien envahi l'Espagne**, p.1509.
(2)- انظر: Ibid, p.1504.
(3)- انظر: **Structures sociales..**, p.349.
(4)- انظر: Ibid, p.137.
(5)- انظر: Ibid.

إنَّ هذا التنظيمَ القَبَلِيَ الذي كان عليه، كلٌّ مِن العربِ والبربر، ولمدَّةٍ طويلةٍ، ربَّما امتـدَّت إلى ما قبل سقوطِ الخلافةِ الأمويَّةَ بقليل، قد كان له تأثيرٌ كبيرٌ في استقـرارِ كلِّ مجموعةٍ مِنهم، بكلِّ جهـةٍ من جهاتِ الأندلس، شرطَ ألاَّ يكون هناك عامـلٌ مؤثرٌ في ذلك، مِن مِثلِ القلاقـلَ الداخليَّة، التي حـدثت أثناء هذه الفترة، أو تأثير عملياتِ الاستردادِ المسيحي، التي طـالت المناطـقَ الشماليَّةَ مِن البلاد؛ "فالتطوُّر التَّاريخي هو غيرُ مُستقلٍ عن التركيباتِ الاجتماعيَّة، فالعلاقةُ وثيقةٌ بينها"[1].

وتفسير ذلك، أنَّه كلَّما كانت هذه التركيبـةُ قويّـة، كلَّما كان لها تأثيرٌ في الأحـداث، والعكسُ صحيح، وهو ما انطلق مِنه الباحث بيار غيشار.

ولمعرفةِ المناطقَ التي استوطن بها كلٌّ مِن العربِ أو البربر، استعملَ الباحث،أداةً أخرى مُساعِدة، مُتمثِّلةً في استخدامِ دراسة أسماءِ المواقـعِ (**La toponymie**)؛ والتي هي اكتشافٌ مَنهجي آخـر لهذا المؤرخ[2]؛ فتتبُّعُ أسماءِ المناطقَ في البلادِ الأندلسيَّة، قد يُعطينا فكرةً عن استقرار العرب والبربر بها.

غير أنَّ هذه الطَّريقةَ قد تخدعُنا خلال بحوثِنا، وذلك لوجودِ البربرِ المتأخِّرين في عهدِ المرابطين أو الموحِّدين، والذين دخلوا الأندلـس واستقرّوا فيها، فيما بعد، حيث لا توجـدُ دراسـةٌ مُفصَّلة حول استقرارِ هذه القبائلَ بشبهِ الجزيرة، التي نعرفُ أسماءَها فقط مِن خلال جَمهرةِ ابن حزم[3].

وإذا كانت دراسة أسمـاءُ المواقع، قد تخدعُنا في كثيرٍ مِن الأحيـان، فإنَّها تحفـظُ لنا الكثيـرَ مِن البصمات(**Les traces**) عن توزُّعِ السُكان في تلك الفترة، وهو ما قام بدراستِه الباحثـان السابقـان؛ فمنطقةُ آش (**Uxo**) الواقعـة بَينَ ساغـونت(**Sagonte**) وكاستيلـون (**Castellon**) في منطقـة لابلانا (**Laplana**)؛ وفي زمنِ الاستردادِ المسيحي، كانت بها أسماءُ خمسةِ أحياءٍ، لقبائلَ بربريَّةٍ تابعةٍ لقبيلة صنهاجة وهي: بنوعبدون، وبنوغفول، وبنوسعد، وبنوغسلو، وبنوأحمر[4].

إنَّ تحديدَ أسمـاءِ المواقع، ثمَّ التَّعرُّفَ عليها، إذا ما كانت عربيَّةً أو بربريَّةً، يَتِمُّ في الغالـبِ، بنسبةِ

---

(1)- انظر: Guichard (P): **Structures sociales...**, p.282.

(2)- انظر: Mata (J.R):¨ **La tribu Beréber de los Gazules en la toponimia hispánica**¨, AM, 1998, N°6,p.12.

(3)- انظر: Guichard (P):¨**Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination musulmane**, Casa de Velázquez,1969, Vol.5, p.104. ; انظر الخريطة رقم 2، المرفقة في الصفحة 125

(4)- انظر: Guichard (P) : **Les Arabes ont bien envahi l'Espagne**, p.1511 ; Bazzana (A) :¨**Les villages et territoires andalous.Quelques aspects du peuplement médiéval et de l'exploitation agraire dans Al-Andalus**¨, RURALIA II památky archeologické-supplemetum, Praha, 1998, p.145 ; ==

الاسم إلى "بني"؛ خاصةً إذا بَنَينا ذلك، على ما جاء به بيار غيشار، في نظريته الخاصة بالتماسكِ القَبَلي، الذي عرفته الأندلس في تلك الفترة. ففي شرقِ الأندلس، وبمنطقةِ بلنسية، التي درسها هذا الباحث، مُرتكزاً على نظريتِه، وجد أنَّ مُقاطعاتِها قد عرفت استقرارَ الكثيرِ مِن العشائر التَّابعةِ لقبيلتي زناتة أو صنهاجة، وهو ما قاله،أيضاً، المؤرخ الإسباني بالاثيوس أسين (**Asin**)[1]،قبل ذلك.

ورغم الحذرَ الذي يتخذُه بيار غيشار، حول استقرارِ البربرِ، خاصةً بعد مَقدَمِ المرابطين، خلال القرن **6**هـ/**12**م، في المنطقةِ الشرقيَّةِ للأندلس، يستنتجُ أنَّ هذه المنطقةَ قد استقرّ بها الكثيرُ مِن البربر، وهذا منذ الفتحِ الإسلامي؛ وحسَبَ رأيِه دائماً،فمِن المحتملِ، أنَّهم قد أصبحوا مُعرَّبين، كما يُمكن أنَّهم قد تعايشوا مع العناصرَ العربيَّةِ، التي كانت تظهرُ كأقلّيَّة[2].

وحسب نفس المؤرخ،فإنَّ البربرَ قد احتلوا الكثيرَ من مناطقِ الأندلس:البرتغالَ الحالي في مُعظمِه، وسهول قواديانا (**Guadiana**)، وسهول نهر التاج (**Tage**)، وكلّ الهضاب والمناطق الجبليَّة الواقعة حولها، كسلاسل مورينا (**Sierra Morena**)، ومنطقة وادي الحجارة (**Guadalajara**) ومدينة سالم، وقونقة (**Cuenca**)، وجبال تيرنيل (**Turnel**)، وبنو رزين (**Albarracin**)، ومنطقة رُندة (**Ronda**) وجيان (**Jaén**)، وسلسلة نيفادا (**Nevada**)[3].

وما يُثبتُ رأي هذا الباحث، هو ما جاء في بعض النصوصِ لياقوت الحموي،أو الرَّازي،أو حتى عند ابن حزم في جمهرتِه؛ فمثلاً،نجد اسم مكناسة بأراغون[4]،أوما نقله ليفي بروفنسال، عند مُحاولته بناء النصِ العربي الأصلي للرَّازي، فقال،أنَّه كان هناك قصرٌ يُسمَّيه بقصر مكناسة(**Mequinenza**)، بالقربِ من لاردة[5]، في الثغرِ الأعلى للأندلس[6]. ويقول صاحب مُعجم البلدان أنَّ مكناسة

==انظر الخريطة رقم 3، ص.126.

(1)- أورد بالاثيوس أسين ذلك في مقالته بمجلة الأندلس، 1943، ع.8، ص ص. 262-267. انظر: Guichard (P) : **Le peuplement de la région de Valence**, p.121.

(2)- انظر: Ibid, p.123.

(3)- انظر: Ibid, p.120.

(4)- غيشار (بيار): **التَّاريخ الاجتماعي لإسبانيا المُسلِمة**، ص.967.

(5)- لاردة: مدينة قديمة في ثغر الأندلس الشرقي، ابتنيت على نهر يخرج من أرض جيليقية، يُعرف بشيقر، وتقع شرق مدينة وشقة، الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.168.

(6)- انظر: Sénac (Ph) :¨**Note sur les Husun de Lérida**¨, in :Mélanges de la Casa de Velázquez, 1988, T24, p.55.

هي حصنٌ مِن أعمال ماردة[*][1].

ووُجِدَت أسماءٌ أخرى، لمواقعَ تحملُ تسمياتٍ لقبائلَ بربريَّة، رُبَّما تكون قد حملت اسمَها الأصلي وأطلقَته على المنطقةِ التي سكنتها، مِن مِثل زناتة بناحية سرقسطة[2]؛ أو لواتة التي كانت ناحيةً مِن أعمال فَريش[3]؛ أو نفزة قربَ شاطبة، حيث سكنتها بنو عميرة،وبنوملحان، فنُسِب إليها كثير مِن العلماءِ الذين عُرِفوا بالنفزي الأندلسي[4]؛ بالإضافةِ إلى مغيلة، والتي هي مِن أعمالِ شذونة[5]؛ وبنو عَوسَجة مِن ملزوزة بشنت برية التي يُنسبُ إليها بلادُ عَوسَجة[6].

كما سكن البربر، وبصورة كبيرة، في منطقة الجزيرةِ الخضراء، حيث كان لهم إقليمٌ كاملٌ يُسمى بإقليم البربر،وكانوا يتفوَّقون على العربِ بأعدادِهم[7]. وقد يكون هؤلاء البربرُ لجأوا إلى هذه المنطقةِ بعد هزيمتِهم في انتفاضتِهم الكبرى، عام **123**هـ/**741**م، حتى يكونوا قريبين مِن بلادِ المغرب، ولكن بعد تغيُّرِ الأوضاعِ السِّياسيَّة، صاروا مُستَقِرين بها نهائياً.

إنَّ أهمَّ ما نخرجُ به في هذا المبحث، عن هجرةِ واستقرارِ البربرِ بالأندلس، هو أنَّهم قد عرفوا هِجراتٍ مختلفة، مِن حيثُ العدد، والتي كانت تتأثَّر دائماً بالأحداثِ السِّياسيَّةِ التي تقعُ بالبلاد،إلى جانبِ ما شهدته هذه المنطقةُ مِن مجاعاتٍ وأوبئة، كان لها كثير مِن التَّأثيرِ في حركةِ هؤلاء السُّكانِ نحو(الأندلس)، أو مِنها، نحو العُدوةِ الأخرى.

أمَّا ما يخُصُّ استقرارَ البربرِ بالأندلس، فنظريةُ بيار غيشار، قد ضربت في الصَّميمِ،ما كان سائداً مِن قبل، حولَ فكرةِ أنَّ العربَ وحدَهم، هم الذين حدَّدوا الأماكنَ التي تستقِرُّ بها كلُّ مجموعة؛ فالتَعَرُّفُ على أسماءِ المواقعِ بالأندلُس، بناءً على مجموعة المصادر القليلة، يُعطينا فكرةً واضحةً، مِن

(*)- ماردة: مدينة بجوفي قرطبة، مُنحرفة إلى الغرب قليلاً، الحميري: **وصف الجزيرة**، ص.175 ؛ مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.104.

(1)- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.5، ص.181.

(2)- نفسه، ج.3، ص.151.

(3)- نفسه، ج.5، ص.24.

(4)- نفسه، ص.296 ؛ ابن حزم الأندلسي: **الجمهرة**، ص.464.

(5)- ياقوت الحموي: نفسه، ج.5، ص.163.

(6)- ابن حزم الأندلسي: نفسه، ص.263.

(7)- طه (ذنون): **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، ص.261.

كونِ البربرِ قد سكنوا المناطقَ المختلفةَ مِن البلاد، قد تكون سهولاً خصبة، أو جبالاً، وهذا حسب مُيولهم النفسيَّة، أو تبعاً للأحداثِ التي وقعت بالبلاد، كمجموعاتٍ قَبَليَّةٍ واحدة.

المَّبحث الثَّاني : مُشاركة البربرِ في الحياة العسكريَّة والسِّياسيَّة وعلاقتُهم بالسُلطةِ النَّاشئةِ بالأندلس

إنَّ مشاركةَ العناصـرَ البربريَّة في الحيـاة العسكريَّة أو السِّياسيَّة بالأندلـس، قد شـابها كثيرٌ مِن الإجحافِ والتمييز، وبقيت أعمالُهم، والأدوارُ التي قاموا بها، في هذه البلاد، في طيّ المغمـور، فهُم لم ينالوا كاملَ حقّهم مِن العِرفان،إلاَّ في قليلٍ مِنها. فالمصادرُ الإسلاميَّة، لم تتحدّث عن ذلك كثيراً، إلاّ في ما نَدَر؛ فأُلصِقت بهم كثيرٌ مِن التُّهم، مِن مِثل أنَّهم كانوا السَّببَ في الاضطـراباتِ أو الفتن؛ وكانوا إذا ما طالبوا بحظِّهم بالمشاركةِ في حُكمِ البلاد، اتُّهموا بالخـروجِ على السلطة الإسلاميَّة. وإنّنا سنُحاول في هذا المبحث، تتبُّعَ هذه الأدوار، وتأثيرِها على التطـوُّرِ السِّياسي للدولـةِ النَّاشئةِ فيها، تاركين موضوعَ الانتفاضاتِ والثوراتِ التي قاموا بها إلى فصلٍ آخر.

أوّلاً : في عهد الولاة

يُمثِّل عهــدُ الولاةِ بالأندلــس، أولى فتراتِ حُـكمِ المسلمين بهذه البلاد، حيث تميَّز هذا العهـدُ بتواصلِ الفتحِ الإسلامي،وكثرةِ الاضطراباتِ والقلائلَ، التي ظهرت بين العناصرَ المختلفةِ التي كوَّنت المجتمـعَ الجـديد؛ ويمتدُّ مِن لَـدُن افتتاحِ هذه البـلاد، على عهـدِ الوليد بن عبد الملك، إلى لحـاقِ عبد الرحمان بن مُعاوية، مُجَدِّدِ الدولةِ الأمويَّةِ بها[1]؛ ودامت مدَّتُه على ستٍّ وأربعين سنةً، وخمســة أيام[2].

واختُلِفَ في عددِ الولاةِ الذين حكموا الأندلس، فهل كان عددُهم عشرين،أو يزيدُ بواحد؛ كما اختُلفَ في ترتيبِهم، بالإضافةِ إلى التَّضاربِ حول طارق بن زياد، باعتبارِه واحـداً مِنهم، أم هو ليس بوالٍ مِثلهم. ويقول المِقـري أنَّ عددَهم كان عشـرين[3]، مَلَكوا الأندلس بغير مُوارثـة، ويبدأُ بطارق بن زياد، ويقـولُ أنَّه لم يتَّخِــذ سريراً للسُلـطة، مِثلَه مِثلَ موسى بن نُصير[4]؛ أمَّا صـاحِبُ تاريـخ الأندلس، فلا يذكرُ مِن بينهـم عُذرة بن عبد الله الفِهري؛ ويَعتبِرُ طارقاً أوَّل الولاة[5] أيضاً،وهو نفس

(1)- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص.6.
(2)- المقري: المصدر السابق،ج.1، ص.300.
(3)- انظر أسماء الولاة في المُلحق رقم 1، ص.116.
(4)- المقري: نفسه، ص.298.
(5)- **تاريخ الأندلس**،ص.156 ؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،ص.100 ؛ وهو نفس مايراه ابن بشكوال، المقري: نفسه، ج.3، ص.17.

ما ينقله ابن الخطيب[1]. وهؤلاء الولاة لم يتعدَّوا صِفة الأمير[2]؛ وكان تعيينُهم على أيام بني أميّة، مِن قِبَلِهم، أو مِن قِبَل مَن يُقيمونَهُ بالقيروان أو بمِصر، وبعد زوال هذه الدولةِ اتَّفَقَ أهل الأندلسِ على تقديمِ قُرَشي، يجمع كلمتَهم،فكان يوسف بن عبد الرحمان الفِهري[3]،وهو آخر هؤلاء الأمراء.

إنَّ الأدوارَ التي قام بها البربر، خلال هذا العهدِ مِن تاريخِ الأندلس، ما زالت مَغمورةً، إلاَّ ما عُرِفَ في دورِ الفتح، والذي تناولناه في الفصلِ الأوَّل مِن هذه الدراسة. فمشاركةُ هؤلاء العناصرَ في الحياةِ السِّياسيَّة، لا يُعرَفُ لها أيُّ شكل؛ ممَّا جعلَ الكثيرين يُؤوِّلون الأحداثَ التي شهدتها البلاد، خلال هذه الفترة، تأويلاً يشوبُه بعضٌ مِن العُنصرية، والأحكامِ المسَبَّقَة دون أيِّ دليلٍ قاطع، ثمَّ يُشغِلون الناسَ بأمورٍ أخرى، لتوجيهِ أنظارِهِم، إلى ما هو غيرُ مُهِمّ.

إنَّ بعضَ المصادرَ التَّاريخيَّة،-التي لم تستطع نُكرانَ الدور العسكري،الكبيرِ الذي قام به البربرُ أثناء الفتح، وعن استبسالِهم أثناء المعاركِ الطَّاحنةِ، مع القوطِ المقاومين، وتجاهل دور القيادةِ العسكريَّةِ الحكيمةِ لطارق بن زياد البربري-؛ وصفت هؤلاء الجنودَ بأوصافٍ فيها نوعٌ مِن التَّشويهِ والتَّمييز؛ وذلك عندما تتكلّمُ عن الغنائمَ بعد انتصارِهم على القوط. فابن عبد الحَكم، حين ينقلُ اقتسامَ هؤلاء الجنودِ للغنائم، بضربِهم بالفؤوس، للأشياءِ الثمينةِ، التي وجدوها مصنوعةً من ذهبٍ ولؤلؤٍ وزبرجدٍ وياقوت، ليكسروها، والناسُ عن ذلك مشغولون[4]!، فهو ينقلُ صورةً مُشوَّهةً عنهم؛ وتمَّ أخذ هذه الفكرةِ من طرفِ المقري، دون أيّ تنقيح[5]، رُغم ما يظهر فيها مِن عنصريَّةٍ واحتقارٍ للبربر.

لقد كان ابن عذاري أكثر حِكمةً، حين يأتي بهذه الرواية، فالأمرُ عنده شامِل، فالناسُ كلُّها مُشتغلةٌ بما في يدِها، عربٌ وبربر[6]، دون أيّ تمييزٍ أو تخصيصٍ،-بالبربرِ-، دون سواهم.

ربَّما تكون هذه الرواياتُ،التي تصفُ البربر، وكأنَّهم هم وحدَهم المشتغلون بالغنائمَ الغالية، التي يُحطِّمونَها بالفؤوس، مِن ضِمنِ الرِّواياتِ التي أرادت الحَطَّ مِن شأنِهم، وإبرازِهم في صورةٍ شائنة بهم،

(1)- **أعمال الأعلام**، ص.6.
(2)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.299.
(3)- الحميدي: المصدر السابق، ص ص.14-15.
(4)- **فتوح إفريقية والأندلس**، ص.78 ؛ عندما يقول ابن عبد الحكم، إنَّ الناس عن ذلك مشغولون، فهو حتماً، قد يقصد العربَ وحدَهم!.
(5)- **نفح الطيب**، ص ص.288-289.
(6)- **البيان المُغرب**، ج.1، ص.18.

حتى تُنقِص أو تُلغي مِن حجم العمل الذي قاموا به.

ثمَّ إنَّ نفس هذه المصادر، تصمت عن إيراد ما قاموا به، مِن دورٍ إيجابي، في مُواصلة الفتح في المناطق الشماليَّة للأندلس، وفي مُحاولة فتح بلاد الغال(فرنسا)، رُغم أنَّها تعلم أنَّ عددهم الكبير في البلاد، يُؤهِّلهم وحدهم، للقيام بهذا العمل العظيم؛ ومِن خلال هذا الصمتِ الغريب، حاولَ كثيرٌ مِن المحدَثين، استنطاقَها بتكلُّفٍ كبير، زادتِ البربرَ إدانةً مِن غيرِ دليل.

وكان مقتلُ الوالي عبد العزيز بن موسى بن نُصير، في سنة **97**هـ/**716**م، أولى الإداناتِ ضمن الاغتيالاتِ السِّياسيَّة؛ حيث اتُّهِمَ البربر بذلك، فالمؤرِّخ العراقي، ذنون طه يقولُ أنَّ البربر في الأندلس، اعتقدوا بأنَّ تساهلَ عبد العزيز بن موسى مع المحَلِّيين، يُمكنُ أن يُؤثِّرَ بشكلٍ سلبي على مصالِحِهم وسيطرتِهم، فقرَّروا التخلُّصَ مِنه، دون أن ينالوا عِقاباً مِن الخِلافة، فروَّجوا عنه الشائعاتِ مُدَّعين بأنَّه ينوي التَنَصُّر، فقاموا وقتلوه باسمِ هذه الخلافة[1].

إنَّ الإتيانَ بمثلِ هذا الاتِّهامِ الخطير، دون أيّ دليلٍ قاطع، قد ساعد على نشرِ بعضِ الأغاليطِ التي تبدو عند البعضِ، كحقائقَ مؤكدة، دون مُحاولةِ التثبُّتِ منها[2].

لقد اعتمد ذنون طه على مصدرٍ وحيد،لا يقول أنَّ البربرَ هم الذين قتلوا هذا الوالي، وإنَّما يشيرُ إلى أنَّهم قد قاموا باختيارِ الوالي اللاحقِ (أيُّوب بن حبيب اللَّخمي)[3]،ففهمَ مِنه أنَّهم كانوا السببَ في هذا الاغتيال،رُغم أنَّ أكثر المصادرَ لم تُشِر إلى هذه الروايةِ الضعيفة،ولم تقُل أنَّ البربرَ هم الذين قاموا بذلك. وقد زاد هذا الباحثُ تُهمةً أخرى لهؤلاء العناصر، فقال أنَّه مِن المحتملِ أنَّ البربر الذين كانت لهم يدٌ في اختيارِ أيّوب،عمِلوا أيضاً على نقلِ العاصمةِ حتى تكون تحت سيطرتِهم[4].

إنَّ معظمَ المصادرَ التَّاريخيَّة،تنقل روايةً مغايرة،عن مقتلِ هذا الوالي،حيث تتَّهمُ الخلافةَ في ذلك؛ فالمقري يقولُ أنَّ سُليمان بن عبد الملك، هو الذي أمرَ بقتلِ عبد العزيز بن موسى، والي الأندلس، وهذا حِنقاً على والِدِه موسى[5]، ويزيدُ ابن قُتيبة، -الذي يُعتبرُ بكتاباته، مِن أكثر مَن تعصَّب لموسى بن نُصير وأعمالِه-، فيقول أنَّ هذا الخليفةَ وعدَ مَن يقتلُه بالإمارة، بعد أن تكلَّم بكلامٍ

(1)- طه (ذنون): **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**،ص ص.288-289.
(2)- أشتيوي (أشرف يعقوب أحمد): "**الأندلس في عصر الولاة (91-138هـ/711-756م)**"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2004، ص.49.
(3)- ابن القوطية: المصدر السابق، ص.25. (تح.إسماعيل العربي) ؛ نفسه، ص.37. (تح.الأبياري).
(4)- طه (ذنون): نفسه، ص.291.
(5)- **نفح الطيب**، ج.1، ص.281.

خفيفٍ، حملته حَمِيَّة لِما صُنِع بأبيه، على حُسن بلائه؛ فنُمِيَت إلى سليمان، فخـاف (سليمان) أن يَخلعَ طاعته[1]. ثمَّ إنَّ المصادر، عندما تورد أسماء قاتليه، لم تأت على اسمٍ بربري واحـد، فكلُّهم مِن أسماءٍ عربيَّةٍ ذو أصولٍ لقبائل عربيَّة خالصة[2].

إنَّه لا يُعلمُ سببُ هذا التجنّي على البربر، باتّهامِهم باغتيـالِ الوالي الأموي على الأندلـس، رُغم أنَّ المصادرَ التَّاريخيَّة لم تقل ذلك بوضوحٍ كبير، ولم تأتِ بدليلٍ قاطع.

وعند الحديثِ عن مواصلةِ الفتحِ الإسلامي في شمالِ الأندلس، وفي بلادِ الغال،والتي كان لبعضِ هؤلاءِ الأمراءِ دورٌ فيه. لا نجد أيَّ إشارةٍ، لا مِن قريب أو مِن بعيد، عن إسهـامِ البربرِ فيه؛ وبما أنَّهم كانـوا هم الغالبيَّةُ عدَدِياً، فلا يُعقلُ ألاَّ تكـونَ لهم مشاركـةٌ في هذا العمـل. ولذلك سَنعتَبرُ أنَّ أيَّ جيشٍ نحو المناطـقَ الشماليَّة، يكونُ مُكَوَّناً،-لا محالـةَ- بأعـدادَ كبيرةٍ مِنهم؛ ومِن هنا نفـترضُ أنَّ الجيشَ الذي قـادَه السمـحُ بن مـالك الخـولاني، في سنة**102**هـ/ **721**م، وغـزا به طرسـونة[3]، أين استُشهِد[4]، يكون مُعظمُ جنودِه مِن البربر، وقليلٌ مِن العرب.

وكان عَنبسة بن سحيم الكلبي، أيضاً مِن الولاةِ الذين عَرَفوا طريقَهم نحو شمالِ الأندلـس، وبلادِ الغـال، إذ يقـولُ ابن عذاري، أنَّه كان مُلـحّاً على الرومِ في قتـالِهم ومحاصـرتِهم، حتَّى اضطـروا إلى مُصالحَتِه[5]، ويَظهرُ أيضاً أنَّ البربر، كانوا جُنوداً في هذه المعارك،رُغم تعتيمِ المصـادر، وهذا لغلبتِهم عددياً، -كما سبق توضيحُه-.

وجاءت معركةُ بلاطِ الشهداء، أو بواتييه **(Poitiers)** ،والتي قادها عبد الرحمان الغافقي،ليُضيفَ بعض المحدَثين، إدانةً أخرى للبربر، بأنَّهم كانوا السببَ المبـاشرَ في هزيمـةِ الجيشِ المسلم، وذلك في أمرَين غيرُ مؤكَّدين، هذا رُغم تكتُّمِ المصادرِ عن ذكرِ أيِّ تفاصيلَ عن هذه المعركة.

---

(1)- ابن قتيبة: المصـدر السابق، ج.2، ص ص.110-111 ؛ كما جعلـوا أنَّ عبد العزيـز أوشك على التنصُّر بعد زواجه من ابنة ملك القوط، فقتلوه لهذا السبب، انظر مثلاً : ابن عبد الحكم : المصدر السابق،ص ص.84-85؛ مجهول: **أخبار مجموعة**،ص.104؛ ابن عذاري: المصدر السابق،ج.1، ص ص.23-24.

(2)- وهم: حبيب بن أبي عبدة الفِهري، زياد بن عُذرة البلوي، زياد بن نابـغة التميمي، عمـرو بن زياد اليُحصُبي، انظر: ابن قتيبة: نفسه ؛ ابن عذاري: نفسه ؛ وقيل أنَّ علاقـة موسى مع قـادته، لم تكن طيبة، فقتلوه، الراشد (عبد الجليل) :"**الفوضـى العسكريَّة في الأندلـس في عصـر الولاة**"، المجلَّة التاريخيَّة، بغداد، 1975، ع.5، ص.183.

(3)- طرسونة: من مدن الثغـور، بينها وبين تطـيلة أربعة فراسـخ، وهي قريبة من أربونة وبرشـلونة، الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.123 ؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.4، ص.29

(4)- ابن عذاري: نفسه، ص.26.

(5)- نفسه، ص.27.

فالأمر الأوَّل الذي حاول المؤرخون إلصاقَهُ بالبربر، هو وقـوف شخصيَّةٍ،-قيل أنَّها مِن البربر-، إلى جانب أعداء المسلمين، رُغم أنَّ هذه الشخصية، التي تُدعى مونوسة،غيرُ مُتَحَقَّقٍ مِن وجـودها أصـلاً؛ فالحـديث عنها، كان بناءً على مصـادر لاتينيَّة. فإيزودور البـاجي، يقـول أنَّه مِن الجنس البربري[1]، وقيل أنَّه كانت تربطـه مع حـاكم أقيطانيا **(Aquitaine)** معاهـدة، إلى جـانب أنَّه كان يُصاهره[2]، وبالإضافة إلى ذلك، قيل أنَّه وقف ضدَّ المسلمين، لما وصله مِن سوء مُعاملـة إخوانِـه، واضطهادِهم في شمال إفريقيا[3].

ويذكـر ابن عذاري أنَّ الوالي، الهيثم بن عُبيد، كان قد غـزا مونوسـة سنة**111**هـ/ **729**م[4]، ولم يُشِر إلى أنَّه بربري قط.

وزادت الاتّهاماتُ إلى العنصرِ البربري، بأنَّه كان السببَ في هزيمـةِ المسلمين، إذ قيل أنَّهم كانـوا ينتقلون بأُسَرِهِم،وحيث كانوا الغالبيَّةُ في الجيش،فكان ذلك سببُ إضعـافِهم له[5]؛وقيل أنَّ البربرَ لم يكونوا مُتحمِّسين أكثر للمعركة، وتَطَلَّعوا إلى الانسحابِ مِنها[6]. وزِيدَ في إدانةِ هؤلاء الجنود،فقيل أنَّهم قد افتقدوا ذلك الاندفاعَ المتماسكَ المتعاون، الذي تجلّى في معاركِ الفتح، بسبب بذورِ النِقمةِ على التَسلُّطِ العربي[7].

ليس هناك أيُّ دليلٍ قاطـعٍ بأنَّ البربر، كانـوا هم عِلّة هزيمـةِ الجيشِ الإسلامي، ولكنها كانت استنتاجاتٌ قـام بها بعضُ المؤرخين، حيث يَنقُصُـها كثيرٌ مِن الحُجّية. ثمَّ إنَّ هذه المعـركةَ أتت في ظروفٍ خاصة،أدَّت إلى نتيجتِها السِلبيَّة، فبُعدُ المسافةِ عن قرطبة، كان أهمَّ عاملٍ في هذه النهاية، إلى جانب طبيعةِ الجـوِ والأرض، وكثرةِ القـواتِ الأوربية، التي جاءت مِن مناطـقَ وأقاليمَ وإمـاراتِ أوربا المختلفة[8]، كلُّها أسبابٌ مُقنعةٌ في اندحارِ الجيش الفاتح.

---

(1)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.310.
(2)- فيلالي (عبد العزيز): **المظاهر الكبرى في عصر الولاة**، ص.118.
(3)- مؤنس (حسين): نفس المرجع السابق، ص.311 ؛ طه (ذنون): **الفتح والاستقرار بالأندلس**، ص. 300 ؛ أرسلان (شكيب): **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسّط**، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2008، ط.1، ص.85.
(4)- **البيان المُغرب**، ج.2، ص.28.
(5)- طه (ذنون): نفسه، ص ص.202-203.
(6)- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد): **معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي (رمضان 114هـ /أكتوبر732م)**، عالم الكتب، القاهرة، 1996، ط.1، ص.73.
(7)- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد): نفس المرجع السابق.
(8)- أرسلان (شكيب): المرجع السابق، ص.89.

وتأتي تبرئة البربر، مِن كونهم السبب في هذه الهزيمة، مِن طرف عبد الرحمان الحجّي، الذي يقول أنَّ ذلك زعمٌ قائمٌ على قصة مونوسة المفتراة، وهي عبارة عن رواياتٍ أوروبيَّةٍ كَنَسيَّة،التي قَبِلَها بعضُ المحدثين[1].

إنَّ ما يُمكن أن نقوله عن إسهام البربر، في الحياة العسكريَّة والسِّياسيَّة، خلال عهد الوُلاة، هو استمرار مُشاركتهم إلى جانب إخوانهم العرب، في العمل الذي ابتدأوه، وهو مُواصلة الفتح في المناطق التي لم يُتمِّم فتحها القائدان طارقٌ وموسى؛ وأنَّهم رُبَّما شاركوا في بعض المواقِف التي كانت الخلافة سبباً فيها، والتي لا يُمكن إثباتُها بأيِّ طريق؛ وما انضمامهم إلى جانب الوُلاة، الذين بعثتهم السُلطة المركزيَّة، في المشرق، أو الذين تمَّ اختيارهم مِن البلاد، في الفتوح الشماليَّة، إلاَّ دليلٌ على قبولهم لإمارتهم، وربَّما زهدوا في الحُكْم إلى حين، واقتصروا فقط، على الجانب العسكري.

ثانياً: عهد الإمارة

يُمثِّل عهدُ الإمارةِ الأمويَّة، ثاني مرحلة مِن مراحلِ حُكمِ المسلمين بالأندلس، بعد عهدِ الولاة؛ وفيها صار هذا الحُكمُ مُتوارَثاً، داخل أسرةٍ عربيَّةٍ واحدة، بعد تغلُّب عبد الرحمان بن مُعاوية[2]،على بقيَّة العناصر التي كانت تفرِضُ سيطرتها على البلاد. وأهمُّ ما يُميِّز أدوار البربر، في هذا العهد، هو بروزهم بشكلٍ جليٍّ في الحياة السِّياسيَّة،وتوليهم لبعض المناصب الهامة في هذه الإمارة؛ التي بدأت تعرف التنظيم الإداري واضح المعالم، والركائز الأساسيَّة للدولة، إلى جانب ذلك، فقد استمرَّ هؤلاء العناصر في تأدية الأدوار العسكريَّة التي برزوا فيها، فكانوا جنوداً مُقاتلين في الجيوش الإسلاميَّة، وشاركوا في قيام السُلطة الأمويَّة، ومن ثمَّ في توطيد دعائم حُكمِها، وفي تسيير شؤونها.

1- البربرُ يُشاركون في تغلُّبِ عبد الرحمان الدَّاخلِ على الأندلس

إنَّ علاقة عبد الرحمان الداخل بالبربر، لم تبتدئ بمحاولةِ الاستيلاءِ على الأندلس،أو حتَّى جوازِهِ

---

(1)- **التاريخ الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط غرناطة**، ص.207.

(2)- انظر ترجمته في: ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**،تح.محمد عبد القادر شاهين،المكتبة العصريَّة،صيدا- بيروت،2009،ج.5،ص.208؛ ابن الفرضي: المصدر السابق،ج.1،ص.11؛ المراكشي: المصدر السابق،ص.15 ؛ الحميدي: المصدر السابق،ص.15؛ ابن عذاري: المصدر السابق،ج.2،ص.47؛ ابن الأبَّار: المصدر السابق،ج.1،ص.36 وما بعدها ؛ مجهول: **تاريخ الأندلس**،ص.159.(بوباية)؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ص.109.(مولينا) ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج.4، ص.54 وما بعدها ؛ المقري: المصدر السابق، ج.3، ص ص.48-49.

إليها، بل هي علاقــةُ نسبٍ ودمٍ، تجمــعُه بهم؛ فهو ابن أم ولــدٍ بربريَّة، تُسمى راح[1]، أو براح[2]، وهي مِن سبي زناتة[3]؛ فأخواله مِن البربر إذن.

لقد كانت علاقةُ الخؤولة التي جمعت هذا الأمير الهارب، –مِن بطشِ العباسيين–، بالبربر، سَبَباً في بقاءِه حياً، فهو قد احتَمى عند كثيرٍ مِن القبائــلَ المغربيَّة، والتي آوتهُ ودعَّمته. والحديثُ عن هذا الأمر، –وإن كان ليس محلُه المكاني مِن الدراسة–،فهو يُعطينا فكرةً عن هذه المساندةِ التي سيلقاها عبد الرحمان، بعد إعادة حُكم الأمويين بالأندلس.

فهو قد توجَّه أوَّلاً نحو برقة، وأقــام بها أياماً، حتى نُسِي[4]، ثمَّ تنقَّل بين قبائــلَ بربريَّةٍ كثيرة، التي ربَّما كان يستجمعُ تأييدَها ودعمَها؛ فنزلَ عند زعيمِ قبيلةِ مغيلة، أبي قرّة واسنوس[5]، الذي سيُكرمُه الأمير، بعد استتبابِ حُكمـِه بالعُــدوة، مع زوجِــهِ تكفــات، التي يُذكر أنَّها قامــت بتخبئته تحــت ثيابها[6]؛ وبعد ذلك صار عند قبيلة تادلا، لكنهم ضايقوه[7]، وقد يكون ذلك لضُعفِها وتوجُّسِــها مِن أعداءِه؛ فتوجَّــه بعدها عند نفــزة[8]–أخوالِه–، ثمَّ ارتحــل نحو زناتة[9]، ومِنها كان يُدبِّر الأمــورَ للجوازِ نحو الأندلس[10].

ولما اكتمل العمل الذي قام به هذا الأمير، انطلاقاً مِن بلاد المغرب،اجتاز نحو العُدوة،بجنودٍ مِن البربر، قد ساروا معه؛ وكان اجتيازه مِن ساحل مغيلة،بالمغرب الأوسط،مع واحدٍ مِن رؤسائها، وهو حسَّان بن زروال[11]، والذي يُحتملُ أنَّه قد أخذ معه أتباعه المؤيِّدين.

---

(1)- المراكشي: المصدر السابق،ص.15 ؛ مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.159.(بوباية)؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ص.109 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.333.
(2)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.47.
(3)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، نفسه ؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، نفسه.
(4)- ابن عذاري: نفسه، ص.41 ؛ يقول المقري، نقلاً عن ابن عبد الحَكم، أنَّه أقام في برقة، خمس سنين، نفسه، ج.3، ص.29.
(5)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.162 ؛ المقري : نفسه، ص.333.
(6)- مجهول: نفسه ؛ المقري : نفسه.
(7)- ابن عذاري: نفسه.
(8)- نفسه ؛ مجهول: **تاريخ الأندلس**، نفسه.
(9)- مجهول: نفسه.
(10)- نفسه، ص.162 ؛ مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.132. (تح. إسماعيل العربي).
(11)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.164.

وبهذا كانت بلادُ المغربِ وعناصِرُها، مَن حَمَتهُ، أولاً، مِن عِقـاب العباسيين، رُغـم ما يُمثِّله مِن خروجٍ على السُلطةِ الجديدة [1]، ثمَّ قامت بتأييدِه في تغلُّبِه على الأندلس، ثانياً.

لقد كان للصراعِ القَبلي، القائمِ بين مختلفِ الأطرافِ في الأندلس، دورٌ كبير،في فتحِ الباب لهذا المغامر، الذي يُؤيِّده نَسَبُه، وتُزكِّيه هِمَّتُه[2]، فنزل بالبلاد الجديدة،حذوه أملٌ في إعادة مُلك بني أميَّة، ولذلك احتاجَ إلى جنودٍ مُتَمرِّسين في القتال، فوجدهم في بلادِ المغرب.

وسجَّلت المصادرُ، أوَّلَ مُشاركةٍ عسكريَّةٍ للبربر، في بدايةِ عهـدِ الإمارة، سنة**138**هـ/**755**م، في معركـةِ المِصـــارة[3]، بين جيوشِ الأموي، وجيشِ الفِهري آخرِ الولاةِ بالأندلس، فيذكر ابن عذاري، أنَّ عبد الرحمان جعل على رأسِ القبائلَ البربريَّة،أحدُ قواده، وهو إبراهيم بن شجرة البربري[4]، الذي يقول عنه صاحبُ تاريخِ الأندلس، أنّه كان عامـلاً على كـورة مورور[5]، التي كان قد ارتحـل إليها ابن مُعاوية عند دخولِه البلاد، فبايعه[6].

ويبدو أنَّه قد شارك معه عددٌ كبيرٌ مِن البربر، الذين قبَلوا بيعتَه، عند نزولِه بالأندلس،فصاحبُ الأخبار المجمـوعة، يقول أنَّه قد كتب إلى الأجنـادِ كلِّها، والبربر، فأجابته[7]، وبايــعه عبد الأعــلى بن عَوسَجة، صاحبُ كورة تاكرنا، هو ومَن معه مِن الجُند[8]، كما بايع عامِلُ كورة مورور.

لقد كانت مشـاركةُ قـواتِ البربرِ في هذه المعـركة، سنداً قـوياً، ودعمـاً كبيراً، استطـاعَ الأمير، بواسطتِه، الانتصارَ على قوةِ الفِهري وجنودِه، والتمكينَ له في قيامِ دولتِه الجديدة.

(1)- يقول غابريال مارتينيز، عن هذا الموقف، الذي قام به البربر، تُجاه الأمير الأمـوي أنَّ بلاد البربر المُنشقة، قد قامت بحماية عبد الرحمان، بشكلٍ متناقض، من عقاب العباسيين، انظر:
Martinez-Gros (G):**L’idéologie omeyyade.la construction de la légitimité du Califat de Cordoue (X-XI siècles)**,Casa de Velázquez,Madrid, 1992,p.12.
(2)- عبد الجليل الراشد: "**الفوضى العسكريَّة في الأندلس في عصر الولاة**"، ص.188.
(3)- المُصارة: صحراء غربي قرطبة،المقري: المصـدر السابق،ج.3،ص.33 ؛ جاءت باسم المُسـارة عند مجهول: **أخبارمجموعة**، ص.141.
(4)- **البيان المُغرب**، ج.2، ص.47.
(5)- مورور: كورة بالأندلس، متَّصـل بأحواز قرمـونة، وهي في الغـرب والجـوف من كـورة شـذونة، وأحوازها مُتَّصِلة بأحوازها، الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.188.
(6)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص.163.
(7)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.139.
(8)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، نفسه.

ولم تقتصر مساندةُ البربرِ لعبد الرحمان، على معركةِ المصارة، بل كان اعتمادُه كبيراً عليهم، فيما بعد؛ فحَسَب ابن حيّان فهو قد طلب دعمَهم له، فأحسنَ إلى مَن قَدِم عليه مِن بلادِ المغرب، فتتابعَ هذا القدومُ عليه، واستكثرَ مِنهم، حتى صارَ له مِنهم أربعين ألفاً، وتغلَّبَ بهم على العرب، وبِهم استقام مُلكُه وتَوَطَّد[1].

لقد كان استجلابُ الحاكم الجديد، لأعداد البربرِ مِن بلادِ المغرب، واستقواؤه بهم، لخشيته مِن بعضِ العناصرَ العربيَّة، التي كانت تشكِّلُ أجناداً في بعضِ كُور الأندلس، حيث ألغى بعضَها مِن ديوانِه، وحذفَ لواءَها[2]، ثمَّ لرغبتِه في إجراءِ تنظيماتٍ عسكريَّةٍ جديدةٍ، تلائمُ النِظامَ الجديدَ وتحميه[3]؛ وبذلك فقد حاولَ هذا الأميرُ، إحلالَ سلطةِ الدولةِ الممثَّلةً في شخصِه، محَلِ سُلطة القبيلة، التي كانت تشكِّلُ خطراً كبيراً على شبهِ الجزيرة[4]، فحاولَ القضاءَ عليها.

وبهذا أصبح البربرُ يُشكِّلون لبِنةً هامةً،في القوة النظاميَّةِ الجديدة، والتي أرادَها عبد الرحمان،وبها سيُحاربُ أعداءَه الداخليين والخارجيين. فطغى الجانبُ العسكريُ على عملِهم، أثناءَ فترةِ هذا الأمير، فبواسطتِهم استطاعَ التغلُّبَ على بلادَ الأندلس، بعد أن كانوا قد حَمَوه، حين كان هارباً مِن بطش بني العبَّاس. أمَّا في الجانب السِّياسي، فلم تُسجِّل لنا المصادر التاريخية،تولِّيهم لأيِّ خطَّة من الخُطط السِّياسيَّة، إلاَّ لشخصٍ واحد، واختُلِفَ في نِسبتِه إلى أهلِ المغرب؛ فالمقري يذكرُ أنَّ الدَّاخل كان له ما يُشبهُ سِمةَ الوزير؛ حيث عيَّن مُشاورين له ومُؤازرين، وكان مِن بينهم شُهَيد بن عيسى، مولى مُعاوية بن مروان بن الحَكَم، الذي كان مِن سبي البربر، وقيل أنَّه رومي[5]. فإن أخذنا بكونِه مِن الروميين، فسيخلو عهدُ الداخل مِن أيِّ توليةٍ سياسيَّةٍ للبربر.

2- مُشاركةُ البربرِ في الحياةِ السِّياسيَّةِ والعسكريَّةِ بعد عهدِ الدَّاخل

---

(1)- المقري: المصدر السابق، ج.3، ص ص.36-37.

(2)- من هؤلاء الأجناد الخارجين على عبد الرحمان، جُند باجة، بقيادة العلاء بن مُغيث اليُحصبُي، مجهول: **أخبار مجموعة**،ص.149؛ المقري: المصدر السابق،ج.1،ص.332 ؛ وكذلك ممن خرج عليه، ابن سعيد اليُحصُبي المعروف بالمطري في لبلة، أو أبو الصبَّاح في إشبيلية، والسقلابي بتُدمير وسليمان الأعرابي الكلبي ببرشلونة...، مجهول: نفسه، ص.150 وما بعدها.

(3)- طه (ذنون): "**تنظيمات الجيش في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة في الأندلس.**."، ص.7.

(4)- خمّأش(نجدة):"**الإدارة في الأندلس في عهد عبد الرحمان الدَّاخل**"،مجلة دراسات تاريخيَّة،دمشق، 1987، ع.25-26، ص.65.

(5)- المقري: نفسه،ج.3، ص.45 ؛ ربَّما لم يتَّخِذ عبد الرحمان وزراءً له، لتأثُّره بأسلافه في المشرق، وكان أوّل من اتَّخذ هذا النظام، الأمير عبد الرحمان الأوسط : الخَلَف (سالم بن عبد الله): **نُظُم حُكم الأمويِّين ورسومهم في الأندلس**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنوَّرة، 1424هـ /2003م، ج.1، ص ص.455-457.

استمرَّ عهد الإمارة الأمويَّة بالأندلس، لِما يُناهِـزُ القرن والرُبُع، بعد وفـاة عبد الرحمان الأوَّل، سنة **172**هـ/ **788**م، والذي حَكَـم البلادَ، لمدَّةٍ جاوزت ثلاثةَ عقودٍ مِن الزمن، تقلَّـد بعدَه سِتةٌ مِن الحُكام لم يتجاوزوا لقبَ الأمير. وفي هذه الحُقبة، ربَّما تواصـلت نظرةُ الأمويين إلى فئة البربر، بنفس ما كان يَنظرُ إليهم عبد الرحمان الدَّاخـل، ولكن بحـذرٍ شـديد؛ فاعتمـدَ هؤلاء الحُكـام عليهم في جيـوشهم، رُغم ظهـور فئـةٍ جديدةٍ مِن العناصرَ البشـريَّة، التي صـارت تنافِسُـهم مع العـرب، في الاستحواذِ على اهتمامِ هؤلاءِ الأمراء.

أمَّا في جانبِ تقلُّدِ المناصِبِ والخُطط، فستظهرُ ، ومِن خلالِ بعضِ المدوَّناتِ التَّاريخيَّة، أسمـاءٌ لشخصياتٍ وأُسَرٍ بربريَّة، تبوَّأت مراتبَ عالية، وكانت لها حُظوةٌ رفيعة.

إنَّ المصادرَ التَّاريخيَّة، لا تذكرُ شيئاً عن استعمالِ البربر، واستجلابِهم مِن العُـدوة المغربيَّة، خلال هذه المرحلة، مِثلما فعـلَ الأميرُ عبد الرحمان الأوَّل[1]، وإنّما تشيرُ إلى بروز عنصـرٍ جـديدٍ، سيخدمُ الدولةَ الأمويَّة، وتمثَّل في عنصر العبيد الصقالبة[2].

لقد كان عبد الرحمان الدَّاخل، أوَّل مَن استعان بالصقالبة، إلى جانبِ البربر؛بعد استشارةِ واحدٍ مِن أبناءِ عمومتِه، وربَّما كان سببُ ذلك كثرةُ ثورات العـرب[3]، ثمَّ صارت قاعـدةً للسِّياسة، سـار عليها خلفاؤه[4].

وكان عهدُ الحَكَم بن هشام، ثالـث الأمويين بالأندلـس، أكثرَ واحـدٍ استكثرَ مِن هؤلاء العبيدِ واستفحـلَ بهم مُلكُـه وقَوِي[5]، حتَّى بلغـوا عنـده خمسـة ألاف، مِنهم ثلاثـة ألاف مِن فرسـان الخُرس[6]؛ وبهم حاربَ مُناوئيه.

---

(1)- قيل أنَّ واحداً من أبناء عمومة الداخل، وهو بِشر بن عبد الملك بن بِشر بن مروان، هو الذي أشار له باصطناع البربر،واتِّخاذ العبيد، ليستعين بهم على العرب، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج.1، ص.28.

(2)- الصقالبة: جمع صُقلُبي وصقلابي بالصاد والسين، كان جغرافيو العرب في القرون الوسطى، يُطلقون عادة اسم صقالبة على تلك الشعوب المنحدرة من أصول شتى، والتي كانت تنزل الأرض المُجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية وأرض البلغار، النجَّار (حمادة فرج): **الصَّقالبة في قصور بني أميَّة في الأندلس**،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،2011،ص.47 ؛ وكلمة صقالبة أُطلِقت على جميع الأسرى الذين كانت تأتي بهم الجيوش الألمانية من حملاتها على بلادهم ثمَّ يبيعونهم إلى المسلمين في الأندلس وهم شباب، لُطف (عمر مصطفى): **تاريخ الصَّقالبة في الأندلس دراسة تاريخية جديدة**، مركز البرنس للطباعة، 2003، ط.1، ص.6.

(3)- النجَّار (حمادة فرج): نفس المرجع السابق، ص.74.

(4)- لُطف (عمر مصطفى): نفس المرجع السابق، ص.22.

(5)- ابن سعيد المغربي: نفسه، ج.1، ص.13 ؛ المقري: المصدر السابق،ج.1، ص ص.338-339 ؛ وات (مونتغمري): المرجع السابق، ص.70.

(6)- ابن سعيد المغربي: نفسه ؛ سمِّي الصقالبة بالخُرس لعُجْمَتهم: نفسه.

وفي حُكم هذا الأمير، وقعت حادثة الربض، سنة **202**هـ/ **817**م، والتي قَتَلَ فيها الكثيرُ مِن أهل قُرطبة، وعلى رأسهم الفقهاء، الذين ثاروا عليه، بسبب سوء تصرُّفاته كأمير، لِما عُرِفَ عنه مِن قسوةٍ وصرامةٍ وبطش، ولِما رُوِيَ عنه مِن انهماكه في الملذَّات، ومِن إهماله للعلماء[1]؛ فاستعملَ هؤلاء الجندَ ضدَّهم، فأفشوا القتلَ فيهم[2].

لقد كان الصقالبة هم السببُ المباشرُ لهذه الثورة، وكانوا هم سلاحُ الحَكَم في سفكِ دماءِ أهلِ الربضِ في هذه الموقِعة[3]. وأُدين الفقيهُ البربري يحي بن يحي اللّيثي[4]، في كونه صاحبها حيث قالوا أنَّه كان على رأسِ الفقهاء، الذين أخذوا يبثّون روحَ الثورةِ لدى الأهالي، ويُعبِّدون النفوسَ بنيرانِ الحِقدِ على الحَكَم ومواليه، وجُندِه وغِلمانِه[5].لكن ابن الفرضي يقول أنَّه كان مِمَن اتُّهِم في الهَيَج[6].

إن ما قام به الفقيهُ يحي الليثي، إن كان صَحيحاً، فهو يُعتبرُ عملاً سياسياً خطيراً، ويُصنَّفُ، -كما يُقال في وقتِنا-، كواحدٍ مِن مُثيري الفِتنة ومُحرِّضيها، هو عملٌ عقوبتُهُ قاسية. فهل كان إصدارُ قرارِ الأمانِ مِن طرفِ الحَكَم، نتيجةَ شعورِه بالذنبِ،-فيما بعد، وطيلة بقيَّة حياتِه-، كما قال المؤرخون، أم أنَّه عَرَفَ أنَّه لم يكن له علاقةٌ كبيرةٌ بذلك؟.

لقد صار لهذا الفقيهِ، دورٌ سياسيٌ كبير، في عهدِ خليفةِ الحَكَم، فطلبَ مِنه الأمير الأموي عبد الرحمان تولِّي القضاء، فرفضَه[7]، وفضَّل أن يكون مُستشاراً في تعيينِ القُضاة فقط، فكان الحاكمُ يلتزمُ بأخذِ رأيِه، فلا يُولِّي ولا يَعزِلُ إلاَّ عن رأيِه، كما حدثَ مع يحي بن مُعمَّر المعزول، بعد نظرِ هذا الفقيهِ البربري[8]، ولذلك كثُرَ القضاةُ في عهده[9]، واستراحوا مِن همِّهِ بوفاتِه.

---

(1)- الصُّوفي(خالد): **تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبدالرحمان الداخل إلى عبدالرحمان النَّاصر 138-350هـ/755-960م**، منشورات جامعة قار يونس، 1980، ط.2، ص.135.
(2)- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق،ج.1، ص.15 ؛ انظر مُلحق رقم 6، ص.121.
(3)- النَّجّار (حمادة فرج): المرجع السابق، ص.89.
(4)- وهو يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا المصمودي، مولى لبني ليث: انظر ترجمته في: ابن الفرضي: المصدر السابق، ص ص.431-432 ؛ الحميدي: المصدر السابق، ص.345 وما بعدها ؛ المقري: المصدر السابق، ج.2، ص.9 وما بعدها.
(5)- النجَّار (حمادة فرج): نفس المرجع السابق، ص.97.
(6)- **تاريخ العلماء والرواة**، ص.432 ؛ المقري: نفسه، ج.2، ص.11.
(7)- يقول سالم الخلف:"إنَّ سبب رفض اللَّيثي للقضاء، هو اقتداءه بالإمام مالك،والمذهب المالكي يمتاز عن بقيَّة المذاهب بالتأثير السلوكي لأتباعه، فالإمام مالك رفض تولِّي القضاء لبني العبَّاس، ولا عجب أن يرفض الفقيه ذلك، المرجع السابق، ج.2، ص ص.725-726.
(8)- ابن القوطية: المصدر السابق، ص.56.(تح.إسماعيل العربي) ؛ نفسه، ص.75.(تح.الأبياري).
(9)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.80 ؛ كانت وفاته في سنة234هـ/848م، نفسه، ص.89.

وإذا كان يحي الليثي، قد وصل إلى مرتبةٍ عاليةٍ، عند عبد الرحمان الأوسط، ونال البربر حَظَّـهم مِن الحظوة الرفيعة، فإنَّ التاريخ يذكر أنَّ هذا الأمير، كان قد استوزر عنده؛ واحداً مِمَن يُحسبُ على هذا العنصر؛ وهو عبد الرحمان بن رُستم، بعد أن كان قد ولاَّه الحِجابة مِن قبل[1].

وزاد حظُّ البربرِ في عهدِ الأميرِ عبد الله، بأن يُوَلِّي أحدَهم الوزارة،فكانت له مكانةٌ عالية عنده؛ وكان اسمُ هذا الوزيرِ سليمان بن واسنوس، ويذكرُ صـاحبُ الحُلَّة، أنَّ الأميرَ قد غضِـبَ مِنه ذات يومٍ، فعزلَه؛ ولغَنائِه وأمانتِه ونصيحتِه وفضـلِ رأيِه، افتقده، فأرسـلَ يسترضيَه، ويطلـبُ عودتَـه إلى منصبِه[2].

ومِن الخُططِ السِّياسيَّة التي تقلَّدها البربر، خُطة الكِتابة، فاشتهر بيتُ الزَجاجِلَة[3]، الذين توارثوا هذا المنصب، منذ عهـد عبد الرحمان الأوسـط، إلى عهد الناصـر[4]. وكانت خُطـةُ الكتابـة، مِن الإداراتِ الحازمةِ للدولة، ووُجِدَ منصبٌ رفيعٌ له علاقة بهذه، سُمِّي بمنصب الكاتب الوزير، وأوَّل مَن ناله، محمد بن سعيد الزَجَّالي[5].

لقد كان للبربر، بعد الدَّاخل، نوعٌ مِن الاهتمام الكبير، ولذلك فقد وُلِّي بعضُهم مناصبَ عاليةٍ في الدولة، وإن كانت تبدو قليلة، -وذلك حَسَب ما أوردتهُ المصادرُ التَّاريخيَّة-، فحُظوا بمنزلةٍ عند بعضِ الأمراء، وربَّما يعودُ ذلك، -تخميناً-، لكون هؤلاء الحُكام مِن أمهـاتِ بربريات[6]، وما لذلك مِن تأثيرٍ نفسيٍ على هؤلاءِ الحُكـامِ، يجعلُهم يُقرِّبون البربرَ مِنهم، مِثلما كان الحـالُ مع الدَّاخـل، وهذا رُغـم ما عرفتـه البلادُ مِن خـروجٍ هذه الفئةِ على الحُكـمِ الأموي، في كثيرٍ مِن المرَّات، ورُغم سيطرةِ الصقالبةِ في هذا العهد.

---

(1)- ابن حيَّان الأندلسي: المصدر السابق، تح. محمد علي مكّي، ص.165و168.

(2)-انظر سبب غضب الوزير سليمان بن واسنوس،من الأمير عبد الله عند ابن الأبَّار:المصدر السابق، ص ص.123-124.

(3)- هم من بربر مديونة، ابن حزم الأندلسي: **الجمهرة**،تح.بروفنسال،ص.465 ؛ اشتهر من هذا البيت محمد بن سعيد بن أبي سليمان، واسمه وارشكين بن يطوفت من نفزة، وهو المعروف بحمدون، والملقَّب بالأصمعي، كتب لعبد الرحمان، ثمَّ لابنه محمد، أنجب ولدين هما عبد الله وحامد، وكانا مثله كاتبين، ثمَّ كان عبدالله بن محمد بن سعيد الزجَّالي،الذي كتب للأمير عبد الله، واتَّصلت كتابته إلى عهد النَّاصر، ابن حيَّان: نفس المصدر السابق، ص.171.

(4)- ابن حزم الأندلسي: نفسه ؛ الخلف (سالم بن عبد الله): المرجع السابق، ج.1، ص.346.

(5)- الخلف (سالم بن عبد الله): نفسه، ص ص.237-238 و341.

(6)- ينقل لنا صاحب **تاريخ الأندلس**، أنَّ كلاًّ من عبد الرحمان الأوسط وعبد الله بن محمد، من أمهات بربريات، فأم عبد الرحمان اسمها حلاوة، من مولدات البربر، وأم عبد الله اسمها عشار،ص.183 وص ص.196- 197.

ولم يعرف الجانب العسكري كثيراً من الذكــر، ضمن هذه المصــادر، ولكن هذا الدور، سيظلُّ يُرافقهم دائماً، فقد وُجِدت فرقةٌ من الفرق العسكريَّة، في عهد الأمير عبد الله، سُمِّيت باســم فرقــة الطنجيين، والذين جُلِبوا من بلاد المغرب[1]. ويبدو أنَّ هذا الأمير كان قد عقد ما يُشبِه الالتزامات مع بعض البربر، الذين رُبَّما كانوا ينزلون في بعض القلاعِ والمناطقَ في كُورِ الأندلس، وذلك ما ينقلُه أحد المؤرخين، إذ يقولُ أنَّ الأميرَ الأموي أَسْجَلَ لمحمد بن عبد الكريم بن إلياس، على قلعةِ ورد[2]، والتزمَ حضورَ الصوائفَ معه، فكان يَقدُمُ إلى قرطبة في كلِّ غزوة[3]، وهو نفسُ ما كان عليه والــدُه، عبد الكريم بن إلياس، الذي كان مِن أهلِ الوجاهةِ أيام المنذر، فتمسَّكَ بطاعتِه[4].

ثالثاً : عهدُ الخِلافة

يتميّزُ عهـدُ الخلافـةِ الأمويَّةِ في الأندلــس، الذي امتَّد على قرنٍ مِن الزمـن، بوجـودِ مرحلتين، إحداهما تمثِّلُ فترةَ القوةِ والازدهار، وهي في حدودِ الثلاثةِ أرباع، أمَّا الرُبُع الأخير، فكان بداية نهايــةِ هذه الدولة؛ فكانت الفتنة، ثمَّ بعدها السقوط[5].

لقد كان عبد الرحمان الثالث، واسطةَ العقدِ في هذه الدولة، فكان آخر الأمراء، وأوَّل الخُلفـــاء فيها. أتْبَعه ثمانية مِن الحُكــامِ، تَلقَّبــوا بما تَلقَّب به هو، ولكن جُلُّهم كانــوا ضِعافاً؛ وقد أعلن هذا الأميرُ الخِلافةَ في الأندلس في أواخر سنة **316**هـ/**929**م،فكان لإعلانِه أكبر وأخطر قرارٍ اتَّخذه على مدى حياته السِّياسية، فأعتبر نفسه خليفةً للمسلمين، وأميراً للمؤمنين، وأضاف لنفسه لقباً شرفياً هو النَّاصِــر لدين الله[6]؛ وهو أوَّل حــاكم في الأندلــس يَلــي الحُكــم بعد جده، في سنة **300**هـ/ **912**م[7].

---

(1)- انظر: Meouak(M):¨**Les structures politiques et administratives de l'état andalou à l'époque ummayade (milieu IIe/VIIIe siècle-fin Ive/Xe siècle)**¨, Thèse de Doctorat, Université Lumière, Lyon II, 1989, p.493.

(2)- قلعة ورد: لهذه القلعة عملٌ جليلٌ كثير الخير والجباية، والحالي منه قرية مغيلة، وهذه القلــعة تتبع كورة شذونة، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج.1، ص.236.

(3)- العُذري (ابن الدلائي): **نصوص عن الأندلس**،تح. عبد العزيز الأهواني،معهد الدراسات الإسلاميَّة بمدريد، 1965، ص.113.

(4)- العذري (ابن الدلائي): نفس المصدر السابق.

(5)- راجع أسماء الأمراء والخلفاء الأمويين بالأندلس في المُلحق رقم 2، ص.117.

(6)- الهاشمي (عبد المنعم): **الخلافة الأندلسيَّة**، دار ابن حزم، بيروت، 2007، ط.1، ص.400.

(7)- شامي (يحي): **عبد الرحمان الناصــر آخر الأمــراء وأوَّل الخلفاء الأمويين بالأندلـــس**، دار الفكر العربي، بيروت، 2005، ط.1، ص.91.

لقد برز الدورُ العسكري للبربرِ جليّاً، خلال هذا العهـد، فاستُخدِموا كجنـودٍ ومُرتزِقـة، أثناء حُكم النَّاصرِ وابنِه المستنصِر، ثمَّ بصورةٍ كبيرة، أثناء عهدِ الحِجابةِ العامريَّة؛ وكانت بلادُهم مَسرحاً وحاجِزاً للصِراع الأموي الفاطمي. أمّا سياسياً،فقد برزوا في بعضِ المناصبِ التي تقلَّدوها في السَّابق، فوضحَ مِنهم الحاجبُ والقاضي والوزيرُ والكاتب.

وازدادت هجرةُ البربر خـلال هذه الفترة[1]، –وقد دُرِسَ ذلك مِن قَبل، فلا مجـال لتكـرارِه–، وكانت المصلحةُ وحاجةُ السلطةِ الأمويَّة، هي الدافعُ الأوَّلُ والأخير، في جلبِ هذه العناصِر،لتخدمَ في جيش الدولة.

لقد نظرت سُلطة الخلافـة نحو البربر، بنظرة من وجدت فيهم ضـالَّتها، فأكثرت من عددهم في جيشِها، الذي كان أصلا، يضُّمُ الجُند الشَّامي في أغلبيتِه، والمنتشرِ في الكُور، بعد دخولِهم وتغلُّبِهم على الأندلس أيام بِلج بن بِشر، ثمَّ بعد دخـولِ عبد الرحمان الأوَّل، حيث بقيت السُلطـةُ الأمويَّـةُ تثِقُ فيهم، عكسَ اليَمانية والبربر، الذين كانوا يخرجون كثيراً عليها؛ فهذه السُلطـةُ تشتركُ معهم في نفس الأصول، ولها معهم نفس الطموحات.

كان الجيش الشَّامي، هو الممَثِّـلُ الشَّرعيُ للدولةِ الأمويَّة، وهو حـامي سُلطتِها الفعلية[2]، وما اعتماد الحُكامِ على غيرِهم، إلاَّ للظروفِ التي فُرِضَت عليهم، ومنها الصَراعُ الذي ظهـر بينهم وبين الفاطميين، والذي كان أساسُه خلافٌ مذهبيُ حاد[3]؛وفي ظـلّ هذا الصِّـراع على السَّاحـلِ المغربي للمَضيق، قام الأمويُّون بتقويةِ صلاتِهم مع القبائلَ البربريَّةِ القاطنةِ في هذه المنطقة، فعَمِلَ خلفاءُ بني أميّة، منذُ عهد النَّاصـرِ على احتواءِها، مِن أجلِ اتّقـاءِ خطـرِهم أوَّلاً، ولتحريضِـهم على العُبيديين وجعلِهم سدّاً منيعاً يُعيقُ تقدّمَهم نحو المضِيق[4].

وإلى جانب ذلك، استعملَ الأمويُّون وسائلَ أخرى لمقاومةِ المـدِّ الفاطمي، فاحتـلُّوا سبتة سنة

---

(1)- راجع مراحل هجرة البربر نحو الأندلس، والمرحلة الثالثة، على الأخصّ، ص.58 وما بعدها.
(2)- يقول غابريال مارتينيز، عن هذا الجيش، أنَّه كان يتكوَّن مِن المُنحدرين، مِن الشاميين الذين أنقذوا الأندلس، سنة 741م، فكانوا يُؤلِّفون ما يُعرَفُ بجيش الجُند، فظلّوا المُدافعين الأوفياء للحُكم الأموي؛على عكس البربر، الذين كانوا دائماً، مِن المُرتزِقة. انظر:
Martinez-Gros (G): op.cit, p.11.

(3)- لقبال(موسى):"**الصـراع بين الأمـويين والفاطـميين في المغـرب في القـرن 4هـ /10م**"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1982، ع.21، ص.34.
(4)- أحمد (نهلة شهاب): "**الأهمِّـيَّة السِّـياسيَّة والعسكـريَّة لمضيق جبل طـارق في تاريـخ المغـرب والأندلـس من الفتح حتى سقـوط الخلافـة 92-422هـ /710-1030م**"، مجلة الأحمديَّة، دار البحوث للدراسات الإسلاميَّة وإحياء التُراث، دبي، 1423/2002، ع.11، ص.263.

319هـ/931–932م، وقام الحَكَمُ المستنصرُ بإسقــاطِ جميع الوظــائفَ المخزنيَّةِ والمغــارِمَ على البربر، ودعَّمــوا ثورات بني يفرن ومغــراوة الزناتيين ضِــدَّ الفاطميين[1]. وبدورِهم كان الفاطميــون يربطــون الصِلات مع الثوارِ المنتفضِين في أطرافِ الخلافةِ الأمويَّة[2].

ولعبت زناتة، بفروعـــها المختلفة، دوراً كبيراً في هذا الصِّــراع، ونالَها كثيرٌ مِن وقعِــه فدفعت فيه الثمنَ الغالي، وانقسَمَت على أبناءِها بين طرفين[3].

وفي عهد الحاجب المنصور، استخدم هذا العُنصر[4] لدعمِ سُلطتِه ومركزِه، ضدَّ العرب،واستطاع بواسطتِه حُكــم البلادِ وبناءِ ارستقراطيَّةٍ جديدة[5]. وكان هدفُــه تحطيمَ الإطــارِ القَبَلي العشـــائري التقليدي للجُندِ العربي الأندلــسي[6]؛ فكان قوامُها هؤلاء الجنود، إلى جــانبِ الصقــالبة؛ فقد كان يخشى الجيشَ الذي كوَّنَتهُ الخلافةُ، والذي كان يُمثِّلُ الشَرعيَّة [7].

كان هذا الدورُ الذي قام به البربر، في الجانبِ العسكري، أمّا في الجانبِ السِّياسي، فكــان لهم أيضاً نصيبٌ وإسهام؛ ومنصبُ الحجابةِ كان أعلاها مَرتبةً، وامتــازَ فيه جعفــرُ المصــحفي[8]؛ الذي اشتغل بالكتابــةِ أيام النَّاصــر، وفي تأديبِ ابنِه الحَكَم، قبل أن يتولّى جزيــرة ميورقة[9]، ثمَّ الحجــابةَ

(1)- لقبال (موسى): **"الصراع بين الأمويين والفاطميين"**، ص.37.

(2)- لقبال (موسى): نفسه، ص.42.

(3)- العتيبي (فوزي): **فقهاء الأندلس والمشروع العامري (367-399هـ /978-1009م)**، دار كنــوز إشبيليا، الرياض، 2010، ط.1، ص.73 ؛ للتعرُّف أكثر على هذا الصـراع والانقسام الذي حصل لقبيلة زناتة بصورةٍ خاصة، يُمكن اللجوء إلى دراسة: بن عميرة(محمد): **دور زناتة في الحركة المذهبيَّة بالمغرب الإسلامي**، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص.181 وما بعدها.

(4)- اقتضت سياسة المنصور، ورغبته في تأييد مركزه، أن يُضيف إلى من كان يُؤازره من المُولَّدين والصقالبة، عنصراً جديداً عظيم الخطر، شديد التأييد له، بالنثيا (أ.ج): **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، 1955، ص ص.11-12.

(5)- الراشد (عبد الجليل): **"الحالة السِّياسية في الأندلـــس في عهد دُويلات الطوائف"**، مجلة المورد العراقية، بغداد، 1974، ع.12، ص.55.

(6)- غيشار (بيار): المرجع السابق، ص.977

(7)- يقول غابريال مارتينيز: "إنَّ المنصور الذي حَكَم البلاد، حُكماً مُطلقاً، من سنة 978م، حتى وفاته، سنة 1002م، قد اعتمد على المُرتزقة، ومنهم البربر، والذين كانوا يُجنَّدون، من عشائر كاملة، من أجل تقوية الخلافة، ولتعويض وزن الجُند الشاميين، الذي كان يخشى شرعيته". انظر: Martinez-Gros (G): op.cit,p.14. ؛ وحسب محمد موَّاق، فإنَّ هؤلاء الأفراد المُجنَّدين،كانوا يتلقون راتباً عسكرياً، بالاتِّفاق، نظير مُشاركتهم في أيِّ حملة عسكريَّة، يقومون بها. انظر: Meouak (M) : op.cit, p.490.

(8)- جعفر بن عثمان بن نصر بن قويّ بن عبد الله بن كُسيلة، من برابر بلنسية، ينتمي إلى قيس حلفاً، الحميدي: المصدر السابق، ص.164؛ ابن الأبَّار: المصدر السابق، ج.1، ص.257 ومابعدها.

(9)- مَيورقة: جزيرة في البحر الزُقاق تُسامِتُها من القبلة بجاية من برّ العدوة، بينها ثلاثة مَجار، ومن الجــوف بَرشلونة من بلاد أراغون، وبينهما مَجـرى واحد، ومن الشــرق إحـدى جزيرتيها مِنُرقة وشرقها سَرذانِيَة،فتحها المسلمون،سنة 290هـ،إلى أن تغلَّب عليها العدو البَرشلوني سنة 508هـ،=

أيام المستنصر، إلى جانب الكتابة والشُرطة، وظلّ في منصبه إلى أيام هشام المؤيد، وحاجبه ابن أبي عامر[1]، إلى أن عزله هذا الأخير[2].

لقد جلب جعفر المصحفي، عداوة البيوتات الكُبرى بالأندلس، بعد استحكامه وسيطرته على الوزارات، فعيَّن ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان، في خُطَّة الخيل، ثمَّ أصبح وزيراً، وولَّى بَنِيه محمدا وعثمان وعبد الرحمان، وأخاه سعيدا وابن أخيه محمد، الشُرطة العُليا والوسطى، وجعل على المدينة أحد أبنائه[3]. وبهذا، فهو قد بلغ مبلغاً كبيراً في الدولة، أدى التآمر والحسد إلى الانقلاب عليه.

إذن، لم تكن الحجابة، هي المنصب العالي الوحيد، الذي تولاّه البربر، خلال هذا العهد، فقد كان لهم نصيبٌ في القضاء أيضاً، فكان أشهر مَن تقلَّده، مُنذر بن سعيد البَلُّوطي[4]، فتولاّه في عهد النَّاصر إلى أن تُوفي في سنة **355**هـ/ **965**م، في عهد الحَكَم؛ فكان مجموعُ سنواتِ خدمتِه ستة عشر سنة[5].

ولقد بلغ القاضي ابن سعيد مَبلغاً كبيراً لدى الخلافة، فكان النَّاصر يَرضَخُ لحُكمِه[6]، حتَّى كان يقومُ بتوبيخِه في خُطبةِ الجُمعة، بعد بنائِه للزهراء[7]، ولا يفعلُ له الخليفةُ شيئاً[8].

وكما سبقَ وأشرنا إليه في عهدِ الإمارة، فقد وُجِدَ بيتٌ بربري، قد نال حُظوةً ومكانةً رفيعة، عند الحُكام الأمويِّين، وهو بيت الزَجاجِلة، فاشتُهِرَّ محمد بن عبد الله، الذي ولاَّه النَّاصر الوزارة، في

= = الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.188.

(1)- ابن الأبَّار: المصدر السابق، ج.1، ص.257.

(2)- انظر ما وقع للمصحفي من أمور، مع ابن أبي عامر في:المقري: المصدر السابق،ج.3، ص.90 ؛ وقد استمرَّت النكبة عليه، فمرَّةً كان يُحبس، ومرَّةً يُحتجز في داره،ومرَّةً يُحمل مع ابن أبي عامر في غزواته تعنيتاً له وانتقاماً منه، ثمَّ اعتُقِل في المطبق بالزهراء، إلى أن وافاه الأجل، وقيل أنَّ المنصور دسَّ له السُم، وقيل قُتِل خنقاً. انظر: يونس(محمد محمود):"**الحاجب المصحفي: حياتُــه، شعرُه-دراسة أدبيَّة تاريخيَّة-**،مجلة آداب المُستنصريَّة،البصرة،1985،ع.10،ص.171وما بعدها.

(3)- ابن الأبَّار: نفسه.

(4)- هو منذر بن سعيد بن عبد الملك بن عبد الرحمان بن قاسم بن عبد الله البلُّوطي، ثمَّ الكزني، يُنسب إلى فخذ في البربر يُقال لهم كزنة، انظر ترجمته في:ابن الفرضي: المصدر السابق،ج.2،ص ص. 142-143؛ يُنسبُ إلى فحص البلوط بقرطبة، الحميدي: المصدر السابق، ص ص.315-316 ؛ الفتح ابن خاقان: **مطمح الأنفس ومسرح التأنُّس في مُلَح أهل الأندلس**،تح.هدى شوكة بهنام،مجلة المورد العراقيَّة، 1981، م.10، ع.3، ص.322 وما بعدها.

(5)- الفتح ابن خاقان: نفس المصدر السابق.

(6)- الخلف (سالم بن عبد الله): المرجع السابق، ج.2، ص.634.

(7)- الزهراء: مدينة في غربي قرطبة، بناها الناصر، بينها وبين قرطبة خمسة أميال، الحميري: نفسه، ص.95.

(8)- مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص ص.207-208 ؛ الفتح ابن خاقان: نفسه.

سنة **314**هـ/**926**م، ثمَّ خُطَـة الخيـل[1]، وعُبيد الله بن عبد الله الذي ولاَّه المواريـث سنـة **315**هـ/ **927**م[2]. وإلى جانب ذلك؛ كان لبني الخرّوبي[3]، -وهو بيتٌ آخر مِن بيوتات البربر-، حـظٌ في بعض المناصب، فاشتهر مِنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله، الذي تولَّى خُطَّة العرض[4].

إنَّ أهمَّ ما يُمكن الخروجُ به، من هذا الفصـل الثاني، والمتعلِّق بمشاركة البربر في الحيـاة العسكريَّة والسِّياسيَّة،ودورهِم في التطوُّر السِّياسي للدولة الناشئةِ بها،هو طغيانُ الأدوارِ القتاليَّة،فكانوا دوماً في الصفوفِ الأولى، للجيوشِ المحاربة. وقد تمَّ الاستفـادةُ مِن خبرتهم، لتمرُّسِهم الشـديد؛ فعمـلوا إلى جـانبِ الولاةِ في مواصـلةِ الفتوحات، وشاركـوا بجهدٍ كبيرٍ، في نشأةِ وتأسيسِ الدولـةِ الأمويَّة، وفي عُبورِ عبد الرحمان الدَّاخل، قبل ذلك، وتغلُّبِه على البلاد.

وعند تولِّي عبد الرحمان النَّاصر الحُكم، ثمَّ إعلانه الخلافة، فيما بعد،كانوا إلى جانبه،في صـراعِه ضدَّ الفاطميين، ونالهم من ذلك، أكبرُ الضرر في العُدوتين؛ ثمَّ إلى جانب ابنه الحَكَم؛ ثمَّ الحـاجب ابن أبي عامر، الذي سيعرف عهدُه، أكبر توافدٍ لهم، فعملوا في جيشه كمُرتزِقة.

ومُشاركة البربر في النشاطات العسكريَّة ،لم تُغنيهم عن لعـب دورهم في الحـياة السِّياسيَّة، فقد تولُّوا مناصـب وخُطـطٍ سياسيَّة في الدولـة الأمويَّة، والتي رُغم قِلَّتها، ونُدرة المصـادر التي تتحدَّث عنها، كانت لها تأثيرات خطيرة، في اتِّخاذ القرارات، وكذلك على النتائـج التي أتبعتها، والتي تكـون في كثير مِن الأحيـان، إيجابيةً على السُلطة. أمَّا الجوانـب السلبيَّة للأدوار التي تُنسبُ لهم، فسنقـوم بدراستها في الفصل الثالث، مِن هذا البحث.

** **

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.193؛ صاحب خُطَّة الخيل، هو قائد الفرسان أو الخيَّالة، طه (عبد الواحد ذنون): "**تنظيمات الجيش في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة في الأندلس**"، ص.14.

(2)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.195.

(3)- بنو الخرُّوبي هم من زناتة، وأصلهم من لقنت، ابن حزم الأندلسي: **الجمهرة**، ص.464.

(4)- ابن عذاري: نفسه ؛ ويتولَّى صاحب هذه الخطة، عرض الجند بين يدي الأمير، العبَّادي (أحمد مختار): نفسه.

الفصـــلُ الثَّالـــث

انتفاضاتُ وثوراتُ البربرِ بالأندلُسِ وتأثيرُها على الحيـاة السِّياسيَّةِ للدولة

المَّبحث الأوّل : انتفاضاتُ وثوراتُ البربرِ بالأندلسِ ودورُهم في المعارضة.

المَّبحث الثَّاني : دورُ البـربـرِ في فِتــنةِ القـرن **5**هـ /**11**م، وعلاقتُهم بسقـوط الخلافةِ الأمويَّة.

سنُناقشُ خلال هذا الفصل؛ مِن دراستِنا المتعلِّقةِ بالأدوارِ العسكريَّةِ والسِّياسيَّةِ التي قام بها البربرُ ببلادِ الأندلسِ منذ الفتحِ الإسلامي، حتَّى سقوطِ الخلافةِ الأمويَّةِ بها؛ ما شـاع بكونِه مِن الجـوانبَ السلبيَّة مِن هذه الأعمـال، والمتمثِّلةِ في الانتفاضاتِ والثورات، والتي سجلتها المصـادر، وقامَ بعضٌ مِن المؤرخين المحدَثين بقراءتِها وِفق مَرجعيات مُختلفة، قد تكون مُبـالغاً فيها إلى حـدٍ كبير. فقيل أنَّ هذه الأعمالَ الخطيرة، التي قام بها هؤلاء الأفراد، سببُها التعبير عن رفضِهم لغياب العدالـة في توزيعِ الأراضي، كما قيل أنَّها راجعةٌ إلى إبعادهم عن الحُكم؛ وذكروا أنَّها ثوراتٌ خارجيَّـةٌ مُتطرِّفة؛ وأخيـراً قالوا أنَّهم كانوا السببَ في إسقاطِ الخلافِة الأمويَّة،لأنَّهم كانوا،-في مُعظمِهم-، أفـراداً جديدين على البـلاد، ولذلك، فهُم لم يندمجــوا في المجتمـع الأندلـسي. فهل يُمكـن أن تكـون كُلُّ هـذه الآراءِ صحيحة؟، أم فيها كثيرٌ مِن التجنِّي، وغيابُ حُجِّية الدفاع المقنِع؟.

المَّبحث الأوَّل : انتفاضاتُ وثوراتُ البربرِ بالأندلسِ ودورُهم في المُعارضة

لقد ابتدأ التَّأريخُ للانتفاضات والثورات، التي قام البربر ببلاد الأندلس، ابتداءً مِن ثـورة **123**هـ/ **741-742**م؛ حيث اعتُبِرت كمَرجعيـةٍ أساسيَّةٍ، لأيِّ حركـة قد يقومون بها مُستقبلاً؛ فالمصــادر لم تَذكُر خروجا، لهؤلاء العناصر، عن السُلطة المركزيَّة، قبل هذا التَّاريخ.

إنَّ نظرةً مُتفحِّصةً للحولياتِ الإسلاميَّة، مثل تاريخ ابن عذاري، تجعلُنا نقفُ على مجمـوعةٍ مِن الانتفاضاتِ والثورات البربريَّة؛-والتي لا يسعُ المجالُ لتتبُّعِها كلِّها في هذه الرسالة، وربَّما يستلزمُ الأمـرُ إفرادَها في دراسةٍ خاصة-؛والتي،-حتما-،تختلفُ الظروفُ والأسبابُ والعواملُ في قيامِها ونتائجِها.

ولقد درجَ الباحثون على مُعالجةِ هذه الأحداث،حسب تسلسُلِها الزمني[1]؛ مثلما قام به حمدي حُسين، في كتابِه الصغير[2]؛ حيث سَرَدَ ما أتيح له معرفتُه مِنها، ووصفَ أحــداثَها كما جاءت في المصادر، دون أن يبذلَ جهداً في تتبُّعِ، أو إبرازِ ظروفِ وأسبابِ وعواملَ كلِّ واحـدة مِنها، لفـهمِ نتائجِها المترتِّبة.

وإنَّنا سنحاولُ في هذا الجزءِ مِن الدراسة، فهمَ ومعرفةَ ظروفِ وأسبابِ بعضِ هذه الانتفاضــاتِ أو الثورات، وذلك بناءً على ما أتيحَ لنا مِن وقتٍ وجُهد، لأنَّ العملَ يَستَلزِمُ الكثيرَ مِنهما.

---

(1)- الصوفي (خالد): المرجع السابق، ص.58.
(2)- انظر: محتوى الكتاب السابق ذكره في هذه الدراسة: **ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية**.

أوَّلاً : انتفاضةُ البربرِ ببلادِ المغربِ والأندلس بين 122 و124 هـ/739 و741م

كانت انتفاضةُ، أو ثورةُ البربر، خلال سنة **123**هـ/**740-741**م، أولى الحركاتِ الاحتجاجيَّةِ لهؤلاءِ السكان، تُجاهَ أوضاعٍ كانت سائدة، والتي لم تَنل رضاهُم، فأدَّت إلى الانتفاضِ عليها؛ رغبة في تغييرها، أو طلباً لحقوق مُختلفة. وقد أعطى كثيرٌ مِن المؤرخين، لهذه الحركةِ صفةَ الثورة، وصبغوها بصِبغةِ الخارجيَّة. فهل كانت حقًّا كذلك؟ أم ظُلِموا معها؟.

إنَّنا لو تتبعنا زمنَ وقوعِ هذه الحركة، سنجدُها مُتزامنة مع ما وقع في بلاد المغرب، عهدَ الوالي عُبيد الله بن الحبحاب(1)، الذي يقول عنه ابن عذاري، إنَّه لم يدع ببلادِ المغربِ قبيلةً إلاَ داخلها وأصاب مِن السَبي أمراً عظيماً(2)، ثمَّ إنَّ عاملَه على طنجة وما والاها أساء السيرة، وتعدَّى في الصَدقاتِ والعُشُر، وأراد تخميسَ البربر، فكان عملُهُ سبباً في نَقضِهم، ووقوعِ الفِتن(3)، فقتلوه سنة **122**هـ/**739**م(4).

كان هذا بالنسبةِ لبلادِ المغرب، أمَّا في الأندلس، فقد تولاَّها واليان تابعان لإفريقية، هما عبد الملك بن قطن، -على فترتين-، وعُقبة بن الحجَّاج السَلولي(5)، المعيَّن مِن قِبَل عُبيد الله، والي المغرب. وكانت هذه الفترة، فترةُ تغلُّبِ القيسيَّةِ على بلادِ العُدوتين؛ عُرِفَ عن هذا الفرعِ مِن العرب، تَعصُّبُهُ الشديد لبني قومِه، فحسب حسين مُؤنس، فإنَّهم لم يكادوا يُقيمون وزناً لغيرهم(6). وكذلك كان عُبيد الله بن الحبحاب، ووُلاتُه مِن القَيسيَّة، وبلغ استخفافُهم بالبربر، أن اعتبروهم فَيْئاً للمسلمين، مَن أسْلَم مِنهم، ومَن لم يُسلم، مَن استأمن مِنهم،ومَن لم يَستأمِن، فعومِلوا كالعَبيد(7).

(1)- وُلِيَّ عبد الله أو عُبيد الله بن الحبحاب من قِبل الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 116هـ/734م، بعد عزل الوالي السَّابق عُبيدة بن عبد الرحمان عنها،وكان يتولَّى ولاية مِصر قبل مَقدمِه إلى بلاد المغرب، ابن عبد الحَكَم: المصدر السابق،ص.93 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق،ج.1، ص.51 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.241.

(2)- ابن عذاري: نفسه ؛ ابن خلدون : نفسه.

(3)- ابن عذاري: نفسه، ص.52.

(4)- كان اسم هذا الوالي عُمر بن عبد الله المرادي، نفسه.

(5)- كان والد عُقبة قد اعتق والد عبيد الله بن الحبحاب، من قبل، فكان ذلك سبب تولية ابن الحجَّاج على الأندلس، من قِبَل ابن الحبحاب، ابن عذاري: نفسه، وج.2، ص.29.

(6)- **فجر الأندلس**، ص.222.

(7)- نفسه، ص.223.

ليس مِن العجــب، أن يكون ذلك ديدنُ القيسيَّة، مِن زمـنٍ أسبق، فقد سَبـَقَ ابن الحبحاب، والٍ عُرِفَ تَعَسُّفُهُ الكبير بالبربر، واسمه يزيـد بن أبي مُسلِم الثقفي؛ وكان مولىً للحَجـَّـاج بن يوسف الثقفي؛ فأراد تطبيق سياسة مولاه في بلاد المغرب، ففكَّر في وشم أيدي البربر، ليعرف حَرَسَــــه مِن غيرِهم، فنَقَمَ عليه رجال الحرس، وتآمروا على قتلِه[1].

في ظلِّ هذه الظروف، التي سبقت انتفاضة البربر بالأندلـس، سنة **123**هـ/ **740**م، ازداد حِنــقُ هؤلاء السُكان على العرب، والقيسيَّة منهم، -بصورةٍ خاصة-؛ وبهذه الأسباب، صـارت الأجــواء مُهيَّأةً لمِثلِ هذا الانتفاض، مِن أجل تغيير أوضاعٍ تبدو، بالنسبة لهم، أكثر عُنصـريَّة. وكان إعــلان هذا الموقف مِن طنجة، سنة **122**هـ/**739**م، بعد فشـــل وفد البربر، في إيصـــال شكـواهم إلى آذانِ الخليفةِ هشام بدمشق[2]. فخرج البربرُ كلُّهم مع قائدِهم مَيسرة المِدغري،أو المدعو بميسرة الحقير[3]، فقتلوا عامِلَي ابن الحبحاب، عُمر المرادي على طنجة، وإسماعيل بن عُبيد الله، على السوس[4].

وتالى شأنُها بعد الانتصــار على جيشِ الخلافـةِ في معركـة وادي شلف، ثمَّ الأشـراف، التي قُتِـل فيها كبار فرسان العربِ وشخصياتُها[5]، مِن قبائلَ المِضَريَّة (القيسيَّة)-خاصة-[6].

وقد وصل صدى الانتفاضة البربريَّة، على الولاةِ العربِ بالمغرب، إلى بلادِ الأندلس، وهذا للصِـلةِ القويَّة، التي تربط بين البَلَدَين، فالأندلـس امتدادٌ طبيعي وبشري للمغـرب، مِن جـهة، ولأنَّ قرطبـة تَتبَع القيروان مِن الناحيةِ السِّياسيَّةِ والإداريَّةِ مِن جهةٍ أخرى[7].

وبالعودةِ للظروفِ التي كانت سائدةً في بلادِ الأندلس، في تلك الفترة، يبدو أنَّها كانت مُشابهةً لما كان سائـداً في بلادِ المغـرب، وإلاَّ ما كان لنفــسِ الأحـداث، أن تنتقـل بهذه الصـورةِ الخطيـرةِ والغريبة. فقد تصاعدت هذه الانتفاضةُ في هذه البلاد،مِثلها مِثل بلادِ المغرب، فكان الأمرُ عصيباً،

---

(1)- مجَّاني (بوبة): **أثر العرب اليمنيَّة في تاريـخ بلاد المغرب في القـرون الثلاثة الأولى للهجرة**، دار بهاء الدين-عالم الكتب الحديث، الجزائر-الأردن، 2009، ط.1، ص.54.

(2)- مجَّاني (بوبة): نفس المرجع السابق، ص.59.

(3)- يُطلق عليه ابن عبد الحَكَم تسمية مَيسرة الفقير، المصدر السابق،ص.95 ؛ ويسمِّيه ابن القوطية بالحَقير، المصدر السابق،ص.28 ؛ ويُسمِّيه صاحب **أخبار مجموعة** بالمَحقور، ص.109.

(4)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.52.

(5)- نفسه، ص ص.53-54.

(6)- يقول حسين مؤنس أنَّ ذلك الأمر، جعل الخليفة هشام يغضـب غضبةً مُضـرية لفظاً ومَعنى، **فجر الأندلس**، ص.227.

(7)- فيلالي (عبد العزيز): **المظاهر الكبرى في عصر الولاة**، ص.107.

لدرجةِ تهديدِ وجودِ المسلمين بهذه الأرض. وقد تشابهــت هاتان الحركتان في كثيرٍ مِن الأمـــور، في انتصارِهما بداية الأمر، وتصاعدِ خطرِهما ثانياً، ثمَّ في الهزيمةِ النكراء التي أتبعت ذلك، على يدِ جُنــد الشاميين (القيسيَّة)، بقيـادة بِلـج بن بِشـر، في العُــدوة الشماليَّـة، وعلى يـد حنظلـة بن صفوان الكلبي[1]، في العُدوة الجنوبيَّة، وكان ذلك في حدود **124**هـ/**742**م.

لقد كتـب الكثـيرُ مِن المؤرخـين العـرب والمستشرقــين، عن هاتين الحركتـين في بــلاد المغـرب والأندلس، دون الوصولِ إلى تقديمِ أسبابها الحقيقيَّة. وقد اعتبر حسين مؤنس، غضــبَ البربر، سببُهُ استبدادُ العرب بأمر الحُكم، واعتبارُهم (أي البربر) شعباً محكـوماً، لا ينبغي أن يُترك له نصيبٌ فيه، أو في إدارة الأمـور؛ وتعدَّى الأمــر إلى ســوءِ المعامـلة والإهانة، فكان العـرب يوقعـــون بهم أقسى العقوبات لأتفه الأسباب، وكانوا إذا جَرَأوا على الشكوى، كان عقابهم أشدُّ وأقسى[2].

ويظهر جليًّا أن أكثر العربِ ظُلماً للبربر، كانــوا مِن الفـرعِ القيسي، ولا يُعـرَفُ لذلك سبـبٌ؛ وكان عرب اليمانيَّة، الفرعُ الذي يَلقى التأييدَ مِن السكانِ المغاربــة، ولذلك سيقِفون معهم في كثيرٍ مِن الأوقات، لمعارضـةِ الولاة، ثمَّ بعد دخـولِ عبد الرحمـان الدَّاخـل، وتأسيسِــه للدولةِ الأمويَّة في الأندلس؛ فهل كان ذلك ناتجٌ عن أسبابٍ نفسيَّة، أم أسبابٍ لها علاقةٌ بأصولهم؟.

أمَّا رأي المستشرقين، فكان تفسيرُهم أكثر خطراً؛ فيعتبر رينهارت دوزي أنَّ خــروجَ البربر، على الحُكامِ العـرب، نتيجةً لانتفاضِهم على سوءِ توزيــعِ الأراضي، واستِئثارِهم بأجــودِها[3]، فكان هذا الرأي خالياً مِن أيِّ دليلٍ دامغ.

والنظرةُ الثالثةُ التي فسَّــرت هذه الانتفاضـة البربريَّة، في كلٍّ مِن المغـربِ والأندلـس، جاءت مِن طـرف كلٍّ مِن ماسكــراي **(Masqueray)**وغوتييه **(Gautier)**، اللذان يعتبـران أنَّ هذه الأحــداث ثوراتٌ خارجيَّةٌ على الحُكـم العربي، تُشبــهُ الثورات الخارجيَّــة، في المغــرب القديم؛ والمعروفــة بالثورة الدوناتيَّة، التي كانت حركةً شعبيَّةً ضِدَّ التدخُّل الروماني في أمور دينهم[4].

(1)- رُغم أنَّ حنظلة بن صفوان، ومن قبله أخاه بِشر؛ الذي كان والياً على المغرب بين 103- 109هـ/ 722-727م؛كلبيان،إلاَّ أنَّهما كانا يُنفِّذان أوامر الخلافة في استصفاء،مجاني(بوبة):المرجع السابق، ص.55و59؛ يقول حسين مؤنس عن صفوان أنَّه كان شامياً متعصِّباً، **معالم التاريخ..**، ص.75.

(2)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.253

(3)- لقد تمَّت معالجة هذا الرأي، في المبحث الثَّالث، مِن الفصل الثَّاني، ص.64 وما بعدها.

(4)- يقول أبو عمران الشيخ: "إنَّ الحركة الدوناتيَّة، وُلِدت فعلياً، سنة 313م، بعد اضطهاد الإمبراطور الروماني دقليانوس،للمسيحيَّة؛ مِمَّا دفع الكثير مِن المسيحيين، عن التخلِّي عن دينهم، وتسليم كتبهم المُقدَّسة لعمال الإمبراطوريَّة لكن قِسماً مِن مسيحيي شمال إفريقيا،رفضوا الاعتراف بسُلطة هؤلاء الخائنين، فأعلنوا، بقيادة أسقف قرطاجة دونات،أنَّ لا شيء يجمع بين الكنيسة وهذه الإمبراطوريَّة؛ فقرَّروا إعادة تعميد الكاثوليك،واعتبروا الكنيسة هي السلطة الوحيدة،التي لا جدال حولها وأنَّها ==

وقد برَّر هذان الشخصان رأيهما، بكون هاتين الحركتين تتشابهـــان في أمرين: عدمِ اختــلافِ الخارجين المسلمين في أمرٍ مِن أمورِ العقيدة، مِثلهم مِثل الدوناتيين، فالخــلافُ كان حول شخصٍ، والتعصُّبِ له تعصُّباً أعمى[1].

ويقول بعض المؤرخين، أنَّ هذه الأحداث،كانت استمراراً لسلسلةٍ مِن الثورات، ابتداءً مِن عهد مونوسة، في سنة **730**م (**112**هـ)[2]؛ رُغم أنَّ المصادر العربيَّة، لم تُشِر إلى ذلك أبداً.

إنَّه، وإن تمثَّل انتفاض البربر، في كونِه حركة دينيَّة خارجيَّة، مثلما أشارت إليه المصادر[3]،فالأمرُ لا يصِل إلى تشبيهها بالدوناتيَّة، فكلُّ حركةٍ كان لها ظروفُها وأسبابُها الخاصة،وقد يكون البربر وقعوا ضحيَّةَ الصراعِ القَبَلي الذي ظهر بين القيسيَّة واليمنيَّة، ودفعوا هُم ثمَنَه.

لقد بدأت حركة البربر الاحتجاجيَّة، في بلادِ المغرب ثمَّ في بلاد الأندلس،رغبةً في تغييرِ أوضاع ظالمة كانت سائدة؛ وانتهت بكارثةٍ كبيرةٍ عليهم، فلم ترتــقِ انتفاضتُهم إلى مفهــومِ الثورةِ الكامــلة، لأنَّها لم تنتصر، ولم تكن نتيجتُها مِثلما يرغبون ويُحبِّذون،ولم تَقُم بتغيير الأوضاع تغييراً جِذرِياً؛ وهذه الأمور تُشكِّل كما هو معلوم،المفهوم الكامل للثورة؛لكن هذا لا ينفي ترتُّبَ بعض النتائـج الإيجابيَّة لها، فهي قد مَكَّنتهم مِن إبداء رأيهِم، ورفضِهم متى شاءوا، -فيما بعد-، وربَّما كان ذلك بعضاً مِن روحــهم الديمقراطية التي تأبى على الدوام، الخضــوع والاستسلام لمشيئة العــرب[4]؛ فكان ذلك إذن دَيدَنُهم، فيما بعد، فلم ينقطعوا، إلى جـــانب اليَمَانيَّة، في مُعارضــةِ الحُـكمِ الأموي، والانقضـــاضِ عليه، متى وجدوا إلى ذلك سبيلاً[5].

إنَّ العنصريَّة والعصبيَّة القَبَليَّة لم تتوقفا، منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلــس، وقد قام بها بعضٌ مِن العُنصُرَين العَرِبيَيْن، وكذلك مِن البربر؛ ثمَّ نأتي في وقتنا الحــالي، ونقول أنَّ الاستعمـــارَ

== لن تتصالح مع هذه الوثنيَّة. انظر: Bouamrane Chikh :¨**Saint Augustain et la résistance populaire des Donatistes**¨, in :Revue des sciences sociales, O.N.R.S, Alger,1979,N°1,p.92 ; du même auteur :**Questions d'histoire et d'actualité**, Thala éditions, Alger, 2007, p.7.

(1)- مؤنس (حسين): **فجر الأندلس**، ص.247.

(2)- انظر: Busto (G.G) et Cravito (E.G) : op.cit, p.28 et 354.

(3)- يصف ابن عذاري، ميسرة المدغري،برأس الصُفريَّة،أمير الغرب، المصدر السابق،ج.1، ص.5.

(4)- بروكلمان (كارل): **تاريخ الشعوب الإسلاميَّة**، نقله إلى العربيَّة. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص.316.

(5)- بروكلمان (كارل): نفس المرجع السابق، ص.276.

وَحدَه هو سببُها، وهو قد وجـد أرضاً خِصـبة لذلك. فهذا مُؤرخ مُعاصر يقـول أنَّ العنصـر العربي كان يمتلك عوامل متعدِّدة، تجعله العنصرَ الأقوى، فهو الحـامِلُ للدين والمبشِّرُ به، والمالكُ للفِقـه، وهو إلى ذلك يتوفَّرُ على كثير مِن الشُروط التي تجعلُ القِيادةَ في يدِه، وليس في يدِ البربر، ولا في يدِ الموَلَّدين[1]؛ وكأنَّه بذلك يُبرِّرُ العملَ الذي قامت به بعضُ هذه العناصرُ العربيَّة تُجاهَ غيرِها.

ثانياً : انتفاضات وتمرُّدات أخرى للبربر بالأندلس

1- حركة شِقنا بن عبد الواحد المِكناسي (151-160هـ/768-776م)

عرفت الأندلس بعد القضاء على انتفاضة البربر، سنة**123**هـ/**741**م،أشكالاً أخرى مِن الحركات التمرُّديَّة لهؤلاء العناصر؛ وكان الحُكمُ عليها، مِن طرف المصـادر التَّاريخيَّة،-دوماً-، قاسيـاً وسلبيـاً، وبما أنَّ هذه الكتابات القديمـة،كانت مُواليـة للسُلطـةِ، فهي تعتبرُ أيَّ حـركةٍ سياسيَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ ثائرة، هي حركةٌ خارجةٌ عن السُلطةِ المركزيَّة؛ ولذلك صَعُبَ فَهمُها، أو إنصافُها؛ وإنَّ خـروجُ البربر عن الحُكم الأموي، كان مِن ضِمن هذا الاتِّجاه، طيلة عهدِ هذه الدولة، وبصـورةٍ خاصة، في عهـدِ الإمارةِ مِنها.

وامتازت فترةُ عبد الرحمـان الأوَّل، بكثرة الخارجين عنه؛ فهو كان يعمل على بسـطِ سُلطتِه في هذه البلاد، التي دخلَها، وابتدأ بها دولتَه، وأخذ يُحاربُ مُناوئيه، مِن العربِ والبربر.

فمِن الثائرين على هذه الدولة الجديدة، واحـدٌ مِن البربر الذي اختُلِف حـول تسميتِه، وحـول سببِ خروجِه؛ وسُمِّيت حركتُه بثورةِ شِقنا بن عبد الواحـد؛ الذي يُعتبر عملُه مِن أخطـر ما عرفتـه السُلطة الأمويَّة بالأندلس؛ حيث استمرَّت حركته لحوالي عقدٍ مِن الزمن.

إنَّ الشيء الذي أجمعت حوله بعض المصادر التاريخيَّة، تُجـاه هذه الشخصيَّة،كونـه كان مُعلِّمَ قرآن للصبيان، وأنَّه أدَّعـى الفاطـميَّة، أي أنَّه مِن أبنـاء فاطـمةَ الزهـراء[2]، وكان أصلُه مِن بربر مكناسة[3]، وكان اسمه شِقنا بن عبد الواحد، أو تاشفين بن عبد الواحد [4]، وقد جمع مِن الحماس

(1)- شقور (عبد السلام بن المُختار): **"البيوتـات الأندلـسيَّة بحث في المُكوِّنات والضوابط والنتائج"**، الأندلس قرون مِن التقلُّبات والعَطاءات،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة،الرياض،1417/ 1996، ط.1، ق.1، ص.257.

(2)- مجهول: **أخبـار مجموعة**، ص.153 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.5،ص.200 ؛ ابن عذاري: ج.2،ص.54 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.157.

(3)- ابن عذاري: نفسه ؛ ابن خلدون: نفسه.

(4)- مجهول: **تاريخ الأندلس**،ص.166 (قام بوباية بتصحيحه إلى شِقنا) ؛ مجهول: **ذكـر بلاد الأندلـس**، ص.115.

الدِّيني الكثير[1]. وقد ابتدأ خروج هذا الثائر، على حُكم عبد الرحمان، سنة**151**هـ/ **768**م، حسب ابن الأثير[2]؛ أمَّا ابن عذاري، فيقول أنَّ خروجَــه،كان في سنة **152**هـ/**769**م[3]. وكان أوَّلُ عمــلٍ خطير قام به، هو قتلُه لأحدِ عمال الدَّاخل، والذي قد يكــون عامـل ماردة، أو شنتبرية[4]، أو قد يكون فعلَ ذلك مع كِلَيهما.

والعمل الذي قام به هذا الثائر،جعل الأمير عبد الرحمان، يخرج له بنفسه مِن قرطبة[5]، ممَّا يُبَيِّنُ خطرَه الكبير، واستفحـالَ أمره. والشيء الذي تـرك الأمير الأموي؛ رُغـم قوتـه، ودَحـرِه للكثير مِن المناوئين له؛ يعجِـزُ عن إنهــاء هذه الحـركة سريعاً، هو اتِّخـاذ هذا الثائر، لخُطـَّة حرب العصابات، واستنزاف القوات المحاربة له. وحسب ابن عذاري، فقد كان يعتصمُ بالجبـال عند كلِّ هجــوم من جنود الدَّاخل، فيتعلَّق بشواهقِها[6].

وهذا الأمر، قد جعل هذه الحركة تطول لفترةٍ كبيرة؛ فخرجت إليها قوات الحُكم الأموي،خلال سنوات **152**و**153**و**155**و**159**هـ، تحت قيادة الأمير نفسِه، وفي غيرِها تحت إمرةِ أحدِ قُوادِه،ومِنهم بدرٌ مولاه[7]، أو تمام بن علقمة، وأبو عثمان عُبيد الله بن عثمان[8].

ولم تستطع الإمارةُ القضــاءَ على هذه الثورة، إلاَّ بعد مرور عقــدٍ كامـلٍ، مِن اندلاعِها، بشرق البلاد، فعمَّت مناطقَ كثيرة مِن شنتبرية وماردة، وتمكَّنت السُلطة الأمويَّة مِن إخمادِها، سنة **160**هـ /**776**م[9]، قُرب قرية العبور أو العيون،بشنتبرية[10]، أو بحصن شيطران، بعد حصارٍ طويل، استمرَّ لشهور[11].

---

(1)- ابن الأثير: المصـدر السابق، ج.5، ص.200 ؛ ابن خلدون: المصــدر السابق، ج.4، ص.157 ؛ بالنثيا (أنخل جونثالث): المرجع السابق، ص.3.
(2)- ابن الأثير: نفسه.
(3)- **البيان المُغرب**، ج.2، ص.54.
(4)- عند صاحب **أخبار مجموعة**،هو سالم بن أبي زعبل،عامل ماردة،ص.153 ؛ أما عند ابن عذاري: فهو قد قتل عامل شنتبرية، نفسه.
(5)- ابن عذاري: نفسه.
(6)- نفسه.
(7)- نفسه، ص ص.54-55.
(8)- مجهول**:** نفس المصدر السابق، ص.155 ؛ ابن الأثير: نفسه، ص.237.
(9)- ابن الأثير: نفسه.
(10)- مجهول: نفسه.
(11)- ابن الأثير: نفسه.

لقد كانت هذه الحـركةُ الثوريَّـة، التي قام بها شِقنا البربري، مِن أخطـر التمـرُّدات التي عرفتـها الأندلس، والتي شهدها عبد الرحمان الدَّاخل؛ الطامحُ إلى تأسيس دولته الجديدة؛ فهي كانت تُهدِّد وجودَ هذا الأمير بالبلاد، وقامت باستنزافِ الكثيرِ مِن الأرواحِ والأرزاق، كما تمثَّلَ خطرُها في تهديدِ تواجدِ المسلمين جميعِهم بالأندلس.

والشيء الذي ساهـم في تصـاعدِ هذه الحركة الخطيرة، هو استعمالها لاستراتيجيَّة الكـرِّ والفـرِّ، وعدم المواجهة المباشِرة، إلى جانب استنزاف قُوات وخيرات البلاد؛ والأمر الأساسي الذي أطال في عُمـرها، هو تزامنها مع الحركـات الثورية العربية الأخـرى، والمتمثِّلة في بعض العـرب اليمنيَّة، الذين رفضوا حُكم الدَّاخل في الأندلس، ونافسوه مُلكَه[1].

وقد صف محمد علي مكِّي، ثورة شِقنا البربري، بأنَّها أوَّل ثورة بربريَّة شيعيَّة في بلاد الأندلـس، كما أنَّها أوَّل مُحاولة لإقامة دولة شيعيَّة في الغرب الإسلامي[2].

ليس هناك أيُ دليلٍ قاطع، بأنَّ هذه الحركة الثوريَّة لشِقنا البربري، هي من أجل تأسيس دولـة، أيَّا كانت طبيعتُها، خصوصاً وأنَّ الفِكـرَ الباطني، ما زال في بدايتِـه، ولم يتوغَّـل بعد، حتَّى في بلاد المغرب، فما بالُك ببلاد الأندلس؛ولم تذكر المصادر، أيَّ اتِّصال لهذا الشخص بالمشرق الإسلامي، أو حتَّى بشخصيَّةٍ وافدةٍ مِن الشرق، تحمل هذا الفكر. ولو سلَّمنا جـدلاً أنَّ الأمر صحـيحٌ كما زعم هذا المؤرخ، فلماذا لم يستمر أتباعُهُ في هذا المبتغى؟.

2- حركات تمرُّديَّة أخرى للبربر بالأندلس

لقد قام البربر بأعمال تمرُّديَّة أخرى، واعتُبِرت بدورها، خروجٌ على السُلطة الأموية، ولم يستـطع المؤرخون، فهم كُنْهِـها أيضاً؛ وتمثَّلت هذه الحـركات أوَّلاً؛ فيما عُـرِف بثورة تاكرنا، -وكان ذلك في عهد هشام الرضـا، وتجدَّدت في سنوات أخرى-؛ وغيرها مِن الحركات؛ غير أنَّ المصـادرَ حين تأتي على ذكر هذه الثورات، فهي توردها باختصـار وغمـوض شديدين. وأوَّل عهـدٍ لها، يعود إلى سنة **178**هـ/**794**م[3]، والمصـادر التاريخيَّـة، كلُّها وصفت هذه الحركة بالفتنة البربريَّة، ولم تَصبـغ عليها، -هذه المـرَّة-، صِبغـة الخارجيَّـة، أو الفـكر البـاطني؛ وتقـول أنَّ أصـحابها قد خلعـوا طاعـة

(1)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.333.
(2)- حسين (حمدي): **ثورات البربر في الأندلس**، ص.23.
(3)- ابن الأثير: المصـدر السابق، ج.5، ص.304 ؛ ابن عذاري: المصـدر السابق، ج.2، ص.64 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.160.

الأمويِّين[1]، وأظهـروا الفســاد، وبدأوا بقطــع الطريق[2]، فغـاروا على الناس، وقتلوا وسَبَـوا[3]؛ وقد بعـث إليهم الأمير الأموي، الجيـوش لحـربهم، بعد أن أعـذرهم كثيراً[4]، وفي الأخـير أرسـل إليـهم قائدَه عبد القادر بن أبَّان بن عبد الله، مولى معاوية بن أبي سفيان، فأبادهم[5]،قتلاً وسبياً[6]. وبعد هزيمتهم أمـام قوات الدولـة الأمويَّة، فـرَّ مَن تبـقَّى مِنهم إلى كلٍّ مِن مدينـة طلبـيرة[7] وترجيـلة[8]، وأقفَرَت بلادُهـم سبعَ سنين[9]؛ ويبدو أنَّهم قد انضموا إلى إخوانهم مِن البربر[10]، في هذه المدن.

إنَّ الاختصـار الغريب الذي كانت عليه هذه المصـادر، لا يُمكِّن مِن فهمِ حقيقـةِ هذه الحركـة البربريَّة، والتي يبدو أنَّها لا تُمثِّل كلَّ البربر، الذين كانوا مُتواجدين بتاكرنا، وما النتيجة التي آلت إليها المنطقة وبقيَّة سكانها مِن (البربر)،إلاَّ دفعاً للثمن،من جريرة غيرهم، الذين قد يُمثِّلون بعض الخارجين على النظام، فلا يُعقل أن تكون ثورتهم للمُطالبة بالحقوق، ثمَّ تتطوَّر إلى قطع الطرق، وقتل الناس.

وفي سنة**211**هـ/**826**م، ستعرف نفس المنطقة حركةً أخرى، بقيادة شخـصٍ لا يُعـرَفُ حتى إن كان مِن البربر، واسمه طوريـل؛ ونسَبَه بعضُهم إليهم؛ وكان ذلك زمن عبد الرحمان الأوسَـط؛ الذي بعث إليه أحدَ قوادِه، ويُدعى معاوية بن غانم، فقَضَى عليه سريعاً[11].

أمَّا في عهد الحَكَم بن هشام، فقد خرج عليه شخصٌ آخر مِن البربر، يُدعى أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، في ماردة، وبعد حِصار لها استطاع القضاء على تمرُّدِه[12]، ثمَّ عفا عنه الأمير واستـنزَلَه

---

(1)- ابن الأثير: المصـدر السابق، ج.5، ص.304 ؛ ابن عذاري: المصـدر السابق، ج.2، ص.64 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.160.

(2)- ابن الأثير: نفسه.

(3)- ابن عذاري: نفسه.

(4)- نفسه.

(5)- ابن خلدون: نفسه.

(6)- ابن الأثير: نفسه.

(7)- طلبيرة: بينها وبين وادي الرمـل خمسة وثلاثـون ميلاً، وهي أقصى ثغـور المسلمين، وبــاب من الأبواب إلى أرض المشركين، وهي قديمة أزلية على نهر تاجــة، بينها وبين طليطلة سبعون ميلاً، الحِميري: **صفة الجزيرة**، ص ص.127-128.

(8)- ترجالة: مدينة وحصن منيع تملَّكها الروم في سنة 630هـ/1232م، نفس المصدر السابق،ص.63.

(9)- ابن عذاري: نفسه.

(10)- ابن خلدون: نفسه.

(11)- ابن عذاري: نفسه، ص.82 ؛ بالرُغم من أنَّ حمدي حسين يأخذ هذه الرِّوايــة عن ابن عذاري، إلاَّ أنَه يُضيف مِن عنده، نعت البربري إلى اسم طوريل، والذي لم يقل به المؤرخ السابق الذكر، انظر: حسين (حمدي): **ثورات البربر**، ص.39.

(12)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.72.

بقرطبة إلى جواره[1].

وفي سنة **200**هـ/**815**م، يقول ابن الأثير، أنَّه قد ثـار على الأمير الحَكم، شخـصٌ خارجي مِن البربر، بجهة مورور، وقُضِي عليه، في ظرف أربعة أيام فقط، هو وجماعتُه[2]؛ وينقل صـاحب أخبـار مجموعة، ما يُشبه تفاصل هذه الحركة، لكن باختـلاف مكانها، فهو يقول أنَّها وقعـت زمـن الأمير الحَكم، أمَّا مِن حيث مكانها، فهي قد وقعت بماردة[3].

كما نُسِبَت إلى البربر، حـركةٌ ثوريَّة أخرى، لا يُعلم إن كانت مِن طرفـهم حقيقة، ومصـدرُ هذه المعلومات عند ابن الأثير، الذي يقول أنّه في حدود سنة **213**هـ/**828**م، ثارت الفتنة بمـاردة، حيث قتل أهلُها عامل الإمارة بها، فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمان، جيشاً حاصـرهم، وافسـد زرعـــهم وخرَّب سور المدينة، فأذعنوا للطاعة؛ ثمَّ عاودوا خَلعَهم (للطاعة)، سنة **217**هـ/ **832**م، فحاصـرهم جيش الأمير،دون جدوى،فقاتلهم في السَّنة المواليَّة،وهزمَهم[4]. وكان على رأس هذه الحركة،شخصٌ يُدعى محمود بن عبد الجبَّار الماردي،والذي لا يُعلمُ إن كان مِن البربر أم لا،ويَنسبُه صـاحِب ثورات البربر في الأندلس، إلى هؤلاء الجماعة، رُغم عدم إيرادها مِن طرف ابن الأثير، وكان اعتمـاده على استنتاج ليفي بروفنسال، في تحقيقه لكتاب مفاخر البربر[5].

وبقيت قوات الإمارة، تُحـارب هؤلاء الخارجين طيـلة سبع سنين، وهم ينتقلون مِن منطقـة إلى أخرى، فحلُّوا بمِنت شالــوط، ثمَّ حِلقب، فمِينَة؛ وأخيراً استطـاعت قـوات ملك الإفرنـج إذفونس (**Alfonse**)، القضاءَ عليهم في حدود سنة **225**هـ/**839**م[6].

وعرفت منطقة الجزيرة الخضراء،بالجنوب الأندلسي، قيام حركةٍ ثوريَّةٍ أخرى، سنة **236**هـ/**850**م، كان زعيمُها واحدٌ مِن البربر،اسمه حَبيب البُرنُسي[7]، أو حبيبة البربري[8]، وقد اجتمع حولَه جماعة مِن اللصوص وأهل الشر والفساد[9]، ومِن هنا يظهـر أنَّها حـركةٌ مِن قُطَّـاعِ الطُرُق والأوبـاش، ولا

---

(1)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.163.
(2)- **الكامل في التاريخ**، ج.5، ص ص.426-427.
(3)- انظر أوجه التشابه والفرق بين الروايتين،عند ابن الأثير:نفسه؛مجهول:**أخبار مجموعة**،ص.166.
(4)- ابن الأثير: نفسه، ص.490.
(5)- حسين (حمدي عبد المنعم): **ثورات البربر في الأندلس**، ص.36.
(6)- ابن الأثير: نفسه.
(7)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.89.
(8)- ابن الأثير: نفسه، ج.6، ص ص.109-110.
(9)- ابن عذاري: نفسه، ج.2، ص.90.

ترتقي لصفِ الحركات الثوريَّة، والشيء الذي يُؤكِّد هذا الأمر، هو عدم ذكرِ والــد هذا المنتفض، أو حتَّى ذكر اسمٍ لقبيلته؛ فلو كانت حركتُه ثوريَّة، ما كانت المصـــادر لتغفلَ عن إيراد كلِّ المعلومـات عنه.

ويورد ابن حيَّان في مُصنَّفِه، بعض الحركات الثوريَّة الأخرى، التي كان أصحـابها مِن البربر، مِن مِثل ما قام به موسى بن ذي النون،الذي يقول عنه أنَّه كان مِن رؤساء بربر شنتبرية،ثمَّ سما للإمـارة، فاتَّخذ رجالاً مِن الأشرار،الذين رأَّسوه عليهم،ثمَّ أغار على ما حوله مِن مناطـق طليطلة، وكان ذلك في حدود سنة **260**هـ/**873**م[1]. كما خرج على هذا الأمير، شخصٌ مِن البربر، يُدعى ابن فرانـك زعَّال بن يعيش بن فرانك النفزاوي، وقد تحصَّـن بحصن أم جعفر، مِن بلد الجـوف[2]؛ وثـار أيضاً رجلٌ يُسمى عمر بن مضم الهترولي، بقرية الملاَّحة، بكـورة جيان، جنوبي غرب غرناطة، وقد حـاربه الأمير، ثمَّ استسلم لسُلطتِه[3]؛ وثار أيضاً بكورة ألبيرة، أبناء المهلَّب،وهم مِن بيوتات البربر؛ ثمَّ بعد محاربة الأمير الأموي لهما، أسجَلَ لهما ما بأيديهما مِن مناطق، وتمسَّكا بالطاعة وحاربا معه الخارج عن الحُكم عمر ابن حفصون المولَّد المتنصِّر[4]؛ كذلك كان خروج محمـد بن عبد الكريم بن إلياس، بقرية ورد، مِن كورة شذونة، ثمَّ مال إلى السُلطة المركزيَّة، وأقرَّه الأمير على ما بيدِه، ثمَّ استفـاد مِنه، فيما بعد، الخليفة النَّاصر[5].

إنَّ الشيء الملاحظَ على هذه الحركات،التي ظهرت ببلاد الأندلس، لم يتميَّز بها البربر لوحـدِهم، فقد تزامنت مع ما شهـدته الدولة الأمويَة، مِن خـروج بعض العناصر الأخرى عليها، مثل العـرب اليمانية الرافضين لسُلطة بني أميَّة (الشَّاميين)، والمولَّدين مِن أمثال ابن حفصون؛ثمَّ إنَّ إطلاق صفـة الخارجيَّـة، على هذه الانتفاضـات، أو التمـرُّدات، أوالثورات، لا يسقـط على جميعها، فبعضـها لا يعدو أن يكون حركةً مِن قُطَّاع الطرق أو اللصوص، هذا لا يُلغي فكرة خـروج جماعات مِن البربر، للمطالبة بالحقوق المهضومة، مِن طرف عمال المناطق.

ثمَّ إنَّ تمرُّد هذه العناصر، مِثلها مِثل العناصر الأخرى، حَـدَثَ بصـورةٍ كبيرةٍ، في عهـد مُؤسّـس الدولة، وبعدها في عهد الأمير عبد الله، الذي شُبِّهَ عهدُه بعهد ملوك الطوائف، لكثرة الاضــطراب

(1)- **المُقتبس في تاريخ الأندلس** (الجُـــزء المُتعلِّق بعهد الأمير عبد الله 275 - 300هـ)، تح. إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1990، ط.1، ص.36.
(2)- نفس المصدر السابق، ص.42.
(3)- نفسه، ص.45.
(4)- نفسه، ص.52 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.137.
(5)- ابن حيَّان الأندلسي: نفسه، ص.44.

بنواحي الأندلس، وتغلُّب الثوار بها[1]. وقد يعود ذلك، إلى مُشكل العصبيَّة القَبَليَّة؛ الذي تحــدَّث عنه ابن خلدون، بكون الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب، قلَّ أن تَستَحكِمَ فيها دولة؛ والسببُ في ذلك، اختــلاف الآراء والأهـواء، ولذلك يكثرُ الانتفاضُ عليها[2]؛ ومِن أجل أن تكـون دولـةً قويةً، – رُغم تعدُّد عصبياتها–، يجب توفُّر أساسين، لا بُدَّ منهما: فالأوَّل الشوكة، التي هي القـوَّة، إلى جانب العصبيَّة، ثمَّ المال، لدفع رواتب الجُند، وما يحتاج إليه المِلك مِن الأحـوال، وبدونهما يطرأ الخلل[3].

ولذلك يُمكن تفسير عدم حدوث كثيرٍ مِن مثل هذه الحركات الثوريَّة، في عهد النَّاصــر، الذي اشتغـل بمُحاربة الممــالك الشماليَّة، بعد أن قضى على هذه الحركات بالقـوَّة، باعتبارها مِن أكبــر التحـدِّيات التي واجهـته في حُكمِه، فاستعمـل سياســة الحَـزم، مع هـؤلاء المتمـرِّدين، بعد أن كان أسلافُه يستعمل كثيراً، سياسة التساهل والتردُّد؛ وبهذا أخضع مُناوئيه[4].

3- تمرُّدات البربر إلى جانب العناصر الأخرى بالأندلس

لم يكن إسهام بعض البربر في الخروج على السُلطة المركزيَّة،والانتفاض عليها،كجماعة معزولة، أو عناصـر بعيدة عمَّا يحـدث في شبـه الجزيـرة، بل قامـوا بأدوار عسكريَّة، إلى جـانب غيرهم مِن العناصر، وهذا لتدوين انخراطهم في المعارضــة السِّياسيَّة، وذلك منذ عهـد الولاة، وصولاً إلى عهـد الدولة الأمويَّة، فكانوا إلى جانب اليمنيَّة في حربهم مع القيسيَّة، ثمَّ في مُناوءتهم لحُكم بني أميَّة.

إنَّ أوَّل ما تُسجِّــله لنا المصــادر التاريخيَّة، مِن وقـوف البربر في صـف المعارضــة، إلى جـانب الآخرين،هو بعد ما جرى لهم مِن تقتيل وتهجير وإذلال،في انتفاضتهم الكُبرى،سنة **123**هـ/ **741**م. فبعد هزيمـتهم، في هذه الأحــداث الخطـيرة التي عرفتها الأندلـس، على يد كلٍّ مِن العـرب اليمنيَّة والقيسيِّة؛ ثمَّ تغلُّب جُند الشَّام على غيرِه مِن العناصر الموجـودة بالبلاد، جمعت المصـلحةُ المشـتركةُ بينهم وبين الطرفِ الثَّاني مِن البلديين، بعد أن فرَّقتهم نفس المصلحة مع الشَّاميين.

بدأت الفتنة اليمنيَّة الشاميَّة بالأندلس، مُباشرةً بعد انتصار القوات العـربيَّة المشتركة، على البربر

(1)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.352.
(2)- **تاريخ ابن خلدون،** ج.1، ص.206.
(3)- نفسه، ص.363.
(4)- الدليمي (إنتصار محمد صالح): **التحدِّيات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300- 366هـ/912 - 976م)**، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 2005، ص.26.

الثائرين في البَلَدَين (المغرب والأندلس)، وهذا بعد أن طلــب الوالي عبد الملك بن قطن، مِن قــوات بِلج الخروج إلى إفريقية، مِن منطقة الجزيرة الخضراء، فكان شـكُّ ابن بِشر، بكون ابن قطن، يُريد أن يوقعهم بأيدي البربر في العُدوة[1].

ويبدو أنَّ بِلجاً، لم يُرِد ترك الأندلس؛ وما طلبُهُ تغيير مكـان المغادرة، مِن ألبيرة نحو إفريقية، إلاَّ لتعجيز الوالي، وهو يعرف ظروف البلاد؛ فكان الاحتقـان بين الجانبين كبيراً، فابن بِشر لم ينسَ ما حدث له في ثغر المغرب، بعد حصــار البربر له، ثمَّ عبـورِه المضيق، بعد شروطٍ مِن ابن قطن، وبعد تركهم لرهائن لدى أصحاب البلاد. وكان لموت واحدٍ مِن هؤلاء الرهـائن الشاميين عطشاً[2]، سبباً في انفجار هذا الاحتقان، وبروز الكوابت المِشرقيَّة في هذه البلاد الجديدة.

وكان مقتل ابن قطن على أيدي الشَّاميين[3]، الذي أدَّى إلى ظهور الصِـراع بين الحيين العربيين جلياً، وبدأ عهدٌ جديد مِن النزاع القَبَلي، الذي كان دائماً السبب المبــاشر في إضعــاف المسلمين، وتغلُّب غيرهم عليهم.

وفي ظــلِّ هذا الصِـراع القَبَلي، الذي ظهــر على مســرح بلاد الأندلــس، وقــف البربر مع ابني عبد الملك،وهذا لتقاطع المصالح بينهما،رُغم العَداء السابق؛فالبربر يُريدون الثأر مِن جُنـد الشاميين، الذين كبَّدوهم الخسائر الفادحة في الأرواح والأرزاق، فرضوا الوقوف إلى جانب أعدائهم اليمنيَّة[4]؛ واليمنيَّة أرادوا كذلك الثأر مِن أعدائهم القيسيَّة، بسبب قتل رئيسِهم.

غير أنَّ هذا الموقف مِن البربر، لم يُجدِ نفعاً، فقد انهزمت القـوات المشتركة، أمام قـوات بِلج، ثمَّ أمام قوات نائبه ثعلبة بن سلامــة، قُرب مــاردة[5]، ثمَّ سينالهم مِن هذا الشخـص كثيرٌ مِن الإذلال بعد سبي أعداد كبيرة مِنهم.

ربَّما فَهِـمَ كلٌّ مِن اليمنيَّة والبربر، أنَّ مصلحَــتهم المشتركـة، وعَداءَهم للقيسيَّة، يجعلُهم دائمــاً، يقفون مع بعضٍ ضدَّ أيَّ عملٍ قد يطالهم مِن هذه المجموعة؛ ولذلك سنشهد هذا الموقــف، يتكـرَّر

---

(1)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.115 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.30.
(2)- مجهول: نفسه، ص.116 ؛ ابن عذاري: نفسه، ص.31.
(3)- مجهول: نفسه، ص.117 ؛ ابن عذاري: نفسه، ص.32.
(4)- مجهول: نفسه.
(5)- نفسه، ص.118.

بعد دخول شخصيَّةٍ شاميَّةٍ مُتعصِّبةٍ جداً لبني جلدتها، وهو الصميل بن حاتم بن شُمَّر، الذي امتـاز بالقسوة والقوة[1]، حيث استطاع قهر الإثنين، قُرب سرقسطة، في حدود **136**هـ/**753**م[2].

وبعد دخـول عبد الرحمـان بن مُعـاوية الأندلـس، وقتاله لآخـر الولاة بالبلاد، وهو يوسف بن عبد الرحمان، ورُغم أنَّنا بيَّنَّا كيف وقف البربر إلى جانبه، حتَّى استطـاع فرض سيطرتِه على هذه الأرض، فيبدو أنَّ بعض هذه العناصر، اختارت أن تبقى وفيَّةً إلى جـانب مواليها. وكان مِنهم بربر مـاردة، الذي حشـد مِنهم الوالي يوسف، إلى جـانب العرب، ما يُناهز عشرين ألفاً [3]، لقتـال الدَّاخـل. ورُبَّما يكون هذا أحـد تفسيرات تكرُّر خروجِهم في هذه المناطـق، التي كانوا فيها غالبيَّة سكانها.

وشهدت بعض الفترات، وقوف هؤلاء العناصر، إلى جانب بعض الثائرين العـرب، مِن أمثـال ما كان مِن موقفـهم مع حيوة بن مُلامِس، الذين سانـدوه في خروجـه على عبد الرحمـان الأوَّل، فكانت عاقبتُهم القتل، حيث لم يُبق مِنهم الأميرُ أحداً [4].

ووقف البربر إلى جانب ثائرٍ عربي آخر، وهو حسين بن يحي بن سعد الأنصـاري، بسرقسطة، وحوصروا مِن قِبَل الدَّاخل، ثمَّ ضُرِبوا بالمنجنيق، وقُتِل قائدُهم مع واحدٍ مِن البربر، يُقال له رزق[5]، هذا الأخـير الذي يظهـر أنَّه كان له وزنٌ كبير في هذه الثـورة، حيث قُتِل شر قَتلَة، -بقطـعِ رجليه ويديه[6]-.

وتواصلت مُساندة بعضٌ مِن البربر، إلى جانب بعض الثائرين العرب على حُكم الأمير الأموي عبد الرحمـان بن مُعاوية، فوقفوا مع محمـد بن يوسف الفِهري، بمنطـقة قوريـة[7]، حيث أوقـع هذا الأمير، ببربر نفزة، الذين كانوا بها، فأذلَّهم وقضى عليهم[8].

أمَّا في عهد الحَكم بن هشام، فقد دعَّم البربر القادمون مِن عند الأدارسة، كُلاًّ مِن سليمان

(1)- مجهول: **أخبار مجموعة**، ص.130.
(2)- نفسه، ص.131.
(3)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.49 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.329.
(4)- مجهول: نفسه، ص.153.
(5)- نفسه، ص.157.
(6)- نفسه.
(7)- قورية: مدينة قريبة من ماردة، من أحصن المعاقل، الحِميري: **صفة الجزيرة**، ص.164.
(8)- مجهول: نفسه، ص.170.

وعبد الله، اللّذين حاربا ابن أخيهما، وقَبْلَه والدَه هشام، وقد دارت كثيرٌ مِن المعارك، بين الجانبين، وانتهت بهزيمة الخارجين عن طاعة الأمير[1].

وعند اقتراب انتهـاء عهـد الأمير عبد الله، الذي تميَّزت فترته بكثـرة الخارجين عنه،-كما سبق وأشرنا إليه-، سجَّل لنا ابن عذاري تمرُّد فِرقة الطَنجيين، التي جلبها هذا الأمير[2] مِن قبـل، وكانـــوا يُقاتلون تحت إمرة،كلٍّ مِن أحمد بن محمد بن أبي عبدة، وعبَّاس بن أحمد[3]، وقد انضم الخارجـــون الأوائل إلى ابن حفصون في مدينة بلدة[*][4]؛ أمَّا الآخرون، فقد مالـوا إلى ابن هُذيل[5]، الخـارج هو كذلك عن السُلطة المركزيَّة، في المِنتِلون[6]، وبعد مُحاربتهم مِن طرف قوات الدولة، قُتِل الكثير منهم قُرب بِبَشتَر[7] والمِنتِلون، وعاد مَن بقي مِنهم إلى الطاعة[8].

كان لوقوف بعض البربر إلى جانب اليمنيَّة،ما يُبرِّرُه؛ فكُرهُهم للشاميين،ثمَّ حقدُهم عليهم،بعـد ما نالهم مِنهم الكثيرُ مِن التقتيل؛ فأرادوا بذلك الانتقام مِنهم، إلى جـــانب ذلك، فإنَّ الكثير مِنهم كانوا حُلفاءً للقبائل العربيَّة؛ فيثورون معهم تبَعاً لما يجمعهم مِن مَصلحــة مُشتركة[9]؛ لكن يبدو أنَّ قوتهم الضعيفة، لم تُسعِفهم في ذلك، فلم يستطيعوا تحقيق مُبتغاهم. وشكَّلت هذه الأحداث خطراً كبيراً على البلاد الأندلـسيَّة، فأصبح وجـود المسلمين بها مُهـدَّداً مِن جهـة الحـدود الشماليَّة. وقد أسفر الصراع العــربي ضـد المَوَلَّدين، مِن جهـة، وضـد البربر، مِن جهـة أخرى، عن هـلاك الطاقـــة البشريَّة، المصدر الأساسي للإنتاج، وهذا الأمر يَسَّرَ للمسيحيين التَوسُّعَ في أراضيهم، فيمابعد[10].

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.2، ص.70.

(2)- انظر مبحث مُشاركة البربر في الحياة العسكريَة والسِّياسيَّة، في عهد الإمارة،ص.79 وما بعدها.

(3)- ابن عذاري: نفسه، ص.147.

(*)- مدينة بلدة: مدينة بالأندلس،من أعمال ريَّة،وقيل من أعمال قُبرة،ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.1، ص.483.

(4)- ابن عذاري: نفسه.

(5)- سعيد بن هُذيل، كانت ثورته بحصن المنتلون،من كُور جيَّان،ثمَّ في عهد عفا عنه واستنزله،نفسه، ص.136.

(6)- نفسه، ص.147.

(7)- بِبَشتر: حصنٌ منيع، بينه وبين قرطبة، ثمانون ميلاً، كان قاعدة العجم، وخُرِّب الكثير ممَّا فيه، بعد فتنة ابن حفصون، الحميري: **صفة الجزيرة**،ص.37 ؛ يُقال له أيضاً بباستر،ياقوت الحموي:نفسه، ج.1، ص.333.

(8)- ابن عذاري: نفسه.

(9)- طه (ذنون): **تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلـــس**، ص.116 ؛ أرسلان (شكيب): المرجع السابق، ص.71.

(10)- بوتشيش (إبراهيم القادري): "**الانحسار العربــي في الأندلـس في أواخر عصر الإمارة. هل كان وراءه تفوُّقٌ مسيحي**"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1987، ع.34، ص.177.

المبحث الثاني : دور البربر في فتنة القرن 5 هـ/11م، وعلاقتهم بسقوط الخلافة الأمويَّة

عرفت الأندلس أخطر مرحلة في تواجد المسلمين بها،خلال بداية القرن 5 هـ، حيث تصارعت مُختلف العناصر المكـوِّنة للمجتمع، لأجل بسطِ نفـوذِها وسيطرتها على البلاد، فهدَّدت السُلطة الشرعيَّة فيها؛ وامتدَّت هذه المرحلة على قُرابة رُبع قرن مِن الزمن، انتهت أخيراً بإلغاءِ وإنهاءِ الخلافة الأمويَّة بهذه الأرض، وقد كان للبربر دورٌ في هذه الفترة الصعبـة، مِثلَهم مِثلَ باقي الأفـراد المكوِّنين لنسيج الدولة؛ فكيف ابتدأت هذه المرحلة، التي تُعرف بفتنة القرن 5 هـ؟، وما طبيعة مُساهمة البربر فيها؟، وهل حقّاً كانوا هم السَّبب في سقوط الخلافة، وإنهاء دولة بني أميَّة بهذه البلاد؟.

أوَّلاً : ماهية فتنة القرن 5هـ/11م

إنَّ كلَّ الدارسين، -قديماً وحديثاً-، لتاريخ الأندلس، يشيرون إلى أنَّ سنة **399**هـ/**1009**م، هو تاريخ بداية ما يُعرف بالفتنة الكبرى، التي أعقبتها الفوضى الشَّاملة، وانتهت بانقسام البلاد على اهلها، عرباً وبربراً وصقالبة ومُولَّدين، والذين أسَّسوا لِما سُمِّي بفترة ملوك الطوائف.

لقد حلَّت مرحلة الفتنة الكبرى، بعد عهدٍ قوي، دشَّنه ابن أبي عـامر، في سنة **367**هـ/**978**م، وتمكَّن خلال هذه الفترة، مِن السيطرة على شؤون الدولـة الإسلاميَّة في الأندلـس، عَقِب إجراءِه لتغييرات إداريَّة في منصب الحِجابة، جعله يتفـوَّق على سُلطـة الخليفة نفسِه[1]؛ وعرفـت البلاد في عهدِه أرقى وأزهى مجدِها؛ ويقول عنه ابن خاقان أنَّه تمرَّس في بلاد الشِـرك أعظمَ تَمَرُّس، وغزا الروم شاتياً وصائفاً[2].

وبعد موت المنصور في سنة **392**هـ/**1002**م،تولَّى الحجابة بعده ابنُه عبد الملك،وتلقَّب بالمظفَّر، فواصـل سياسة والدِه، في الحُكم والغزو، طيـلة سبع سنين[3]؛ ورُغم أنَّه كان قويًّا مِثل أبيه، إلاَّ أنَّه قد ورث مُلكاً مُهدَّداً بالأخطار[4]؛ والتي لم تظهر كثيراً في عهده، بل انفجرت مرَّةً واحدة،في بداية حُكم أخيه عبد الرحمان، الذي تلقَّب بالنَّاصر أو المأمون[5]، ويُعرف أيضاً بشنجول، -اسم جـدِّه لأمِّه[6]-.

---

(1)- العُتيبي (فوزي عناد القبوري): المرجع السابق، ص ص.23-24.
(2)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.403 وما بعدها.
(3)- نفسه، ص.423.
(4)- مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.405.
(5)- المقري: نفسه، ص.424.
(6)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.38.

كان لوصول عبد الرحمان شنجول إلى الحُكم، ثمَّ طلبِه مِن الخليفة هشام المؤيَّد،أن يُولِّيه العهد، سنة **399**هـ/**1009**م، وأن يَتَسَمَّى بولي عهد المسلمين[1]، بداية أوَّل الفتنة؛ حين ثار الأمويُّون والقُرشِيُّون على حُكم العامريين، وانتزعوه مِنهم، بخلعِ الخليفةِ الشرعي، وإنهاءِ فترةِ الحِجابة، وتوليةِ الخِلافة مِن قِبَل محمد بن هشام بن عبد الجبَّار بن النَّاصر[2].

إنَّ طمعَ شنجول في ولاية العهد[3]، كان السَّببَ المباشرَ في القضاءِ على أسرةِ العامِريين، هذه الأسرةُ التي كانت تنتمي إلى اليَمنيِّين،وكان حِقد القيسيَّة عليها كبيراً، لكنَّهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، لأنَّ المنصور بن أبي عامر، استقوى قبل ذلك بالبربر؛فجاء ابنُه ليزيد القَشَّة على ظهر البَعير فتقصِمَه؛ إذ خشي الأمويُّون والقُرشِيُّون، مِن تحويلِ الخلافة، مِن المضريَّة إلى اليمنيَّة، فاجتمعوا وخَلَعوا المؤيد، في غيبةِ عبد الرحمان في بلادِ الجَلالقة[4].

وبعد خلعِ المؤيد، ومُبايعةِ محمد بن هشام؛الذي تلقَّب بالمهدي؛تبتدئ مرحلة الفتنة،التي تستمرُّ إلى خلع آخر أموي،سنة **422**هـ/**1031**م. وبهذا سيكون محمد بن هشام بابُها[5]،وهشام بن محمد، الملقَّب بالمعتَّد، خاتمة بني أميَّة بالأندلس، الذي كان شيخاً[5]، وكأنَّه يرمُزُ لِشيخوخة هذه الدولة، التي سيكون مآلها الوفاة.

لقد كانت هذه أسباب بداية الفتنة، حسبما وردت في المصادرَ التاريخيَّة، وكان سببُها أيضاً، العامريون الذين حجبوا الخليفة هشام بن الحَكَم، منذ أن تولَّى ابن أبي عامر الحِجابة، ثمَّ في عهد ابنَيه، المظفَّر وشنجول، هذا الأمر قد جعل شخصيته ضعيفة ومُهتزَّة، ليس له مِن دورٍ يقوم به أمامَهم، فيترك أمرَ الدولةِ لهم؛فلم يَبقَ له،إلاَّ الدُعاء على المنابر،وكتابةُ اسمِه على السَّكَة والطُرُز[7].

---

(1)- يقول ابن الخطيب: "إنَّ شنجول أراد أن يكون ولي عهد هشام المؤيد، لأنَّ هذا الأخير، عَدِمَ الولد ضُعفاً ومهانة"، **أعمال الأعلام**، ص.90.

(2)- الخانجي (عبد الرحمان):"**أثر فتنة قرطبة على المرتكزات النفسيَّة والأخلاقيَّة لابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة)**"، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلُّبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996، ط.1، ق.1، ص.138.

(3)- انظر نص هذا المرسوم عند المقري: المصدر السابق،ج.1، ص.424 ؛ انظر مُلحق7، ص.122.

(4)- المقري: نفسه، ص.426.

(5)- ابن الأبَّار: المصدر السابق، ج.2، ص.5 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.50.

(6)- ابن عذاري: نفسه، ج.3، ص.147.

(7)- المقري: نفسه، ج.1، ص ص.397-398.

حَكَم خلال هذه الفتنة، ستةٌ مِن رجـال بني أميَّـة، لم يستقـر لهم الأمـرُ إطلاقـاً، حيث تـولَّى بعضهم الخلافةَ لأكثر مِن مرَّة، وانتهى أغلبُهم بالقتل، وأُسقِطَت هذه الخلافـةُ لبضـع سنين، حين تغلَّبَ بنو حمُّود الحَسَنِيون على الأندلس، فحَكَم مِنهم ثلاثة مِن هذا البيت، فكانوا أوَّل ملـوك بَني هاشم بالجَزيرة[1].

لقد كان هذا التقديمُ مُجمَلَ ماهيةِ هذه الفِتنة، التي ظهرت بالعُدوة، حيث مَيَّزَها الصِـراعُ القَبَلي بين القيسيَّة واليمنيَّة، وتغلُّبُ كثيرٍ مِن العناصرَ الموجـودة بالأندلـس، على بعضِها البعض، دون أن يَستقِرَّ الأمرُ لأحدها؛ كما عرفت زوالَ هَيبةِ الخِلافةِ والخلفاء، لضُعفِ شخصياتهم،وكونِهم كانـوا في أيدي هذه العناصر؛ وقد كَثُر القتـلُ واستقواءُ الأعـداء؛ كلُّ ذلك أصبح يُهـدِّد تواجـد المسلمين بالبلاد.

ثانياً : دورُ البربر في هذه الفتنةِ وعلاقتُهم بسقوط الخلافةِ الأمويَّة

إنَّ العناصر البربريَّة، هي أكثر العناصـــر التي تمَّ تداول اسمِـها، أثناء هذه الفتـرة العصيبة، مِن وجودِ المسلمين بالأندلس، حتَّى أنَّ المـــرءَ ليظُنُّ أنَّ هؤلاء البربر، كانـوا هم سببُ هذه الفِتنة، وهم وقودُها ومُحرِّكوها؛ وأخيراً، هم سببُ نهاية حُكم بني أميَّة بهذه البلاد.
فهل حقّاً كان البربر كذلك؟، أم أنَّ تداولَ اسمِهم بكثرة، أثناء هذه الأحداث، كان سبباً في إيهـــام المؤرخين، والإيحاء لهم بهذه الفكرة؟.

عند تتبُّع بعض الحوليات التي دوَّنت هذه الأحداث، سنجدُ وضـوحَ تقَلُّبِ موقــفِ البربر، مع بعض الشخصـيات التي برزت فيها؛ وهذا الأمــر قد يُفسِّـره البعـض، على أنَّه الغايـة التي تبـــرِّرُ الوسيلة، أو أنَّ الأحداثَ هي التي جَرَّتهم إلى ذلك جَراً، كما قد يَعتبره البعضُ الأخر، أنَّها مواقـفُ نفاقٍ وخداعٍ وتآمر؛وهذا ما كان في صدورِ حُكم الكثير،على البربر بكونِهم السببُ في هذه الفِتنة، وكذلك في سقوطِ الخلافة الأمويَّة.

كان أوَّل موقف سجَّله المؤرخون، هو وقوف البربر إلى جانب المهدي؛ الذي قضى على أسـرة العامريين، بقتله للنَاصر شنجول، الذي أراد ولاية العهد؛ فبايعوا محمد بن هشام، حتَّى أنَّ العناصر

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.119.

التي كانت مع عبد الرحمان، لما سمِعوا بمُبايعة إخوانهم، لحِقوا بهم بقرطبة[1]؛ وكان هذا الموقـــف، لو أنصَفَهم المؤرخون، هو الموقفُ السليم،لأنَّ البربر وقفوا مع مَن يُمثِّل،ولو بقليل مِن الشرعيَّة، الأقربَ لحُكمِ البلاد، فابن هشام واحـــدٌ مِن الأمويِّين، وقد بايعــهُ أهل الدولة، بعد أن خلعــوا المؤيد[2]، فكيف هُم لا يُبايِعون؟.

كما أنَّ البربر قد رأوا سوء تدبيرِ عبد الرحمــان، وانتقاضَ أمــرِه[3]، وهم بذلك قد سجَّلــوا أنَّهم أدرى بالشؤون السِّياسيَّة، ويَعرِفون مَن يُمثِّل الشَرعيَّــة، مِن دونِه؛ رُغم أنَّهم كانـوا صَنيعــة العامِريين، وسببَ ظهورِهـم في البلاد، بعد أن كانوا مَغمورين؛ ولو أنَّهم كان يُفكِّرون في المصلحة الخاصة،لكان بمقدورِهم التَّغلُّبُ على باقي العناصر.

إنَّ سببَ تغيُّر موقفِ البربر، بعد ذلك،هو محمد بن هشام نفسَه،كما كان هو السَّببَ في تغيير نظرةِ الآخَرين إليهم، وأدَّى إلى تَهييجِهم عليهم، ممَّا كان الدَّافــعَ في تصــاعدِ هذه الفِتنة، ولو فعـل المهدي غير ذلك، لكانت الأحداث عَرفَت مُنحنىً آخر.

وفي ذلك يقول المِقري، أنَّ المهدي أمَر بألاَّ يَركَبوا ولا يَتَسلَّحوا، وردَّ بعضَ رُؤساءهم مِن باب القَصر، فأظهــرَ بُغضَهم وجاهَــرَ بسوءِ الثَّنــاءِ عليهم، وأرادَ الفَتكَ بهم[4]، وبذلك عَــرفَ البربرُ أنَّ الشَّخصَ الذي أيَّدوه، ووَقَفوا مَعه مُبايعــةً، يعمل على إهانتِهم والرغبـةِ في التَّخلُّــصِ مِنهـم؛ لذلك رَغِبوا في تقــديم أمــوي آخــر، بَدَلَ المهدي، ففكَّــروا في هشـــام بن سُليمان ابن النَّاصــر، ولما عَلِم الخليفة بأمرِهم، ألَّبَ عليهم أهلَ قرطبة، التي ثارت عليهم[5].

أمَا ابن عذاري فيقول، أنَّ سببَ وقوفِ البربر ضِدَّ المهدي، هو لما سَمِعـــوا بأنَّه كان قد أخــفى الخليفةَ السَّابق (المؤيد)، وكان قد أشـــاعَ أنَّه قد مــات؛ ثمَّ إنَّه لما اتَّخذ أراذلَ النَّاس وقرَّبَهم، خَرجَـت عنه الكثيرُ مِن العناصر، فالتَّفَتَ طائفةٌ مِن البربر، مع هشام بن سُليمان، في شقندة*[6].

---

(1)- المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.426.
(2)- نفسه.
(3)- نفسه، ص.427.
(4)- نفسه.
(5)- نفسه.
(*)- شقندة: قريةٌ بعُدوة نهر قرطبة، قُبالة قصرها، الحميري: **صفة الجزيرة**، ص.104.
(6)- **البيان المُغرِب**، ج.3، ص.51.

يقول حسين مؤنس حول ما قام به ابن هشام، أنَّه خطأٌ جسيمٌ قد ارتكبه، إذ استهانَ بقوتهم الكبيرة، التي كانوا عليها[1]؛ فهو عندما طلبَ مِن عامةِ سكانِ قرطبة الهُجومَ عليهم، بقتلِهم ونهبِ بيوتهم، ثمَّ استرقاقِ طائفةٍ مِنهم[2]؛ قد فتحَ على نفسِه بابَ غضبِهم؛ فوقفوا مع أموي آخر،يُدعى سُليمان بن الحَكم بن سُليمان ابن النَّاصر،الملقَّب بالمستعين[3]، فكانت نهايتُه على أيدِيهم، بدعمٍ مِن العَبيد العامِريين[4]، بعد تغلُّبِهم على قرطبة؛ فلم تَدُم فترةُ حُكمِه السَّنة.

لقد كان وصول سُليمان بن الحَكَم إلى الخلافة تَغلُّباً، سَبباً في بروزِ البربر، بشكلٍ كبير، جعل الكثيرَ يصفُ دولتَه بدولةِ (البربر)[5]، وذلك لاستقواءِه بهذه العناصر أولاً، ولأنَّه قسَّمَ بعض كُور الأندلس بين رؤساءِ القبائل البربريَّة، وكانوا سِتَّة: فأعطى صنهاجةَ مِنهم زيري بن مناد إلبيرة،وأعطى مغراوة جَوفي البلاد، ومُنذر بن يحي سرقسطة، وبني برزال وبني يفرن جيَّان وذواتِها، والمغاربة وبني دمَّر وأزداجة شذونة ومورور، وولَّى علي بن حمُّود[6] على سبتة، والقاسمَ أخاه على طنجة وأصيلا والخضراء[7].

وبرز في هذه الفترة، بنو زيري، الذين كانوا يؤيِّدون العامريين مِن قبل، وبعد ذلك ساعدوا سُليمان المستعين، في الوصول إلى السُلطة[8]؛ فكان جَزاءُهم نصيبٌ هامٌ مِن مِنطقة الأندلس الشَّرقية[5]، التي سَيُؤسِّسون فيها دولتَهم،-فيما بَعد-.

وهؤلاء البربر الذين ساندوا المستعين،هم أنفسُهم الذين سيَنسَلُّون عنه، للوقوف مع بني حمُّود، فساندَ كلٌّ مِن زاوي بن زيري وحبُّوس بن ماكسن بن زيري، وإخوتُه،وبنو عمِّه الصنهاجيون؛ فقوي

---

(1)- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص.409.

(2)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.51 وص.81.

(3)- نفسه، ص.84 ؛ المقري: المصدر السابق، ج.1، ص.428.

(4)- ابن عذاري: نفسه، ج.3، ص.100.

(5)- نفسه، ص.114.

(6)- يَنسِبُ الحموديون أنفسَهم إلى إدريس الأوَّل مؤسس مدينة فاس، أي أنَّهم ينتمون إلى سُلالةٍ شريفة، وهي العائلةُ العَلويَّة؛ وبالتالي، فإنَّ الحموديين قد أصبحوا برابرةً كلِّياً، مولينا (لويس سيكودي): **الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء**، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ط.1، ص.18.

(7)- ابن عذاري: نفسه، ص ص.113-114 ؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص.119.

(8)- يقول هنري تيراس، أنَّ الزيريين قد لعبوا دوراً عظيماً أثناء اضطراب الفتنة،وكان لهم سببٌ كبير في وصول المُستعين إلى السُلطة، سنة 1010م (401هـ). انظر:

Terasse (H):¨**La vie d’un royaume berbère au XIe siècle espagnol : l’émirat ziride de Grenade**¨,in : Mélanges de la casa de Velázquez,1965,T1, p.74.

أمر قائدهم على بن حمود[1].

ثمَّ إنَّ ابن حمود،سيقفُ ضدَّ البربر،الذين أيَّدوه في الوصول إلى الحُكم،ولا يُعرف لذلك سبب، فأخذ في قهرِهم وقتلِ الأكابرَ مِنهم[2]؛ ويبدو أنَّهم قد عرفوا،بأنَّهم قد صاروا أداةً يستعملُها كلُّ مَن يُريد الوصولَ إلى السُلطة؛ ثمَّ لما يتمكَّــن مِن ذلك، يَستَغني عنهم. وبقي الأمرُ بين أخــذٍ وردٍّ؛ بين الحمُّوديِّين والأمويِّين؛ والبربر في ذلك، بين مؤيِّدٍ لهذا، ورافضٍ لذاك؛ حتَّى نُودي بخلــع آخـر أموي، سنة **422**هـ/**1031**م؛ مِن الوزراء، وعلى رأسهم ابو الحزم بن جَهور، وانتزى كلُّ واحدٍ مِن الرؤســاء في مَوضعِه[3]، وبدأ عَهد (ملوك الطوائف).

نصل في الأخير، إلى أنَّ العامريين، هم الذين كانــوا السبب، في هذه المشاكــل السِّياسيَّة التي ظهرت ببلاد الأندلس، بإبراز النَعرات القَبَليَّة أوَّلاً،ثمَّ في استخدام العناصر غير العربيَّة في طُموحاتهم السُلطويَّة، فجعلوا مِن البربر وسيلةً استَقووا بها، ثمَّ تَركوهم عُرضةً لسُخطِ بقيَّة المجتمع مِنهم. ولقد كان لشنجول ابن المنصور، ثمَّ لمحمد بن هشام، فالمستعين،وبعدهم بني حمُّود، الدورُ الكبيرُ في هذه الفِتنة، التي أوقدوها بنار العَصبيَّة القَبَليَّة،ودفعت بلاد الأندلـس ثمَنها؛ سُكاناً وأرضاً؛وليس كما قال أحد المؤرخين،أنَّ البربر بعِنادِهم وتصلُّبِهم وحِقدِهم، كان لهم اليَدُ الطولى في وصــولِ الأندلس، إلى هذه الحالة؛وكما كان لهم الدور الأفضل في فتحِها،كان لهم أيضاً الدور الأسوأ في سقــوط الدولــة الأمويَّة وإضعاف المسلمين هناك[4]؛فكان ذلك حُكماً قاسياً عليهم، يُدينهم وحدَهم،دون غيرِهم.

ولقد كانت لحركات البربر التي قامـوا بها، أسبابُها وظروفُــها الخاصة، فهم انتَفَضــوا في كثيرٍ مِن المرَّات، لرفعِ الظُلمِ المسلَّطِ عليهم، وللمطالبةِ بحقوقِــهم؛ فهُم، ورُغم الدَور الإيجابي الذي قامـوا به، في كثير مِن الأحــداث، قد حُمِّلــوا كلَّ ما كان يقــع في البــلاد مِن الفِتن والمشاكــل، التي كان لكلِّ واحدةٍ مِنها أحكامُها وعواملُها الخاصــة، فلا يُمكن إسقــاطُ الأحــكامِ المعمَّمةِ والمسبَّقةِ عليها، مرَّةً واحدة، بل مُحاولة فهم هذه المواقف، وذلك في إطارها الزمني الخاص.

** **

---

(1)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.120.

(2)- نفسه، ص.121.

(3)- نفسه، ص ص.151-152.

(4)- الراشد(عبد الجليل): "**دور البربر في سقوط الدولة الأمويَّة في الأندلس**"، مجلَّة المؤرخ العربي، بغداد، 1975، م.3، ع.3، ص.88.

الخاتمة

إنَّ أهمَّ النقاط التي يُمكن أن نَخرجَ بها مِن هذا البَحث؛ الخاص بمَدى مُساهمَـةِ البربر في البِلاد الأندلسيَّة؛ مِن حيث الأدوار التي قدَّموها فيها؛ وذلك مِن تاريخ الفتح،حتَّى سُقوط الخلافة الأمويَّة بها؛ فتميُّزُهم كان في الجانبِ العسكري، بصورةٍ كبيرة، مُقارنةً بدورِهم في الجـانبِ السِّياسي، على طولِ الفترةِ المحدَّدَةِ في هذا الموضوع.

لقد كانت هذه العناصر، السَبَّاقةُ في دخولِ العُدوة الأندلسيَّة، فكانوا في الطَّليعةِ التي أُرسِـلَت لاستكشافِ البلاد،والتَعرُّفِ على تَحصيناتها، وتَمييزِ سُبُلِها،فهيَّ بذلك،كانت سَبباً في إنجاحِ الفتح، -فيما بعد-؛ ثمَّ إنَّهم كانوا الأوَّلين في التصادُم مع القُواتِ القوطيَّة،فأبلوا البلاءَ الحسـن، لإيمانهم بما يقومون به، وتضحيةً في سبيل الدين الذي اعتنقوه؛ فسَجَّلوا بذلك،كونَهم أوَّلُ جيشٍ إسـلامي مِن المغلوبين، يقوم بفتحِ منطقةٍ جديدة، لضمِّها للدولةِ الإسلاميَّة.

ثمَّ إنَّ مُشاركةَ هذه العناصـر في حمايةِ هذه البلادِ الجديـدة، لم تتوقَّف مع الفتـح، بل استمرَّت طيلة تواجدهِم بها، فكانوا جُنوداً مُحاربين في الفتوحات المتواصِلة، في شمال هذه الأرض، ثمَّ في بلاد الغال (فرنسا)؛ وكانوا مُرابطين أقوياء في الثُّغور على الحدود مع الممالك المسيحيَّة.

وقد تأثَّرت أدوارُهم، حَسَب تَغيُّر مُنحَنى هِجرتهم إلى الأندلـس، طيلة هذه الفـترة الزمنيَّة، التي تأثَّرت بدورها بالظروف والأحداث، التي ظهـرت بالبلاد؛ فانتقـالهم نحو أرض الأندلـس كان قوياً وكبيراً، في المرحلـة الأولى، إلى غايـةِ حـدوثِ هزيمتهم النكـراء، في انتفاضـتِهم الكبرى بالعُدوتين، فأصابهم بعدَها كثيرٌ مِن التَّقتيل والإذلال؛ فتَركـوا البلاد، حتَّى تَغيُّر وتَبدُّل الأحـوال، حيث كانـوا حَذِرين في مَقدمِـهم بَعدها. أمَّا في المرحـلة الثَّانية؛ ومع وصـول عبد الرحمـان بن مُعاوية إلى أرض الجزيرة؛ عادوا إلى وجودِهم في البلاد بشكلٍ واضح؛ فأكثَر هذا الأمير مِن أعدادِهم، لعدم اطمئنانِه إلى العناصر العربيَّة، وخاصةً العُنصر اليَماني مِنهم. وفي المرحلة الثَّالثة،كانت أعدادُهم تزدادُ بشـكلٍ كبير، لاعتمادِ الخِلافة عليهم، ثمَّ لاستقواءِ المنصور بن أبي عامـر بهم في جَيشِه، لمقـارعةِ العُنصـرِ العربي ومُنافسةِ الصَّقالبة.

وقد سكَنَ البربر مُختلفَ مناطـقَ الأندلـس، مِثلهم مِثل العـرب، دون تخصيـصٍ أو تمييز، وإنَّما

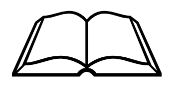
حَسَب مُيولهم النَّفسيَّة أو الظُروف الخاصة بهذا الانتقال؛ وحَسَب الأحداث التي عرفتها بلاد الجزيرة؛ وكان استقرارُهم على شكلِ قبائلَ وجماعات، ولم يَكن بشكلٍ فردي؛ هذا الأمرُ الذي سيكون له دورٌ كبير، في مَدى مُساهمتِهم في الحياةِ العَسكريَّةِ والسِّياسيَّة.

ولم يطمح البربر للوصول إلى السُلطة، وحُكم البلاد، رُغم كونهم كانوا يُمثِّلون الأغلبيَّة الغالبة في الأندلس، وقد يكون ذلك لزُهدِهم في الجانب السِّياسي، واقتصارِهم على الجانب العسكري. فلم يُعرَف مِنهم أيُّ والٍ توَّلى الحُكم، -أثناء عهد الولاة-، إلاَّ طارق بن زياد، وإن اعتبره بعض مِن المؤرخين، قد تولَّى إمارة الجيش الفاتح، فلم ترتقِ إلى درجة المنصب السِّياسي الخالص.

وكان للبربر دورٌ كبير، في إقامة الحُكم الأموي بالبلاد، فقد آووا عبد الرحمان بن مُعاوية، الهارب مِن بَطش العبَّاسيين، عندما وصل بلاد المِغرب، ودخلوا معه الأندلس، وأقاموا (مَعَه) الإمارةَ الجديدة. ثمَّ بعد ذلك صاروا ضِمنَ نُخبةِ الجيشِ الأوَّل، إذ استكثر مِنهم الدَّاخل، لحاجتِهِ إليهم، فشاعت أصداءُ أدوارِهم رُغم بروز الصَّقالبةِ كعُنصرٍ جديدٍ مُنافس.

أمَّا في عهد الخِلافة، فقد برزت أدوارُهم العَسكريَّة والسِّياسيَّة، بشكلٍ أوضح، فكانوا عِمادَ جيشِ الحَكَم الثَّاني، ثمَّ جَيشِ المنصور بن أبي عامر؛ فتقلَّدوا أثناء هذا العَهد أرفعَ وأخطرَ المناصب، فتَداولوها كلُّها تقريباً، مِن منصبِ الحِجابة،الذي هو أرفعُها،إلى منصبِ القضاء،ثمَّ الوزارة،فالكِتابة، إلى تولِّي مناصبِ الخُطط المختلفة، كخُطَّة الشُرطة أو السُوق أو العَرْض...، فكانوا مُتواجدين في كل تغيير وزاري جديد.

ولقد ظُلِم البربر كثيراً، في حركاتِهم الثَّوريَّة، وانتفاضاتِهم، التي كانوا يقومون بها، في الأندلس، فالتَّعَسُّفُ الذي كان واقعاً عليهم مِن طَرَف الحَيِّ العربي القَّيسي، قد يُبرِّرُ نوعاً ما، الأعمال التي كانوا يخوضونها؛وهذه الحركات لم يَتميَّزوا بها لوحدِهم،بل تزامنت مع ما كان يقوم به اليَمانيَّة أيضاً؛ الرافضين لحُكم الشَّاميين بمُفردهم للبلاد، وإقصاءهم للعَناصر الأخرى. كما ازداد ظُلم البربر، مع حُدوث الفِتنة الكُبرى، مع بداية القرن **5**هـ/**11**م، فهم كانوا طَرفاً فيها، ولم يكونوا السببَ في إشعالها؛ بل تَطَوُّرُ الأحداث، جَرَّهم إلى أن يَصيروا بارزين فيها، وقد يكون ذلك ناتجاً لأعدادهم الكبيرة، أو لردِّ فِعلِهم، بعد ما وقع لهم مِن حَيفٍ واعتداء.



المَلاحِــق

مُلحَق رقم - 1 -

أسماء الولاة على بلاد الأندلس *

1)- طارق بن زياد النفزي البربري	**92هـ/711م**
2)- موسى بن نُصير	**94هـ/711م**
3)- عبد العزيز بن موسى بن نُصير	**94-97هـ/712-716م)**
4)- أيُّوب بن حبيب اللخمي	**97هـ/716م**
5)- الحُر بن عبد الرحمان الثقفي	**97-100هـ/716-719م**
6)- السمح بن مالك الخَولاني	**100-102هـ/719-721م**
7)- عنبسة بن سُحيم الكلبي	**102-107هـ/721-726م**
8)- عُذرة بن عبد الله الفهري	**107هـ/726م**
9)- يحي بن سلامة الكلبي	**107-110هـ/726-728م**
10)- حُذيفة بن الأحوص القيسي	**110هـ/728م**
11)- عثمان بن أبي نسعة الخثعمي	**110-111هـ/728-729م**
12)- الهيثم بن عبيد الكلابي	**111هـ/729-730م**
13)- محمد بن عبد الله الأشجعي	**111-112هـ/730م**
14)- عبد الرحمان بن عبد الله الغافقي	**112-114هـ/730-732م**
15)- عبد الملك بن قطن	**114-116هـ/732-734م [في المرة الأولى]**
16)- عقبة بن الحجَّاج السلولي	**116-123هـ/734-741م**
17)- عبد الملك بن قطن	**123هـ-741م [في المرة الثانية]**
18)- بِلج بن بِشر القشيري	**123-124هـ/741-742م**
19)- ثعلبة بن سلامة العاملي	**124-125هـ/742-743م**
20)- أبو الخطَّار الحُسام بن ضرار الكلبي	**125-127هـ/743-745م**
21)- ثوابة بن سلامة الجذامي	**127-129هـ/745-746م**
22)- يوسف بن عبد الرحمان الفهري	**129-138هـ/746-756م**

مُلحَق رقم - 2-

أسماء الأُمراء والخُلفاء الأمويين بالأندلس *

1)- الأمير عبد الرحمان (الأوّل) بن معاوية بن هشام الملقَّب بالداخل	**138-172هـ/756-788م**
2)- الأمير هشام (الأوّل) بن عبد الرحمان (الأوّل) الملقَّب بالرضى	**172-180هـ/788-796م**
3)- الأمير الحَكم (الأوّل) بن هشام (الأوّل) المعروف بالربضي	**180-206هـ/796-822م**
4)- الأمير عبد الرحمان (الثاني) بن الحَكم (الأوّل) المعروف بالأوسط	**206-238هـ/822-852م**
5)- الأمير محمد (الأوّل) بن عبد الرحمان (الثاني)	**238-273هـ/852-886م**
6)- الأمير المنذر بن محمد (الأوّل)	**273-275هـ/886-888م**
7)- الأمير عبد الله بن محمد (الأوّل)	**275-300هـ/888-912م**
8)- الأمير ثمَّ الخليفة عبد الرحمان (الثالث) بن محمد بن عبد الله، تلقَّب بالناصر لدين الله بعد إعلانه الخلافة بالأندلس في عام = =	**300- 350هـ/912-961 317هـ/929م**
9)- الخليفة الحَكم (الثاني) بن عبد الرحمان الناصر	**350-366هـ/961-976م**
10)- الخليفة هشام (الثاني) بن الحَكم (الثاني) الملقَّب بالمؤيد بالله	**366-399هـ/976-1009م**
11)- الخليفة محمد(الثاني) بن هشام بن عبد الجبَّار بن عبد الرحمان الناصر	**399هـ/1009م**
12)- الخليفة سليمان بن الحَكم بن سليمان ابن الناصر الملقَّب بالمستعين	**399-407هـ/1009-1017م**
13)- الخليفة عبد الرحمان (الرابع) بن محمد بن عبد الملك ابن الناصر	**408هـ/1018م**
14)- الخليفة عبد الرحمان (الخامس) بن هشام بن عبد الجبَّار ابن الناصر	**414هـ/1023-1024م**
15)- الخليفة محمد (الثالث) بن عبد الارحمان بن عبيد الله ابن الناصر	**414-416هـ/1024-1025م**
16)- هشام (الثالث) بن محمد بن عبد الملك ابن الناصر الملقَّب بالمعتد	**420-422هـ/1029-1031م**

*)-المقري: **نفـــح الطيب من غصـــن الأندلس الرطيب**، تح.إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، **2008**، ط.**5**، ج.**1**، ص ص.**288–300** وج.**3**، ص.**14** وما بعـــدها ؛ مجهـول: **تاريخ الأندلس**، تح. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، **2007**، ط.**1**، ص ص.**157-158** ؛
Colan (G.S) :¨**Al-Andalus**¨, E,I, Leiden, **1986**, T.**1**, V.**1**, pp.**493-494.**

مُلحق رقم -3-

رواية فتح طارق بن زياد للأندلس دون علم موسى بن نُصير، والحديث عن غيرة موسى وتوبيخه لمولاه.

"...كان طارق يوماً بطنجة، إذ طلعت مراكب، فأكمن لها المسلمون، فلمَّا أرسلت خرجوا إليها، وأنزلوا أهلها، فقال أهلها: "إنا إليكم جئنا عامدين"فإذا هم يُعظِّمون غلاماً حدثاً منهم، يُقال له (أليان)، فقال له طارق: "ما جاء بك؟"، فقال: "أنا ابن ملك الأندلس، وليس بينك وبينها إلاَّ هذا.........إلى جبالها يُريه إياها.قال له طارق: "ما جـــاء بك؟"،قال له: "إنَّ أبي مــات ووثب على مملكتنا بطريقٌ يُقــال له"لُذريق"، وبلغني أمركم وجئت إليكم أدعوكم إليها، وأكون دليلكم عليها".

ومع طارق اثنى عشر ألفاً من البربر، فعزم طارق على غزو الأندلس واستنفر البربر، فجعل أليان يحمِل البربر في مراكب التُجار التي تختلِف إلى الأندلس، ولا يشعر بهم أهل الأندلــس، ولا يظنـــون إلاَّ أنها تختلف به من منافعهم ومعايشهم ومتاجرهم، فجعل ينقلهم فوجاً فوجاً إلى ساحـــل الأندلس، وقد تقدَّم أليان إلى أصحاب المراكب أن يعلموا بهم..

وموسى بن نُصير بإفريقية لا يعلم شيئاً من هذا،فلمَّا بلغ ملوك الأندلس،نفروا إلى الملك الأعظم، وهو لُذريق....

...وبلغ موسى بن نصير أنَّ طارق بن زياد فتح الأندلس ودخلها، فخاف أن يحظى بذلك عند الخليفة، فغضب غضباً شديداً، وكتب إليه يُعنِّفه: إذ دخلها بغير أمره، وأمره أن لا يُجاوز قرطبة،وأمر موسى الناس بالرحيل ورحل معه وجوه العرب، وكان مخرجه في رجب سنة ثلاث وتسعين....

فلما وصل موسى إلى قرطبة، استجار طارق بابنه عبد العزيز فشفع له عند أبيه ودخل موسى قرطــبة فأتاه طارق بن زياد فترضَّاه،وقال: " إنَّما هذا الفتح لك،وإنَّما أنا مولاك" فقبل منه وعفى عنه، فتكامـلت بقرطبة الجيوش من العرب والبربر فصـــاروا في خلقٍ عظيم، فلما رأى موسى بن نصير ذلك دعا بطارق بن زياد، فوجَّهه على أعنة الخيل إلى مدينة طليطلة."

الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقيَّة والمغرب**، تح.محمد عزب، دار الفرجاني، **1994**، ط.**1**، ص.**52** وما بعدها-بتصرف-.

مُلحق رقم -4-

رواية فتح طارق بن زياد للأندلس بعد إشارة موسى بن نُصير له بذلك.

" وقال غريب: إنَّ العلج يُليان، صاحب الجزيرة الخضراء، داخل موسى بن نصير، صاحب إفريقية، عام 91، على يد طارق بن زياد عامل موسى على طنجة وما والاها؛ فراسل يُليان موسى، يُزيِّن عنـده دخول الأندلس، ويُقرِّب له أمرها،وقيل بل سار إليه بنفسه في البحر،حتَّى اجتمع به في ذلك؛ فاستشلر موسى الوليد بن عبد الملك، إمَّا مراسلة (وهو الأكثر والأظهر)، وإمَّا بأن نهض إليه بنفسه إليه؛ فأشار الوليد بأن يختبرها بالسرايا،ولا يُغرِّر بالمسلمين،فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر، يُسمى طريفاً ويُكنَّى أبا زرعة، في مائة فارس وأربعمائة راجل، فجاز في أربعة مراكب، حتَّى نزل في ساحل البحر بالأندلس، فيما يُحاذي طنجة، وهو المعروف اليوم بجزيرة طريف، سُميت باسمه لنزولـه هنالك، فأغار منها على ما يليها إلى جهة الجزيرة الخضراء، وأصـاب سبياً ومالاً كثيراً، ورجع سالماً، وكانت إجازته في شهر رمضان من سنة 91.

وقد اتَّفق الجميع فيما يظهر على أنَّ مُتولِّي كِبر فتح الأندلس وجلِّه ومُعظمه طارقٌ بن زياد.......... وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفاً من البربر، فأجمع طارق على غزو الأندلس، بعد أن أخذ إذن ابن نصير مولاه في ذلك؛..."

ابن عذاري: **البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب،** تح. ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، **1980**، ط.**2**، ج.**2**، ص.**4** وما بعدها. -بتصرف-.

مُلحق رقم-5-

رواية معركة وادي لُكة (وادي الطين) حسب الرقيق القيرواني

"...فلمَّا بلغ ملوك الأندلس خبرُه (يعني طارق)، نفروا إلى الملك الأعظم، وهو لُذريق، وكان طاغياً في جموعٍ عظيمة على دين النصرانية، وزحف إلى طارق في عدة عظيمة وعاد بسريرٍ من ذهب مكلّلٍ بالدر والياقوت، فشدَّ السرير على ....، وحفَّت به الرجال، وقعد لُذريق على سريره، وعلى رأسه تاجٌ وعليه قفازان مكلَّلان بالدر والياقوت وجميع الحلية التي يلبسها الملوك قبله، فلمَّا انتهى إلى الجبـــل الذي فيه طارق، خرج إليه طارق وجميع أصحابه رجَّالة ليس فيهم راكب، فشمَّروا للموت فقال لرجاله: "ليس هم أحق بالموت منكم،قد دخلوا عليكم بلادكم!"،ونادى بالنزول فنزل العسكر...فمشى بعضهم إلى بعض بالسلاح، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فوقع الصبر حتَّى ظنَّ الناس أنَّه الفناء، وتواخذوا بالأيدي وضرب الله –عزَّوجلَّ–وجوه أعدائه،فانهزموا وأُدرِك لُذريق فقُتِل بوادي الطين، وركب آثارهم وكان الجبل وعراً فكان البربر أسرع منهم على أقدامهم،فسبقوهم إلى خيلهم فركبوا خيولَهم البربر، ووضـــعوا فيهم السيف وأبادوهم ولم يرفعوا عنهم السيف ثلاثة أيامٍ ولياليها،فمكثت جيفهم دهراً، وبقيت عظامهم إلى حديثٍ من الزمان."

الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص ص.**53-54**.

مُلحق رقم-6-

الأمير الحَكَم بن هشام ووقعة الربض سنة 202هـ/817م.

"..كانت (للحَكَم) الواقعة الشهيرة مع أهل الربض من قرطبة، لأنَّه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذَّاته، فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة، مثل يحي بن يحي اللَّيثي، صاحب مالك وأحد رواة المُوطَّأ عند طالوت الفقيه وغيرهما، فثاروا به وخلعوه، وبايعوا بعض قرابته، (هو محمد بن القاسم، –عند ابن خلدون–)، وكانوا بالربض الغربي من قرطبة، وكان محلة مُتَّصلة بقصره، فقاتلهم الحَكَم فغلبهم، وافترقوا وهدَّم دورهم،ومساجدهم،ولحقوا بفاس من أرض العُدوة،وبالإسكندرية من أرض المشرق،ونزل بها جمعٌ منهم، ثمَّ ثاروا بها،فزحف إليهم عبد الله بن طاهر، صاحب مصر للمأمون بن الرشيد، وغلبهم، وأجازهم إلى جزيرة إقريطش، فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدَّة."

ابن خلدون: **التاريخ**،ضبط واعتناء.خليل شحاتة ومراجعة سُهَيل زَكَّار، دار الفكر، بيروت، **2000**، ج.**4**، ص ص.**161–162** ؛ المقري: المصدر السابق، ج.**1**، ص.**399**.

مُلحق رقم -7 -

مرسوم تولية العهد لعبد الرحمان ابن المنصور (شنجول) مِن قِبل الخليفة هشام المؤيد بالله سنة 399هـ/1009م.

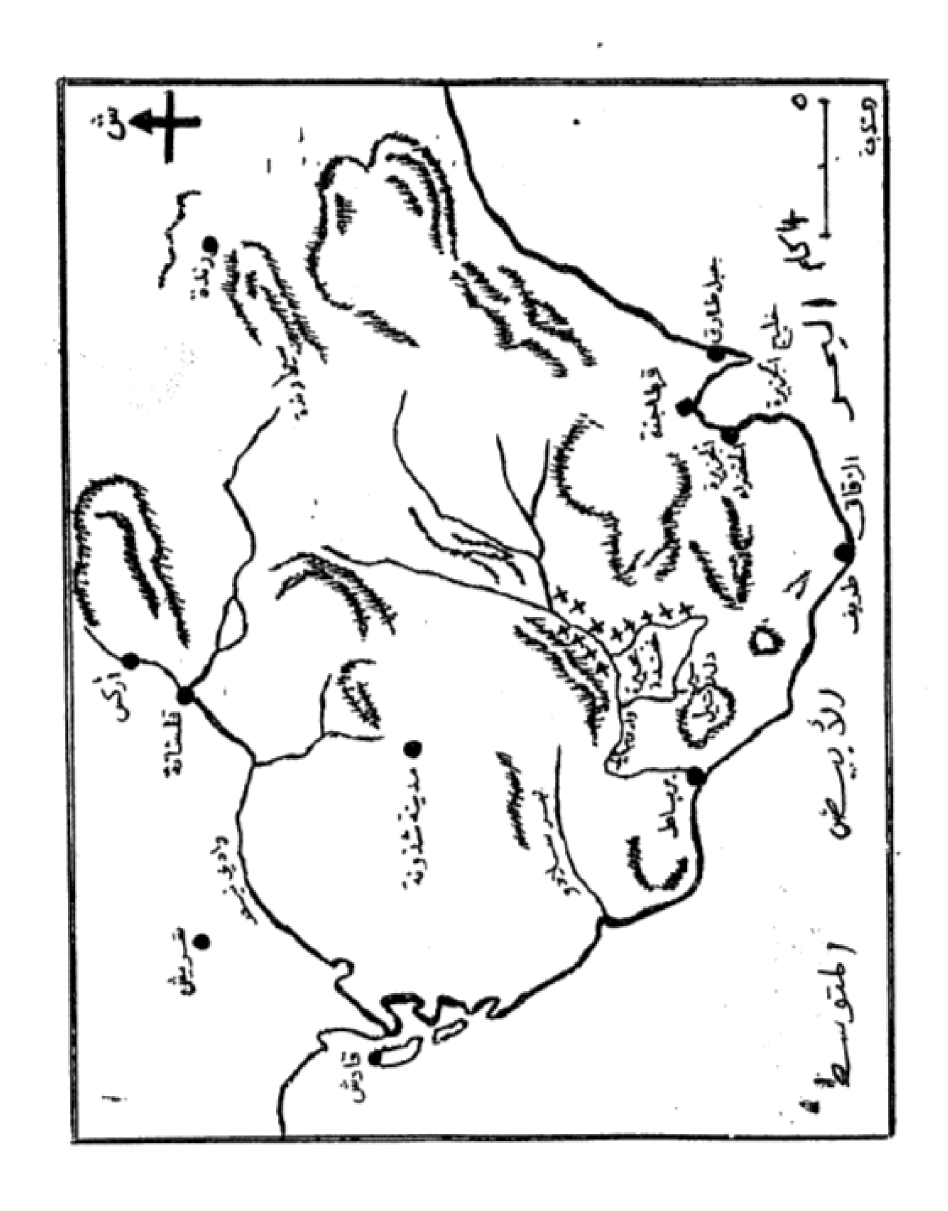
"هذا ما عهد به هشام المؤيّد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامة، وعاهد الله عليه من نفســه خاصــة، وأعطى به صفقة يمينه بيعةً تامة،بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة،وأهمَّه ما جعل الله إليه من الإمامة، وعصب به من أمر المؤمنين، واتقى حلول القدر بما لا يؤمَن، وخاف نزول القضاء بما لا يُصرف،وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الأمة عَلما تأوي إليه، وملجأ تنعطف عليه، أن يكون يلقى ربه –تبارك وتعالى–، مُفرِّطاً ساهياً عن أداء الحـــق إليها، وتقصَّى عند ذلك من أحيــاء قريش وغيرها من يستحق أن يُسند هذا الأمر إليه،ويُعوَّل في القيام به عليه، ممن يستوجبه بدينه وأمانته، وهديه وصيانته، بعد اطِّراح الهوى، والتحرّي للحق، والتزلُّف إلى الله –جلَّ جلاله–بما يرضـــيه، وبعد أن قطع الأواصر، وأسخط الأقارب، فلم يجد أحداً أجدر أن يوليه عهده، ويفوِّض إليه الخلافـــة بعده، لفضل نفسه وكرم خِيمِهِ، وشرف مرتبته، وعلو منصبه،مع تُقاه وعفافه وحزمه،من المأمون الغيب، الناصح الجيب، أبي المُطرف عبد الرحمان بن المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر،وفَّقه الله، إذ كان أمـير المؤمنين،– أيَّده الله تعالى– قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره، فرآه مُسارعاً في الخيرات، سابقاً في الحلبات، مستولياً على الغايات،جامعاً للمأثُرات، ومن كان المنصور أباه، والمظفَّر أخاه، فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه، ويحوي من خلال الخير ما حواه، مع أنَّ أمير المؤمنين–أيَّده الله– بما طالع من مكنون العلم، ووعاه من مخزون الأثر، يرى أن يكون ولي عهــده القحـطاني الذي حـدَّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم،قال:"لا تقوم الساعة حتَّى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه. فلما استوى له الاختيار،وتقابلت عنده فيه الآثار، ولم يجد عنه مذهباً، ولا إلى غيره معدِلاً، خرج إليه من تدبير الأمور في حياته، وفوَّض إليه الخلافة بعد وفاته، طائعاً راضياً مجتهداً، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه،وأنجزه وأنفذه، ولم يشرط فيه مثنوية ولا خياراً،وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه،وذمة نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه، وذمة نفسه، أن لا يبدّل ولا يغيِّر ولا يحــول ولا يــزول، وأشهد الله على ذلك والملائكة، وكفى بالله شهيداً..".

المقري: المصدر السابق، ج.**1**، ص ص.**424-425**.

الخرائـــط

خريطة - رقم 1-

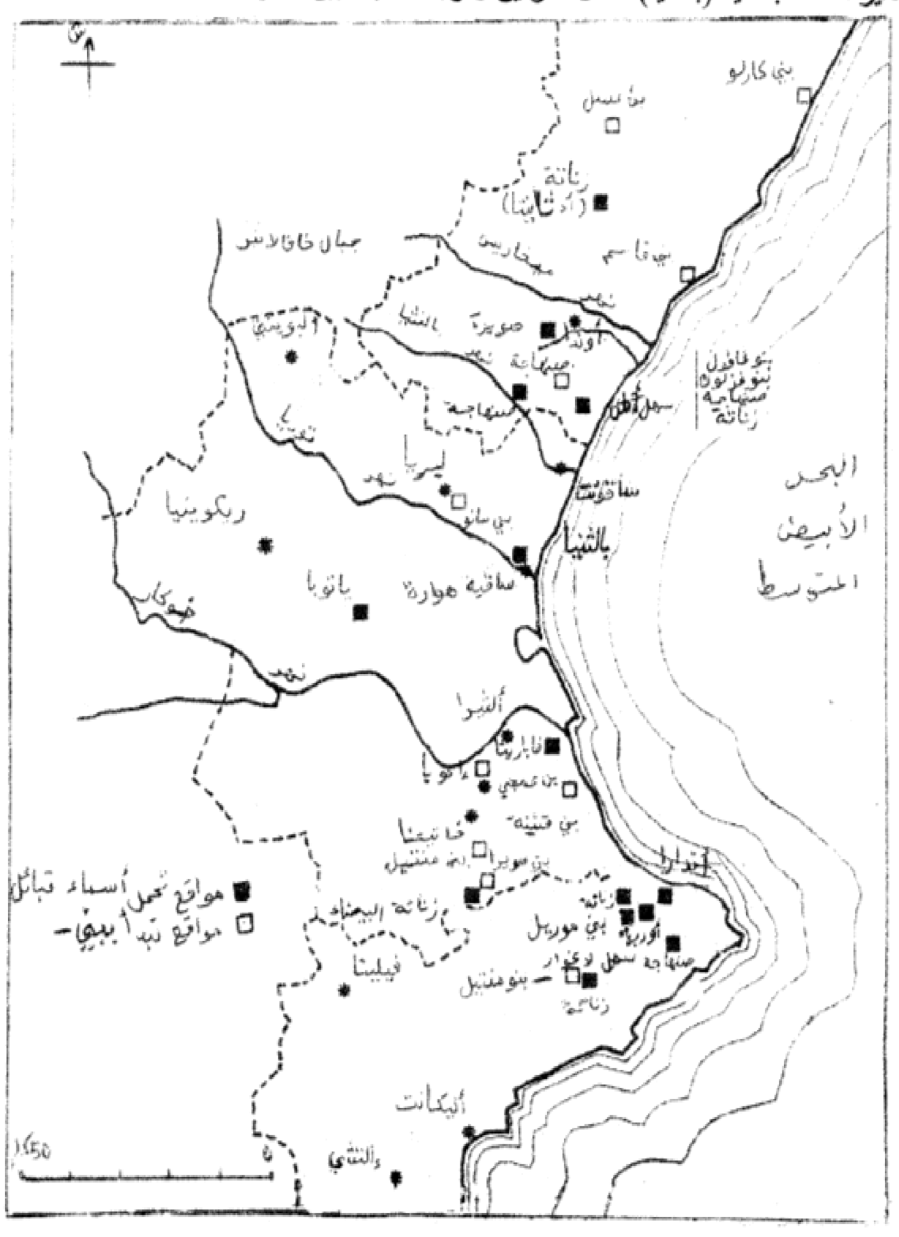
موقع معركة وادي لَكَّة



المصدر: مؤنس (حسين): **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، **1996**، ط.**1**، ج.**2**، ص.**404**. -بتصرُّف-.

<u>**خريطة - رقم 2-**</u>

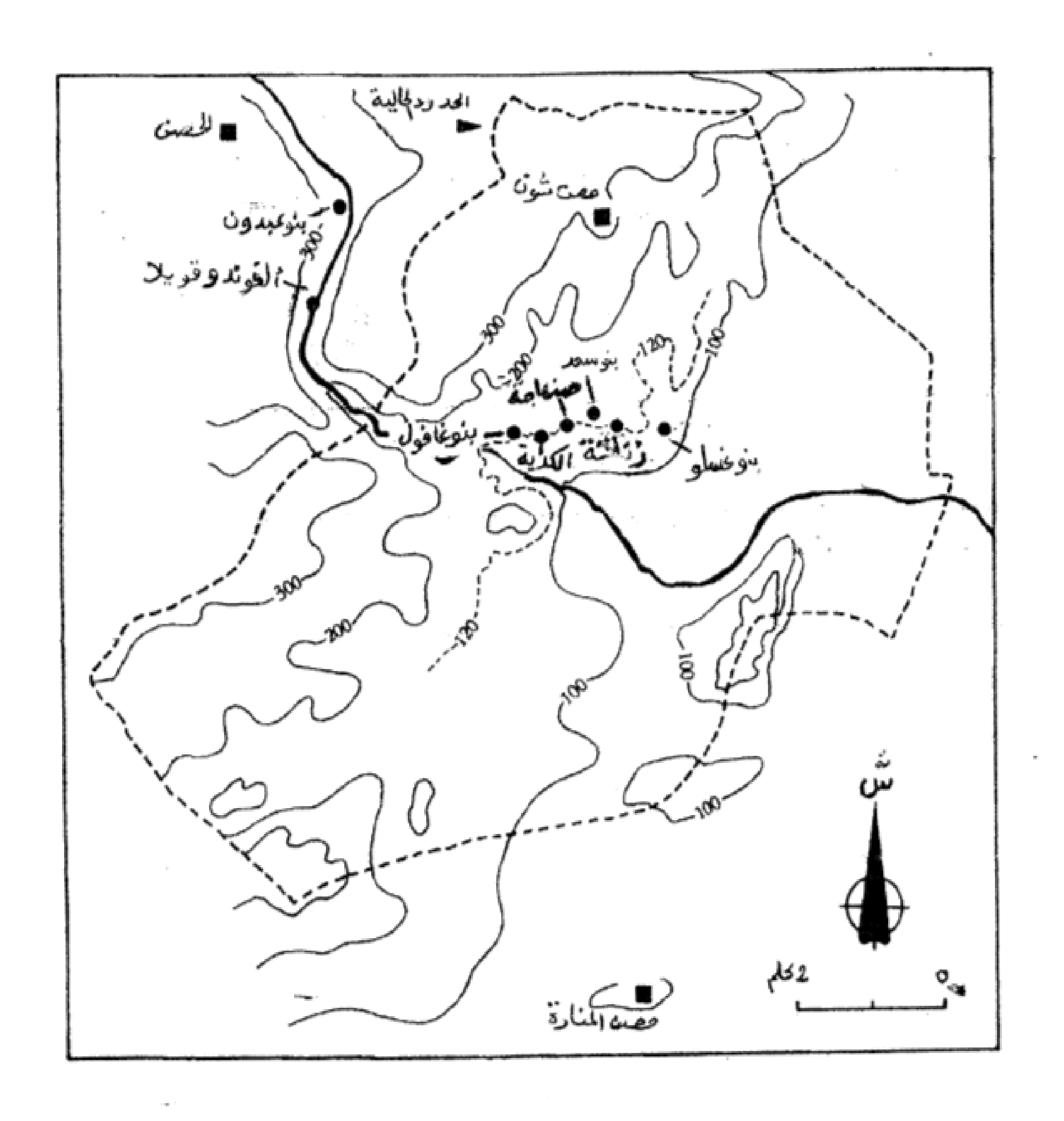
تعمير منطقة بلنسية (بالنثيا) خلال القرنين 8 و10 الميلاديين/ 2 و8 الهجريين.



Guichard (P) :"**Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination musulmane**", in : Casa de Velázquez, Vol.**5**, **1969**, p.**157**. -بتصرف-

خريطة -رقم 3-

أسماء لمواقع بربريّة بمنطقة آش (بكاستيلون الحاليّة)



Bazzana (A) :¨**Villages et territoires andalous.Quelques aspects du peuplement médiéval et de l'exploitation agraire dans Al-Andalus**¨,RURALIA II ¨Památky archeologické-Supplementum¨, Praha, **1998**, p.**144**. -بتصرّف-

قائمة المَصادِر والمَراجِع

أ)– قائمة المَصادر العربيَّة :

1)- ابن الأبَّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي) (ت.**658هـ/1260م**): **الحلَّة السيراء**، تح. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، **1981**، ط.**2**.(جزءان).

2)- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشَيباني) (ت.**630هـ/1232م**): **الكامل في التاريخ**،تح.أبي الفدا عبدالله القاضي،دار الكتب العلميَّة،بيروت،**1987**، ط.**1**.(**11**جزء).

3)- الإدريسي (أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي) (ت.**569هـ / 1164م**) : **المَغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نُزهة المُشتاق في اختراق الآفاق**، نشر دوزي ودي غويي، مطبعة ليدن المحروسة، **1863**.

4)- البكري (أبوعُبيد عبد الله بن عبد العزيز) (ت.487هـ/1094م) : **المسالك والممالك**، تح.جمال طُلبة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، **2003**، ط.**1**.(جزءان).

5)- البلاذُري (أبو العبَّاس أحمد بن يحي بن جابر)(ت.**279هـ/892م**): **فتوح البلدان**، تح. عبد الله أنيس الطبَّاع، مؤسسة المعارف، بيروت، **1987**.

6)- ابن حزم (أبومحمد علي بن سعيد)(ت.**456هـ/1064م**): **جمهرة أنساب العرب**،تح.ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، القاهرة، **1948**.

7)- ====: **جمهرة أنساب العرب**، تح. عبد السلام محمد هارون،دار المعارف، القاهرة، ط.**5**.

8)- ====: **التلخيص لوجوه التخليص**، تح. عبد الحق التركماني، مركز البحوث الإسلاميَّة- دار ابن حزم، غوتبورغ - بيروت، **2003**، ط.**1**.

9)- الحُمَيِّدي (أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي)(ت.**488هـ/1095م**): **جَذوة المُقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح.روحية عبد الرحمان السُويفي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، **1997**، ط.**1**.

10)- الحِميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)(ت.**866هـ/1461م**): **الروض المِعطار في خبرالأقطار**، تح.إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، **1984**، ط.**2**.

11)- ====: **صِفة جزيرة الأندلس مُنتَخبة من كتاب الرَوض المِعطار**، نشر وتصحيح. ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، **1988**، ط.**2**.

12)- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) (ت.**367هـ/977م**) : **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياةللطباعة والنشر،بيروت،**1992**.

13)- ابن حيَّان الأندلسي (أبو مروان حيَّان بن خلف) (ت.**469هـ/1076م**): **المُقتبس في أخبار بلاد الأندلس** (الجُزء المتعلِّق بالفترة **232-238هـ/846-852م**)،تح.محمد علي مكِّي، لجنة إحياء التُّراث الإسلامي، القاهرة، **1994**.

14)- ====: **المُقتبس في أخبار بلاد الأندلس** (الجُزء المتعلِّق بالفترة **360-364هـ/970-974م**)،شرح واعتناء.صلاح الدين الهواري،المكتبة العصريَّة،صيدا-بيروت،**2006**،ط.**1**.

15)- ====: **المُقتبس في أخبار بلاد الأندلس** (الجُزء المُتعلِّق بفترة الأمير عبد الله **275-300هـ/ 888-912م**)، تح. إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، **1990**، ط.**1**.

16)- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإشبيلي) (ت.**529هـ/1134م**): **مَطمَح الأنفُس ومَسرَح التأنُّس في مُلَح أهل الأندلس**، تح. هدى شوكة بهنام، مجلة المورد العراقيَّة، بغداد، م.**10**، ع.**2**،**3**و**4**، وم.**11**، ع.**2**و**3**، **1981-1982**.

17)- ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد الحَضرمي) (ت.**808هـ/1406م**) : **التاريخ**، ضبط واعتناء. خليل شحاتة ومراجعة سُهيل زكَّار، دار الفكر، بيروت، **2000**. (**8**أجزاء).

18)- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين ==) (ت.**776هـ/1374م**) : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، شرح وضبط. يوسف علي طويل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، **2003**، ط.**1**.(**4**أجزاء).

19)- ====: **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة)**، تح. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، **1956**.

20)- ابن دِحية الكَلبي (عمرو بن الحسن بن علي)(ت.**633هـ/1235م**):**المُطرب من أشعار أهل المَغرب**، المكتبة العصريَّة، بيروت، **2008**، ط.**1**.

21)- الرشَّاطي (أبومحمد)(ت.**469هـ/1076م**) وابن الخرَّاط الإشبيلي (ت.**581هـ/1186م**): **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**، تح.مولينا وخاثينتو بوسك بيلا،المجلس الأعلى للأبحاث العلميَّة ومعهد التعاون مع العالم العربي،مدريد، **1990**.

22)- الرقيق القيرواني (ت. بُعَيْد **417هـ/1026م**): **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح. محمد عزب، دار الفرجاني، **1994**، ط.**1**.

23)- ابن سعيد الغرناطي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك) (ت.**685هـ/1276م**): **المُغرب في حُلى المَغرب**،وضع حواشيه.خليل المنصور،دار الكتب العلميَّة، بيروت، **1997**،ط.**1**.(جزءان).

24)- ابن عبد ربِّه(أحمد بن محمد)(ت.**328هـ/939م**):**العقد الفريد**،المكتبةالعصريَّة،صيدا-بيروت، **2009**.(مجلَّدان).

25)- ابن عبد الحَكم (عبد الرحمان بن عبدالله)(ت.**257هـ/871م**):**فُتوح إفريقية والأندلس**، تح.عبدالله أنيس الطبَّاع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، **1987**.

26)- عبد الواحد بن علي المُراكشي (ت.**647هـ/1249م**) : **المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرِب**،وضع حواشيه.خليل عمران المنصور،دار الكتب العلميَّة،بيروت،**1998**،ط.**1**.

27)- ابن عذاري المُراكُشي (ت.ق.**8**هـ/**14**م):**البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرِب،** ج.1، تح. ج. س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، **1983**، ط.**3**.

28)- ====: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرِب،** ج.**2**، تح. ج.س.كولان وإ.ل. بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، **1980**، ط.**2**.

29)- ====: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرِب،** ج.**3**، تح.ج.س.كولان و إ.ل. بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، **1983**، ط.**3**.

30)- ابن العُذري (أبو العبَّاس أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي)(ت.**478**هـ/**1085**م): **نصوص عن الأندلس من كتاب" ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبُستان في غرائب البُلدان والمَسـالك إلى جميع المَمـالك"**، تح. عبد العزيز الأهواني، معهد الدِّراسات الإسلاميَّة بمدريد، **1965**.

31)- ابن الفَـرضي (أبو الولـيد عبدالله بن محمد بن يـوسف الأزدي) (ت.**403**هـ/**1012**م): **تاريخ العلماء والرُواة للعلم بالأندلس،** تح.السيِّد عزت العطَّار، مكتبة الخانجي، القاهرة، **1988**،ط.**2**.(جزءان).

32)- الفيروزآبادي (أبوالوفا نصر الهوريني المِصـري الشافعي) (ت.**1291**هـ/**1874**م): **القاموس المُحيط،** دار الكتب العلميَّة، بيروت، **2009**، ط.**3**.(مجلد واحد).

33)- ابن قُتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري)(ت.**276**هـ/**889**م):**الإمامة والسِّياسة (تاريخ الخُلفاء)**، تح.علي شيري، دار الأضواء، بيروت، **1990**، ط.**1**.(مجلدان).

34)- ابن القوطية(أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز) (ت.**367**هـ/**977**م):**تاريخ افتتاح الأندلس،** تح.إسماعيل العربي، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، **1989**.

35)- ====:**تاريخ افتتاح الأندلس،** تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، **1989**، ط.**2**.

36)- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر) (ت.**774**هـ/**1372**م): **البداية والنِّهاية،** تح. جودة محمد جودة ومحمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، القاهرة، **2006**، ط.**1**.(7أجزاء).

37)- ابن الكردَبوس (أبو مروان عبد الملك) (ق.**6**هـ/**12**م): **تاريخ الأندلس (الاكتفاء في أخبار الخُلفاء)**"، نص جديد، تح. أحمد مختار العبَّادي، صحيفة معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، مدريد، **1965- 1966**، م.**13**.

38)- الإمام مالك بن أنس (ت.**179**هـ/795م):**المُدوَّنة الكبرى برواية سَحنون بن سعيد،** ضبط وتخريج الأحاديث.محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، **2004**.

39)- مجهول (مؤلِف) (ق.4هـ/10م): **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحُروب الواقعة بها،** تح. إسماعيل العربي، المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر،**1989**.

40)- ==== (ق.**8هـ/14**م): **تاريــخ الأندلــس**، تح. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، **2007**، ط.1.

41)- ==== (ق**8هـ/14**م): **ذكـر بـلاد الأندلـس**، تح. و تر. لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلميَّة، مدريد، **1983**.

42)- ==== (ق.**8هـ/14**م): **مفاخر البربر**،تح. عبد القادر بوباية ،دار أبي رقراق للطِّباعة والنشر، **2005**، ط.**1**.

43)- المَسعودي (أبو الحسن بن علي) (ت.**346هـ/957**م): **مُروج الذهب ومَعادن الجوهر**، اعتنى به كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، **2008**.(مجلد واحد).

44)- المَقري (شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد التِلِمْساني) (ت.**1041هـ/1631**م): **نَفحُ الطِيب من غُصن الأندلــس الرَطيب**، تح.إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، **2008**، ط.**5**.(**8**أجزاء).

45)- الناصري السلاوي(أبو العبَّاس أحمد بن خالد)(ت.**1315هـ/1897**م): **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقــصى**، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، **1954**.

46)-ياقوت الحَمـوي (شـهاب الدين أبو عبد الله ياقــوت بن عبد الله) (ت.**626هـ/1228**م): **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، **1995**، ط.**2**.(**7**أجزاء).

ب)– قائمة المَراجع العربيَّة :

47)- أرسلان (شكيب): **تاريخ غَزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجــزائر البحر المُتوسط**، المكتبة العصريَّة، صيدا-بيروت، **2008**، ط.**1**.

48)-إسماعيل (محمود): **الأدارسة (182-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، **1991**،ط.**1**.

49)- الحَجّي (عبد الرحمان) : **التَّاريــخ الأندلــسي من الفتح حتَّى سقـوط غرناطــة**، دار القلم، دمشق، **2008**، ط.**2**.

50)- حسن (حسن إبراهيم): **تاريــخ الإسلام السِّياسي والدِّيني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت، **1996**، ط.**14**.

51)- حسين (حمدي عبد المنعم): **تاريــخ وحــضارة المغـرب والأندلـس**، دار المعرفة الجامعية، **2007**.

52)- ====: **ثـورات البربر في الأندلــس في عصــر الإمــارة الأمــوية**، مؤسسة شباب الجَّامعة، اسكندريَّة،**1993**.

53)- ====:**دولة بني بَرزال في قَرمونة**، مؤسسة شباب الجَّامعة، اسكندرية، **1990**.

54)- حَقي (محمد): **البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأمويَّة**، شركة النشر والتوزيع-المدارس،الدار البيضاء،**2001**، ط.**1**.

55)- بن حَمادي (صالح) : **دراسات في الأساطير والمُعتقدات الغيبيَّة**، دار بوسلامة للطِّباعة والنشر والتوزيع، تونس، **1983**، ط.**1**.

56)- حَمود (سوزي): **الأندلس في العصر الذهبي منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمان الثَّالث (النَّاصر لدين الله)**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، **2009**، ط.**1**.

57)- الخَلف (سالم بن عبد الله): **نُظُم حُكم الأمويِّين ورُسومهم في الأندلس**، الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنوّرة، **2003/1424**، ط.**1**.(جزءان).

58)- الدرَّاجي(بوزياني): **القبائل الأمازيغيَّة**،دار الكتاب العربي،الجزائر،**2007**.(جزءان).

59)- دويدار (حسين يوسف) : **المُجتمع الأندلُسي في العصر الأموي**، مطبعة الحُسين الإسلاميَّة، القاهرة، **1994**، ط.**1**.

60)- زيتون (محمد محمد): **المُسلمون في المغرب والأندلس**، د.ط، **1990**.

61)- سالم (السيّد عبد العزيز): **تاريخ المُسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتَّى سُقوط الخلافة بقرطبة)**، مؤسسة شباب الجَّامعة، **2006**.

62)- ====:**قرطبة حاضرة الخلافة**،دار النَّهضة العربيَّة،بيروت،**1971-1972**.(جزءان).

63)- شاكر (مصطفى): **الأندلس في التاريخ**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، **1990**.

64)- شامي (يحي): **عبد الرحمان النَّاصر آخر الأمراء وأوّل الخلفاء الأمويِّين بالأندلس**، دار الفكر العربي، بيروت، **2005**، ط.**1**.

65)- شَفيق (محمد) : **لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيِّين**، المُحافظة السَّامية للأمازيغيَّة، الجزائر، 1997.

66)- الصوفي (خالد): **"تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمان الدَّاخل إلى عبد الرحمان النَّاصر 138-350هـ/755-960م**، منشورات جامعة قار يونس، **1980**، ط.**2**.

67)- طه(عبد الواحد ذنون):**الإسلام في المغرب والأندلس كيف انتشر ولماذا؟**،دار المدار الإسلامي، بيروت، **2009**، ط.**1**.

68)- ==== وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتُهم في الأندلس**،دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، **2000**، ط.**1**.

69)- ====: **تُراث وشخصيات من الأندلس**،دار المدار الإسلامي،بيروت، **2009**، ط.**1**.

70)- ====: **دراسات في التَّاريخ الإسلامي**، دار المدار الإسلامي،بيروت، **2004**، ط.**1**.

71)- ====: **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**،دار المدار الإسلامي، بيروت-طرابلس، **2004**.

72)- طَقُّوش(محمد سُهيل):**تاريخ المسلمين في الأندلس**،دار النفائس،بيروت،**2010**، ط.**3**.

73)- العَبَّادي(أحمد مختار):**صُور من حياة الحرب والجِّهاد في الأندلس**،منشأة المعارف، الإسكندريَّة، **2000**، ط.**1**.

74)- عبد اللَّطيف(عبد الشافي محمد): **العالم الإسلامي في العصـــر الأموي (41-132هـ/ 661-750م**،،دار السلام للطِّباعة والنشر والتوزيع والتَرجمة،القاهرة،**2008**،ط.**1**.

75)- العُتيبي (فوزي عناد القبوري): **فُقهاء الأندلس والمشروع العامري (367-399هـ/ 978- 1009م**، دار كنوز أشبيليا للنَّشر والتَّوزيع، الرياض، **2010**، ط.**1**.

76)- العدوي (إبراهيم): **موسى بن نُصير مُؤسس المَــغرب العربي**، دار الكاتب العربي، د.ط، **1967**.

77)- عَقون (محمد العربي): **الاقتصـــاد والمجتمع في الشـــمال الإفريقي القديم**، د.م.ج، الجزائر،**2008**.

78)- بن عميرة(محمد): **دور زناتة في الحركة المذهبيَّة بالمغرب الإسلامي**، موفم للنشر، الجزائر،**2011**.

79)- عنّان (محمد عبدالله):**دولة الإسلام في الأندلـــس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، **1997**، ط.**4**. (ق.**1**و**2**).

80)- عويس(عبد الحليم): **إحراق طارق للسفن أسطورة لا تاريخ**، دار الصَّحوة، القاهرة، **1995**، ط.1.

81)- الغُنيمي (عبد الفتاح مقلد): **معـــركة بلاط الشهداء في التاريـــخ الإسلامي والأوربي (رمضان 114هـ/ أكتوبر732م)**، عالم الكتب، القاهرة، **1996**، ط.**1**.

82)- فكري(أحمد):**قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة**، مؤسسة شباب الجَّامعة، الإسكندريَّة، **1983**.

83)- فهيم(حسين): **قصة الأنثروبولوجيا**، سلسلة عالم المعرفة ،ع.**98**، الكويت، **1986**.

84)- فيلالي (عبد العزيز): **العلاقات السِّياسيَّة بين الدولـة الأمويَّة في الأندلـــس مع دول المغرب**، دار الفجر للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1999، ط.**2**.

85)- ====: **المظاهر الكبرى في عصـــر الولاة ببلاد المــغرب والأندلـــس**، دار هومة، الجزائر،**2008**.

86)- لطف(عمر مصطفى): **تاريخ الصَّقالبة في الأندلس**، مركز البرنس للطِّباعة،**2003**، ط.**1**.

87)- لَقبال(موسى):**المغرب الإسلامي منذ بناء مُعسكرالقرن حتَّى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم**، م.و.ك، الجزائر، **1984**.

88)-مؤنس(حسين) : **رواية جديدة عن فتح الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينيَّة، **2000**.

89)- ====: **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينيَّة، د.ت.

90)- ====: **فجر الأندلس**،العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل،بيروت،**2002**، ط.**1**.

91)- ====: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرَّشاد، مصر، **2004**.

92)- ====:**موسوعة تاريخ الأندلس**،مكتبة الثقافة الدينيَّة،القاهرة،**1996**،ط.**1**.(جزءان).

93)- مجَّاني (بوبة): **أثر العرب اليمنيَّة في تاريخ بلاد المغرب في القــرون الثلاثة الأولى للهجرة**، دار بهاء الدين-عالم الكتب الحديث، الجزائر-الأردن، **2009**، ط.**1**.

94)- مَراد (يحي): **افتراءات المستشرقين على الإسـلام والردُّ عليها**، دار الكتب العلميَّة، بيروت،**2004**، ط.**1**.

95)- أبومصطفى(كمال السيّد): **بُحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي**، مركز اسكندريَّة للكتاب، الإسكندريَة، **1997**.

96)- النجّار(حمادة فرج) : **الصَّقالبة في قصـــور بني أميَّة في الأندلـــس**، مؤسسة شباب الجَّامعة، الإسكندريَّة، **2011**.

97)- نصرالله(سعدون): **تاريخ العرب السِّياسي في الأندلس**،دار النَّهضة العربيَّة،بيروت، **1998**، ط.**1**.

98)- ====:**دولة المُرابطين في المغرب والأندلس**،دار النَّهضة العربيَّة،بيروت، **1985**، ط.**1**.

99)- الهاشمي(عبد المنعم): **الخلافة الأندلسيَّة**، دار ابن حزم، بيروت، **2007**، ط.**1**.

100)- يوسف (جودت عبد الكريم): **العلاقات الخارجيَّة للدولة الرُستميَّة**،م.و.ك،الجزائر، **1984**.

ج)– المراجع المُترجمة إلى العربيَّة :

101)- أولاغي (إغناثيو) : **العـرب لم يغـزوا الأندلـــس (الثورة الإسلاميَّة في الغرب)**، تر. إسماعيل الأمين، رياض الريّس للكتب والنشر، لندن، **1991**، ط.**1**.

102)- بالنثيا (أنخيل جونثالث) : **تاريخ الفكر الأندلـسي**، تر. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، **1955**.

103)- بروكلمان (كارل) : **تاريخ الشعوب الإسلاميَّة**،تر.نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي،

دار العلم للملايين، بيروت، **1968**.

104)- دوزي(رينهارت) : **المُسلمون في الأندلس**،تر.حسن حبشي،الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، القاهرة، **1994-1995**.(**3**أجزاء).

105)- كربخال (مرمول): **وصـف إفريقيا**، تر. محمد حجّي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط،**1984**.(**3**أجزاء).

106)- كولان (ج.س.) : **الأندلـــس**، تر. إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، **1980**، ط.**1**.

107)- لوثينا (لويس سيكودي): **الحمُّوديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء**، تر. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، **1992**، ط.**1**.

108)- وات (مونتغمري) : **في تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة**، تر. محمد رضا العُمري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، **1998**، ط.**2**.

109)- الوزَّان(الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي) (ت.بعد عام **957**هـ/**1550**م): **وصف إفريقيا**،تر.محمد حجّي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،**1983**،ط.**2**.

د)– المقالات والدِّراسات مِن الدَّوريات والمجلاَّت والنَّدوات :

110)- أحمد (نهلة شهاب):" **الأهمِّية السِّياسيَّة والعسكريَّة لمضيق جبل طارق في تاريـخ المغرب والأندلس من الفتح حتَّى سقوط الخلافة(92-422هـ/710-1030م)**"،مجلة الأحمدية،دار البحوث للدراسات الإسلامية-دار إحياء التُّراث،دبي،**1423**ه/ **2002**م، ع.**11**، ص.(**337-380**).

111)- بوباية (عبد القادر): "**علاقة الرستميين بالإمارة الأمويَّة بالأندلـس**"، مجلة التُّراث العربي، دمشق، ع.**99-100**، ص.(**381-392**).

112)- بوتشيش (إبراهيم القادري): " **الانحـــسار العربي في الأندلـــس من أواخر عصـــر الإمـــارة هل كان وراءه تفـوُّق مسيــحي؟**"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، **1987**، **1987**، ع.**34**، ص.(**174-185**).

113)- بوستو(جيليرمو جوثالبس)وكرابيوتو(انريكي جوثالبس): "**ثـورة البربر في شمـــال إفريقيا سنة 122هـ/740م ونتائجها على الأندلـس**"، السجِّل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلّبات والعطاءات،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، **1996/1417**، ق.**1**، ط .**1**، ص.(**435-453**).

114)- حاجيات(عبدالحميد):"**الجزائر من الفتح الإسلامي إلى تأسيس الدولة الرستميَّة**"، الجزائر في التاريخ، م.و.ك، الجزائر، **1984**، ج.**3**، ص.(**41-72**).

115)- الحَجّي(عبدالرحمان):"**بداية فتح الأندلس**"،مجلة المُجتمع،الكويت،ع**2007/02/17**، ص.(الأخيرة).

116)- الخانجي (عبد الرحمان عبد الرؤوف): "**أثر فتنة قرطـبة على المُرتَّكزات النفسيَّة والأخلاقيَّة لابن حزم الأندلــسي في كتابه < طـوق الحـمامة >**"، السجل العلمي لندوة الأندلــس قرون من التقلُّبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، **1996/1417**، ق.**1**، ط.**1**، ص.**(133-157)**.

117)- خَمّاش(نجدة):"**الإدارة في الأندلــس في عهد عبد الرحمان الدَّاخل**"،مجلة دراسات تاريخية، دمشق، **1987**، ع.**25-26**، ص.**(63-79)**.

118)- الراشد (عبد الجليل عبد الرضا): "**الحالة السِّياسيَّة في الأندلـــس في عهد دُويلات الطوائف**"، مجلة المورد العراقيَّة، بغداد، **1974**، ع.**12**، ص.**(55-66)**.

119)- ===:"**دور البربر في سقوط الدولة الأمويَّة في الأندلــس**"،مجلة المؤرخ العربي، بغداد، **1975**، م.**3**، ع.**3**، ص.**(80-91)**.

120)- ===: "**الفـوضى العسكريَّة في الأندلـــس في عصـــر الولاة**"، المجلَّة التاريخيّة، بغداد،**1975**، ع.**5**، ص.**(182-192)**.
.

121)- زهري (خالد) :"**ابن أبي زيـــد القيرواني ومذهبيته الكلاميَّة**"، مقالات حول ندوة إشعاع القيروان عبر العصور، بيت الحِكمة، تونس، **2009**،ج.**2**،ص.**(467-567)**.

122)- الزيّات (عبد الله) : "**أهـم المُستعربين الإســبان في القـرن التَّاســع عشر**" ملف الاستعراب الإسباني، مجلة التَّواصـل الليبيَّة، جمعية الدعـوة العالميَّة بليبيا، مارس **2010**، ع.**19**، ص.**(33-125)**.

123)- السامرائي (خليل إبراهيم صالح): "**فتح الأندلس من خلال كتاب ألف ليلة وليلة**"، مجلة المورد العراقيَّة، **2007**، م.**14**، ج.**4**، ص.**(51-63)**.

124)- شقور (عبد السلام بن المختار):"**البيوتات الأندلسيَّة بحث في المكوِّنات والضوابط والنتائج**"، ندوة الأندلـــس قرون من التقلُّبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، **1996/1417**، ط.**1**، ق.**1**، ص.**(247-283)**.

125)- طه(عبد الواحد ذنون):"**تنظيمات الجيش في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة في الأندلس في العصر الأموي**، مجلة المورد العراقيَّة، بغداد، **1988**، ع.**65**،ص.**(5-30)**.

126)- غيشار(پيار):"**التَّاريـخ الاجتماعي لإسبانيا المسـلمة من الفتــح إلى نهايــة حكم الموحِّدين**"، تر. مصطفى الرقي، الحضارة العربيَّة في الأندلـــس، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، **1988**، ط.**1**، ص.**(961-994)**.

127)- فَخّار(إبراهيم):"**بنو برزال لمسيلة في البَرازيل**"،مجلة التَّاريخ،م.و.د.ت،الجزائر، **1981**، ع.**10**، ص.**(70-84)**.

128)- لَقبال(موسى):"**تيار الفتح في شمال إفريقيا ونتائجُه**"،الجزائر في التَّاريخ،م.و.ك، الجزائر، **1984**، ج.**3**، ص.**(10-39)**.

129)- ====:"**الصِّراع بين الأمويِّين والفاطميِّين في القرن 4هـ/10م(من خلال مجالس**
-

النُّعمان ومُقتبس ابن حيّان"،مجلة المؤرخ العربي،بغداد،**1982**،ع.**21**،ص.**(33-50)**.

130)- يونس(محمد محمود): "**الحاجب المصـــحفي حياته - شعره دراسة أدبيَّة تاريخيَّة 397-482هـ**"، مجلة آداب المُستنصَرية، البصرة، **1985**،ع.**10**،ص.**(171-203)**.

هـ) – **قائمة الرَّسائل الجامعيَّة العربيَّة :**

131)- اشتيوي (أشرف يعقوب أحمد) :"**الأندلـــس في عصـر الوُلاة (91-138هـ/711-756م)**"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنيَّة، نابلس، **2004**.

132)- أوكيل (مصطفى) : "**انتشار الإســلام ببلاد المــغرب**"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، **2006**.

133)- الدليمي (إنتصار محمد صالح) : "**التحدِّيات الداخـليَّة والخارجـيَّة التي واجـــهت الأندلـــس خلال الفترة (300-366هـ/912-976م)**"، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، **2005**

و) – **قائمة المراجع باللُّغات الأجنبيَّة :**

134)- Benatia (A) :**Ibérie et Berbérie, de la colonisation arabique au colonialisme romain**, s.é, Alger, **2003**.

135)- Bouamrane Chikh : **Questions d'histoire et d'actualité**,Thala éditions, Alger, **2005**.

136)- Camps (G): **Les Berbères aux marges de l'histoire**,éd.des Hespérides, **1980**.

137)- ==== : **Les Berbères : Mémoire et identité**,éd.Barzakh/Actes Sud, Alger, **2011**.

138)- Chaffik (M): **Aperçu sur trente trois siècles de l'histoire des Imazighen**,éd. Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, **1987**.

139)- Dhina (A):**Grands tournants de l'histoire de l'Islam**,éd.SNED,Alger, **1978**.

140)- Gaid (M) : **Les Berbers dans l'histoire**, éd. Mimouni, Alger, **1990**.

141)- Gsell (S) : **Histoire ancienne de l'Afrique du nord**,Librairie Hachette, Paris, **1927**.

142)- Guichard (P) : **Structures sociales ¨orientales¨ et ¨occidentales¨ dans l'Espagne musulmane.civilisations et sociétés**,éd.Mouton,Paris,**1977**.

143)- Julien (Ch.A) : **Histoire de l'Afrique du Nord**, éd.Payot et Rivages,

Paris, **1994**.

144)- Le Bon (G) : **La civilisation des Arabes**, Casbah éditions, Alger, **2009**.

145)- Lévi-Provençal (É) : **Histoire de l'Espagne musulmane**,éd. Maisonn-euve et Larose, Paris, **1993**, T.**3**.

146)- Mantran (R) : **L'expansion musulmane (VIIe - XIe siècles)**, éd. PUF, Paris, **1969**.

147)- Marçais (G) : **La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge**, éd. Afrique-Orient, Casablanca-Beirouth, **2003**.

148)- Martinez-Gros (G) : **L'idéologie omeyyade. la construction de légitimité du Califat de Cordoue (X - XI siècles)**,éd. Casa de Velázquez, Madrid, **1992**.

149)- Molina (Luis): **Una descripción anónima de Al-Ándalus**, de un autor anónimo, éd. Instituto Miguel Asín, Madrid, **1983**.

150)-Olivier (M.G) : **Recherches sur l'origine des Berbères**, éd.l'Odyssée, Tizi-Ouzou, **2009**.

ز) – قائمة المقالات والدِّراسات باللُّغات الأجنبيَّة :

151)- Basset (R) :¨**Les généalogistes berbères**¨, Les archives berbères, publication du comité d'études berbères de Rabat,**1915**,V.**1**,Fasc.**2**, p.(**3-11**).

152)- Bazzana (A) :¨**Villages et territoires andalous.Quelques aspects du peuplement médiéval et de l'exploitation agraire dans Al-Andalus**" RURALIA II¨Památky archeologické-Supplementum¨,Praha,**1998**,p.(**140-151**).

153)- Bouamrane Chikh:¨**Saint Augustin et la résistance populaire des Donatistes**¨,in:Revue des sciences sociales,O.N.R.S,Alger,**1979**,N°**1**,p.(**91-98**)

154)- Bulliet (R.W) et Desaive (J.P) :¨**Botr et Beranés : hypothèses sur l'histoire des Berbères**¨, in : Annales, Economies, Sociétés, Civilisations, **1981**,N°**1**, p.(**104-116**).

155)- Busto (G.G) y Cravioto (E.G) :¨**Repercusiones en Al-Andalus de la revuelta bereber del 122/740**¨, in : Proceedings of the Seminar Al-Andalus centuries of vicissitudes and accomplishments, Publications of King Abdul-Aziz public library, Riad, **1417**/**1996**, p.(**19-40**).

156)- Colan (G.S) :Art.¨**Al-Andalus**¨,in:E.I,Leiden,**1986**,T.**1**,V.**1**,p.(**486-503**).

157)- Cravioto (E.G) : ¨**El Comes Ilulianos (Conde Julián de Ceuta), entre**

la historia y la literatura¨, in: Alqantir,Editora Tarifeña,Tarifa,**2011**, N°**11**,p.(**3-35**).

158)- Gonzales (W.S) : ¨**Monografías y documentos sobre la historia de Tarifa**¨, Alqantir, Editora Tarifeña, Tarifa, **2010**,N°**10**, p.(**1-135**).

159)- Guichard (P) :¨**Les Arabes ont bien envahi l'Espagne**¨, in: Annales, Economies, Sociétés, Civilisations, **1974**,N°**6**, p.(**1483-1513**).

160)- ==== :¨**La conquête arabe de l'Espagne au miroir des textes**¨, in : CEHM, **2005**,N°**28**, p.(**377-389**).

161)- ==== : ¨**Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination musulmane**,Casa de Velázquez, **1969**, Vol **5**, p.(**103-158**).

162)- Martínez (L.P) :¨**Al-Ándalus.Sociedad tributaria de frontera**¨,Revista d'Historia medieval, N°**4**, p.(**251-260**).

163)- Mata (J.R) :¨**La tribu beréber de los Gazules en la toponimia hispanica**¨, AM, **1998**,N°**6**, p.(**11-16**).

164)- Pellat(Ch):Art.¨**The Berbers**¨,in:E.I,Leiden,**1986**,T.**1**,V.**1**,p.(**1173-1187**)

165)- Santos (J.B) : ¨**La incursión de Tarif ibn Malik en 710. Preludio de una invasión**¨, in : Alqantir, **2011**,N°**11**, p.(**56-91**).

166)- Sénac (Ph) :¨**Note sur les Husun de Lérida**¨,in : Mélanges de la Casa de Velázquez, **1988**,T**24**, p.(**53-69**).

167)- Tauxier (H) :¨**Examen des traditions grecques,latines et musulmanes relatives à l'origine du peuple berbèr**¨in:Revue Africaine,Alger,**1862**, V.**6**, p.(**353-363**).

168)- Terrasse (H) : ¨**La vie d'un royaume berbère au XIe siècle espagnol: l'émirat ziride de Grenade**¨, in :Mélanges de la Casa de Velázquez, T**1**, **1965**,p.(**73-85**).

169)- Tilmatine (M) :¨**Du Berbère à l'amazighe: de l'objet au sujet historique**¨, in : AM, **2007**,N°**14**, p.(**225-247**).

170)- de la Vironne (C) :¨ **Quelques réflexions sur l'histoire des Berbères d'Ibn Khaldoun**¨, Notes du colloque international sur Ibn Khaldoun, Alger, **1978**,p.( ).

ح)– الرسائل الجامعيَّة باللُّغة الفرنسيَّة :

171)- Awad (J):¨**Sociologie et histoire à la recherche des fondements d'une distinction disciplinaire**¨, mémoire présenté à la faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade Maitre ès sciences (M.sc.) en sociologie, Université de Montréal, **2007**.

172)- Meouak (M): ¨**Les structures politiques et administratives de l'état andalou à l'époque umayyade (milieu IIe / VIIIe siècle - fin Ive / Xe siècle)**¨, Thèse de Doctorat, Université Lumière, Lyon II, **1989**.

❋❋❋

فهرس الأعلام والقبائل والشعوب والأماكن

1- فهرس الأعلام

↓↑←

2- فهرس القبائل والشعوب

***

3- فهرس الأماكن

****

فهـــرس المواضـــيع

****

يتناول البحث الأدوار العسكرية والسياسية للبربر بالأندلس، انطلاقا من مساهمتهم في عملية الفتح الإسلامي، مرورا بالأعمال العسكرية والسياسية التي قاموا بها، خلال الدولة الأموية، وانتهاء في مدى مساهمتهم في الفتنة الكبرى للقرن 5هـ / 11م.